

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

فبراير ٢٠٠٩ - العدد ٢٨٢

غزة تكتب الشعر

حوار متخيل مع طه حسين

الشفاء من مرض الغناء

نهار ميت: مسرحية

أسوان: الدفء يأتى من الجنوب

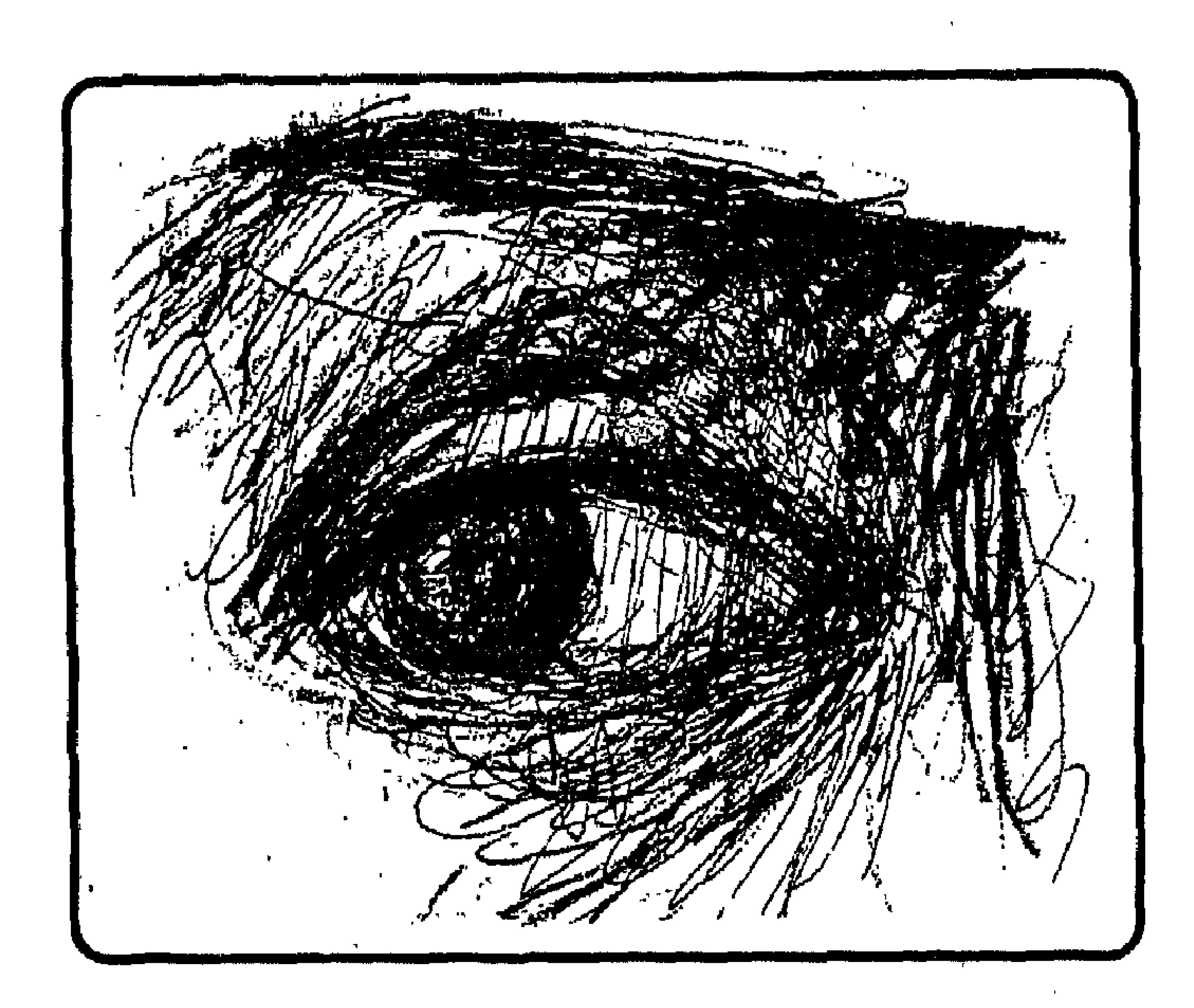
أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

تأسست عام١٩٨٤ /السنة الخامسة والعشرون

العدد ٢٨٢فبراير ٢٠٠٩



أدب ونقد

مستشار التحرير: **فريدة النقاش**

المشرف الفني: **أحمد السجيني**

إخراج فني: **عزة عز الدين**

مراجعة لغوية: **أبو السعود علي**

الرسوم الداخلية للفنان: **توفيق هلال**

لوحاتا الغلاف الفنانة الكبيرة: **زينب السجيني**

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٧٥ جنيها

البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال المواد على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:

Cairo 680 @ Yahoo. com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب

القاهرة/ هاتف ٢٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٢٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات



«أدب ونقد» فى:
حوار متخيَّل مع طه حسين

محمد السعيد دوير

طه حسين (١٨٨٩- ١٩٧٣) هو مفكر النهضة العربية الحديثة، وواحد من جذور الثقافة العربية المعاصرة، وبيرق من أهم بيارقها.

وطريق لا يعرف المنحنيات ،وصفه المستشرق جاك بيرك بأنه " المفكر الذى يزاوج الفعل بالفن ، ويكشف فى أعماقه احتمالية بحث لا يكتمل أبدا : البحث عن الحداثة" ولذلك سنجده حاضرا بقوة فى كل معنى تقدمى نحاول أن ننسجه اليوم وغدا ، ومشاركا بفاعلية فى الكلمات والمعانى والدلالات ، فليس منا أحد خلا قلمه من حروف طه ، وليس بيننا عالم أو عارف لم يقف فى حضرة العميد برهة من وقت أو دهراً من زمن. إذن هو الحاضر الغائب، الإمام الرمز، الذى استوعبنا جميعا قبل إن نوجد فى هذه الحياة، ولا زلنا لم نستوعبه جيدا رغم مئات الدراسات التى حوتها المكتبة العربية. استحضرناه وجلسنا معه نحاوره - فقط - عن " أدب ونقد " ، فليس فينا من اتصل بالأدب والنقد قدر ما اتصل هو ،ولا صاغ القيم التقدمية فى جو ملغم بقدر ما فعل هو .. فكان هذا الحوار:

● كيف تنظر الى مجلة " أدب ونقد " فى السياق الفكرى والثقافى العام لثقافتنا المعاصرة ؟

●● فى تقديرى أن المجلة تؤدى دورها الثقافى والفكرى والإبداعى وفق متطلبات الوضعية الثقافية للمجتمع العربى، إذ تتسم بعدة خصائص نادرا ما تتوافر فى إصدارات مماثلة ، فهى أولا: مجلة الوطن العربى الحر المستنير التقدمى الذى يؤمن بحرية الفكر والتفكير وبأهمية

الإبداع ودور الأدب والفن فى المساهمة فى تغيير مجتمعاتنا العربية الى الأفضل ، وبالتالى فإنها بذلك تصبح أداة تنوير ووسيلة من وسائل النضال ضد قوى الظلم والظلام، وضد الفساد الثقافى والتردى القيمى وأدب الاستهلاك المحلى . إنها مجلة لا يمكن لها أن تتنازل عن قيمها ومبادئها وعقلانيتها وموضوعيتها فى آن واحد ، وهى ثانيا : إحدى وسائل حزب التجمع فى النضال والتغيير ، وتمثل نموذجا حيا ومنضبطا للأدب العضوى الملتزم بقضايا الوطن.ومن ناحية ثالثة: لا يمكن إغفال أنها إصدار أدبى يناضل فى ظل ظروف صعبة للغاية ومرحلة هامة وخطيرة من مراحل تطور العقل العربى. وانطلاقا من تلك السمات المميزة لها تأتى أهميتها، فالدور التنويرى والواجب والوطنى يفرضان علينا احترامها وتقديرها واحترام العقول التى تعمل بها.إننا لم نكن نتصور ونحن فى غمار معاركنا الثقافية والفكرية أوائل القرن الماضى أن عصركم هذا سوف يكون على هذا الحال من التردى الواضح، وأن عمليات الاستقطاب الفكرى التى تقودها رأسمالية القنص سوف تغالبكم وتغتال أحلام الوطن الناهض الحر المستنير. وانى لأعجب كثيرا وكثيرا جدا من هذا الكرنفال الكاذب والوعى المزيف الذى يحيط بكم الآن فى الحياة الثقافية.

● " أدب ونقد " هى مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية.. فماذا يعنى ذلك؟

●● الإجابة ليست متعلقة فقط بالمجلة,إن حزب التجمع يؤمن تماما بأهمية الحفاظ والدفاع عن ثقافتنا الوطنية الديمقراطية ' ويهمنى فى هذا المجال أن أسجل تقديرى لعمق الرؤية التقدمية لهذا الشعار الذى طرح قبل ربع قرن حيث لم تكن هوجة العولمة الثقافية وتدمير حضارات وثقافات شعوب الأطراف لصالح ثقافة المركز المهيمن , ثقافة الاستهلاك الهوليودية أو ثقافة الرأسمالية متعددة الجنسيات والرأسمالية الطفيلية ؛ قد برزت على السطح بمثل هذا التوحش الخطير ، بشكل يدعو الى ضرورة أن تتوحد القوى التقدمية فى العالم لخلق عولمة بديلة ، تدافع أولا عن القيم التقدمية، وثانيا عن انهيار المبدع الحقيقى فى ظل مناخ يقيم هذا المبدع بطرق هى أبعد ما تكون عن الإبداع الحقيقى ، وثالثا تظل متمسكة بحق الشعوب فى التواصل الثورى مع الأدب والفن .وأعتقد أن هذا الشعار يثبت عمق التحليل النظرى والوعى باحتياجات الأمة، وبذلك تصبح الثقافة الوطنية الديمقراطية قضية تقدمية بالدرجة الأولى والمعادل الموضوعى والطرف النقيض لثقافتى الاستهلاك والبداوة.إنكم فى حزب التجمع وفى مجلة " أدب ونقد " تدركون تماما أن دوركم الحقيقى هو الدفاع عن قيم الثقافة الوطنية الديمقراطية التى تنظر لكافة عمليات الفكر

والوعى والتطور من منظور علمى ومن منطلق وعينا بذاتنا وتنميتنا المستقلة، فالثقافة الوطنية الديمقراطية هى أحد محاور التنمية الوطنية المستقلة التى هى بدورها صلب برنامجكم السياسى " مجتمع المشاركة الشعبية " . لقد عبرت كافة أدبيات الحزب عن هذا الفهم وذلك التصور وان كانت " أدب ونقد " هى الأكثر وضوحا وتأكيدا بحكم تخصصها فى الفكر والثقافة والإبداع والنقد.إن البحث فى الثقافة الوطنية الديمقراطية ، هو بحث فى الهوية ، وسؤال عن الذات ، وإجابته تدفعنا الى التأمل والنظر العميق فى خيوط التلاقح الحضارى مع الآخر ، وخطوط التلاقى الفكرى مع النماذج التقدمية الموازية فى عالمنا ، وقد رصدت هذا التصور فى أكثر من كتاب ودراسة لى ، وظللت مهتما بمواصفات الشخصية المصرية وسماتها المميزة وأبعادها الحضارية ودرجة تأثرها بالآخر وتأثيرها فيه .

● هل تشكل العولمة الثقافية أزمة بالنسبة للثقافة الوطنية الديمقراطية ؟

●●هناك العديد من المخاطر المترتبة على سطوة العولمة الثقافية على حياتنا الثقافية، إذ يجب الانتباه أولا الى أننا نعيش فى مرحلة دنيا من مراحل الرأسمالية وبالتالى فالثقافة الخاصة بها ستكون أيضا ثقافة تفكيك واستقطاب ونفى وصراع مع الآخر ، ومن هنا تكمن خطورة العولمة الثقافية، لان معايير الصراع الثقافى قد اختلت ، إذ تشكل هذه الثقافة الرأسمالية خطرا بائنا على الثقافات الفرعية وحضارة الإنسان وتلغى التنوع الثقافى الخلاق وتجارب الفلسفات اللا برجماتية ،لأنها تحمل ثقافة عابرة للقارات تعتمد فى غزوها الثقافى على مرحلتين: الأولى إحداث الفوضى النظرية والفكرية فى ثقافة الآخر ، أى التفتيت والتفكيك، ثم المرحلة الثانية إعادة تركيب هذه الفوضى من جديد وفق مبدأ استهلاكى ، أى انك تتحدث لغته وتمارس الطقوس الفكرية كما يمارسها وتتناول القضايا وفقا لمنظوره هو . وتلك اللحظة هى أخطر لحظات التاريخ، حين يقصد عقلك بعد أن قصد قوة عملك. إننى أومن بالعولمة الثقافية القائمة على التنوع والاعتراف بالآخر والحوار الجدلى بين الأطراف، ثقافة التوازى لا التوالى، ثقافة ايجابية تحقق الرقى والتقدم وتؤمن بالعقلانية والحرية، ولا أعتقد أن العولمة الراهنة أو حتى ثقافتنا العربية المعاصرة مؤهلتان لإحداث ثورة عقلانية علمية. وهذا بالضبط هو دور ووظيفة الفكر التقدمى العربى ، وفى القلب منه مجلتكم الغراء .وقد حظيت قضية الهوية الوطنية باهتمامى الشديد فى النصف الأول من القرن العشرين وبالتحديد فى " مستقبل الثقافة فى مصر عام ١٩٣٨" إذ كانت معركتى الثقافية ضد التخلف الذى فرضته علينا

القوى الاستعمارية والنظرة السلفية المتحجرة ، وأرجو العودة مرة أخرى إلى " فى الشعر الجاهلى " أيضا ففى هذين العملين وغيرهما تجدنى دائما أدافع عن هوية الأمة ، دفاعا تقدميا مستنيرا ، وليست، أدب ونقد، ببعيدة عنى فى هذا الموقف .

● فى تقديرك كيف تقيم " أدب ونقد " انطلاقا من فاعليتها فى المحيط الثقافى، وهل استطاعت أن تتجاوب مع متطلبات التنوير والعقلانية والتقدم ؟

●● مجلة " أدب ونقد " فى نظرى هى أهم الركائز التى تستند إليها القوى التقدمية فى العالم العربى لكى تخلق لنفسها حواجز أمواج تدافع بها عن ثقافة التقدم والمعرفة العلمية وقيم الحداثة والتنوير ، فقد تأسست المجلة من حيث البيان والمضمون ثم المسيرة لكى تضيف إلينا مضامين جديدة فى الثقافة العالمية وتفتح أعيننا على آفاق أرحب من ثقافتنا المحلية ، وتحافظ على حقوق العقول فى اختيار البديل الثقافى الوطنى فى عصر تكاثرت فيه سحب العولمة وتنوعت فيه أساليب الاختيار، ومن ثم تصير الحاجة الى " أدب ونقد " (الفكرة - النهج- المسار) أكثر من أى وقت مضى. ومن زاوية أخرى فإننى اعتقد أن " أدب ونقد " رغم رسوخها وتميزها كتوجه فكرى يحمل قيما ثقافية معينة؛ إلا أنها لا تزال بعيدة الى حد ما عن التناول الجاد من الباحثين والمفكرين والأكاديميين العرب، وعن قاعات البحث العلمى .

● ربع قرن من الحياة.. فكيف تراها ، وما هو تصورك للمستقبل ؟

●● لا يمكننى أن أشكك فى قيام " أدب ونقد " بدورها طوال السنوات الماضية ، ولا فى اجتهادها لأن تشق طريقا مميزا وسط الإصدارات الأدبية المتخصصة ، وهذا بالطبع بفضل اناس عملوا بجد وإخلاص للحفاظ على هويتها التنويرية وأصروا على أن تواصل المجلة إصدارها وتميزها ، وبرغم الجهد الجهيد الذى بذله هؤلاء من اجل الرقى بها ؛ إلا انه يبقى لدينا بعض الملاحظات التى تبدو هامة وضرورية :

١- أن المجلة تعبر عن الثقافة الوطنية الديمقراطية، أى ثقافة التجاوز والتخطى، بمعنى انها ينبغى أن تسعى الى أهم رموز الفكر التقدمى فى العالم العربى، وان تهتم بنشر أهم إبداعات الأدباء العرب ، ومتابعة حركة الأدب المصرى خارج المؤسسات الثقافية الرسمية .

٢- يجب أن تهتم المجلة دائما بالكشف عن أهم الرؤى والأفكار العالمية المعاصرة فى النظرية الأدبية المعاصرة وخاصة فى أمريكا اللاتينية وشرق أسيا ،

٣- الاهتمام بتشكيل جماعات أصدقاء " أدب ونقد " فى المحافظات وبعض البلدان العربية، بهدف مزيد من التواصل مع المجلة. واعتبار هذه الجماعات كهيئة تحرير مساعدة، تهتم بالكشف عن حالة الحراك الثقافى داخل مجتمعاتهم المحلية.

٤- ضرورة أن يتنبه الباحثون (فى درجتى الماجستير والدكتوراة) الى ما تقوم به المجلة من دور ثقافى وفكرى وتأصيلى فى حياتنا الفكرية والثقافية والأدبية ، مما يعنى ضرورة أن تخضع " أدب ونقد " لأكثر من دراسة تكشف عن المضمون النظرى والتوجه الفكرى والأبعاد الثقافية التى تمثلها المجلة ، إنها فى تقديرى دفتر أحوال الحياة الثقافية العربية ، فى مرحلة يتعرض فيها العقل العربى لعملية تجريف واسعة النطاق على أيدى دعاة الرأسمالية التفكيكية التى تحاول أن تفصل الواقع عن الحياة ، والاقتصاد عن السياسة ، والفكر عن العمل ، والنظرية عن التطبيق.

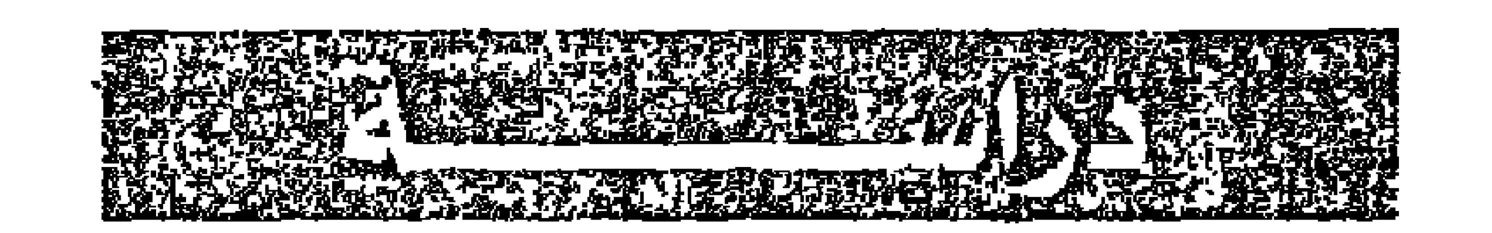
إن هذه الملاحظات ليست سوى محاولة متواضعة للمشاركة الجماعية من أجل الرقى بالوضعية الثقافية للمجلة فى مجتمعنا العربى.أما عن المستقبل، فإننى أرى أن الواقع الذى صنعته رأسمالية الاستهلاك سوف يشكل ضغطا مستمراً لقدرة " أدب ونقد " على مواصلة التحدى. ومن هنا وجب التأكيد دائما على ضرورة الوعى بأن الثقافة السائدة تشكل حصارا دائما على القيم الثقافية التقدمية، وستظل حالة الحصار هذه ماثلة فى المحيط الثقافى الراهن، مما يزيد من عبء المسئولية على الإصدارات الأدبية الثقافية التى تلتزم بقضايا أمتها وتدافع عن متطلبات العقلانية بصورها المختلفة ومجالاتها المتعددة ■

العدد القادم:

عدد خاص عن الراحلين الكبيرين:

محمود أمين العالم

وعبد العظيم أنيس



الإسلام والفنون الجميلة(٢)

الشفاء من مرض الغناء

د. حيدر إبراهيم على

قوبل تصريح فاروق حسنى وزير الثقافة بتقديم الآذان على خلفية موسيقية عالمية استعدادا للاحتفال ببداية الألفية الثالثة على ميلاد المسيح، وتزامنه مع شهر رمضان القادم؛ بردود فعل غاضبة سبق وتقدم نفس الوزير باقتراح إلى مجلس الشعب يطلب تسجيل الآذان على شريط كاسيت لتفادى سماع الأصوات السيئة لبعض المؤذنين

فى تبريره لاقتراحه قال فاروق حسنى ، من المنتظر أن يحضر الاحتفال بنهاية الألفية الثانية لميلاد المسيح خمسة عشر ألف شخص من مختلف دول العالم، وهو ما يتطلب ضرورة تقديم طقوس معينة لهم ليعرفوا تقاليد العبادة فى مصر، وعندما أطلب تسجيل الأذان على خلفية موسيقية عالمية، فإننى أهدف إلى إبراز الطقوس فقط والهدف من إذاعة الآذان فى هذه الحالة ليس الدعوة للصلاة، وإنما هى محاولة لوضع مصر على الخريطة العالمية، كما أنه لا دخل لذلك فى الشريعة الإسلامية، وتقديمه فى الاحتفال ببداية الألفية الثالثة على ميلاد المسيح هو إظهار طريقة صوفية لنوع من الموسيقى الدينية،

تلحين الآذان

إذ إن الآذان هو أشهر لحن دينى عندنا، وسماعه يمثل أحد طقوس العبادة ولذلك والاستطراد للوزير فإن أى هجوم على الاقتراح يمثل

• هذا هو القسم الثاني من دراسة د.حيدر إبراهيم بعنوان ،الإسلام والفنون الجميلة، من كتاب ،سوسيولوجيا الفتوى، للدكتور حيدر، والذي سيصدر قريبا من مصر.

أدب ونقد

تحويرًا لا أساس له ويصل فى معناه إلى حد ،السذاجة، روزاليوسف ١٢ ١٨ ٦ ١٩٩٩

وهاجم عدد من رجال الدين والمشائخ اقتراح الوزير ومبرراته، فقد اعتبره د سعد ظلام الأستاذ بجامعة الأزهر، يمثل استهتارًا بأقدس ما يمكن أن يكون لدى المسلم من إعلان بالشعائر الدينية، ويمثل إساءة للشعب المصرى، فضلاً عن مخالفته للدستور الذى يؤكد على أن الإسلام هو المصدر الرئيسى للتشريع ويقول د عبدالمعطى بيومى عميد كلية أصول الدين السابق ،لا يصلح على الإطلاق أن يصحب الآذان موسيقى من أى نوع، كما لا يجوز تلحينه فى نوتة موسيقية؛ لأن الموسيقى ستصرف المستمع عن مضمون الآذان ومحتواه، فغاية الآذان إعلان ونداء للمصلين، روزاليوسف ١٢ ١٨ ٦ ١٩٩٩ .

قدم الأستاذ على منصور تحقيقًا متميزًا تحت عنوان الموسيقى فى القرآن القرآن والألحان وربط فى هذا التحقيق بين عدد من المقرئين والمنشدين الدينيين وصلتهم بالموسيقى والألحان والغناء، والتداخل بين الأداء فى كل منهما وقد استهل التحقيق بالقول ،الشيخ زكريا أحمد قال قديمًا إن القارئ لا يقرأ القرآن بلا علم ولا موسيقى، فالعذاب الأليم يختلف عن جنات النعيم وكل شيء له أصوله كما أنه لكل قراءة أصولها وفنها ولقد قرأ الشيخ محمد رفعت القرآن تلاوة وترتيلاً وتجويدًا وعمره ستة عشر عامًا، وبلغت عبقريته الفذة أنه احترف القراءة والتلاوة فى عصر ضم نخبة من رواد الموسيقى عظيمى الموهبة كالشيخ محمد أبو العلا، وعبده الحامولى، ومحمد عثمان، وكان صديقًا لهم منذ الصغر، فشرب من موسيقاهم وطربهم فى الأفراح والسهرات وكان الموسيقار محمد عبد الوهاب يردد فى أحاديث كثيرة أنه تعلم كثير من النغمات الموسيقية من قراءة الشيخ رفعت مع أن الشيخ لم يدرس المقامات الموسيقية بل كان يشعر بالمقامات والنغمات الموسيقية بموهبته العريضة صحيفة نهضة مصر ٢٦/١١/٢٠٠٣

aaa

قضية مارسيل خليفة

أصدر مارسيل خليفة أصدر عام ١٩٩٦ شريطًا غنائيًا بعنوان ،ركوة عرب، تضمن أغنيات مختلفة من ألحانه ومن ضمنها أغنية ،أنا يوسف يا أبى، والتى أثارت المرجعيات الدينية الإسلامية بعد أن قام خليفة بذكر الآية الكريمة التى تقول يَاأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ

وتساءل خليفة كيف يمكن لنص أن يستوحى عبرة يوسف أن يكون نصًا يحقر الشعائر الدينية مؤكدًا على حقه فى إعادة ترجمة قصة يوسف بالشعر والموسيقى ووصف ما جرى بأنه محاولة لوضع عراقيل أمام محاولة التنور مشيرًا إلى أننا نعيش حالة انحطاط عبر انهيار شامل يطال الحياة السياسية والحياة العامة

وعلق خليفة على كلام «المصدر القضائى» الذى أعلن «أن القضية معلقة منذ سنتين لأسباب معروفة» فقال إن على القضاء اللبنانى أن يعلن لماذا علقت القضية نافيًا علمه بأسباب عدم إقفالها ولاسيما أنه قبل عامين خضع لتحقيق استمر أربع ساعات مع مدعى عام التمييز

أعلن المفتى قبانى فى تصريح لـ «الشرق الأوسط» أن مارسيل خليفة ليس قارئًا قرأ أو يقرأ القرآن الكريم بالتجويد العلمى المعهود فى الشريعة، وإنما مغن لحن بالموسيقى والعزف آيات من القرآن الكريم، كتاب الله عز وجل وغناها كسائر الأغانى الشائعة مما يعتبر تحقيرًا للوحى الذى نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وهو القرآن الكريم وهذا أمر غير جائز عند أئمة المسلمين وجمهور فقهاء الشريعة الإسلامية

ولفت المفتى قبانى إلى «أن مسألة تلحين آيات القرآن بالموسيقى وغنائها سبق أن أثيرت فى مصر منذ سنوات، وأفتى الأزهر الشريف بتحريمها ومنعها لتحقيرها بالإسلام والدين والقرآن الكريم» صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٩/١٠/٣

جدد مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قبانى التأكيد على فتواه بتحريم تلحين وغناء آيات القرآن الكريم مشددًا على «أن للحرية حدودًا وضوابط»

واستقبل المفتى قبانى وفدًا ضم ممثلين عن هيئة شئون بيروت وحزب النجادة وجمعية محمد الأمين وجمعية المحافظة على القرآن الكريم وجمعية التربية الإسلامية وجمعية الكشاف المسلم والمركز الإسلامى والمؤتمر الشعبى ومخاتير بيروت ورابطة شباب البسطة وهيئات وجمعيات إسلامية وفعاليات بيروتية

وتداول المجتمعون فى شئون عامة إسلامية ووطنية وأصدروا بيانًا أكدوا فيه على وحدة الصف والتماسك الداخلى وتحصين الوحدة الوطنية، وتوفير كل الطاقات والجهود فى هذه المرحلة المصيرية لمواجهة المؤامرات الإسرائيلية والدولية على العرب والمسلمين فى أكثر من مكان لتمزيق وحدتهم وتشتيت صفوفهم وتشويه صورة العرب والإسلام فى العالم، وأعلنوا تأييدهم للبيان الصادر عن دار الفتوى فى قضية الفنان مارسيل خليفة والتزامهم الفتوى الشرعية الصادرة عن مفتى الجمهورية فى هذا الصدد والتى تقضى بتحريم تلحين وغناء آيات القرآن الكريم

الشرق الأوسط ١٩٩٩/١٠/٢٢

استنكرت رابطة المؤسسات الإسلامية الموحدة فى الشمال اللبنانى التى تضم جمعية الإنقاذ وبيت الزكاة والوقف الإسلامى للعمل الاجتماعى الحملة التى يقوم بها البعض انتصارًا لمارسيل خليفة تحت شعار الثقافة والحداثة والفن والإنسانية واقترحت حلاً لمسألة اغنية خليفة وتلحين آيات القرآن الكريم أن يسحب صاحب الأغنية الجزء المغنى للآية القرآنية، احترامًا للإرادة الإسلامية

وكانت الرابطة قد أصدرت بيانًا تحت عنوان ,قضية مارسيل خليفة يحكمها الشرع لا توهم الحداثة، وجاء فيه

١ تثمن الرابطة الفتوى الشرعية التى أصدرها العلامة محمد مهدى شمس الدين حول مسألة اغنية مارسيل خليفة وتلحين اى بوجهعام وهى الفتوى التى التقت مع موقف دار الفتوى لسماحة مفتى الجمهورية الشرعى والفقهى،

٢ تستنكر الرابطة الحملة المغرضة التى يشنها البعض انتصارًا لمارسيل خليفة تحت شعار الثقافة والحداثة والفن والإنسانية وكأن المسألة مسألة شخصية بمارسيل خليفة لا بنص قرآنى مقدس للإسلام، موقف شرعى واضح من أمر إقحام اياته فى أغان وموسيقى وكان الأجدر بأولئك الغيارى أن يراعوا الجانب العقيدى، ولا ينزلقوا إلى بهرجة الاحتجاجات وأضوائها،

واقترحت الرابطة كحل للقضية ,أن يسحب مارسيل خليفة، احترامًا للإرادة الإسلامية، الجزء المغنى للآية القرآنية من أغنيته التى لا غبار عليها إلا من هذا الوجه الدينى الهام، وختمت بيانها بالقول ,وتبقى القضية ما يقول أهل القرآن لا من تركوا القرآن أو لا علاقة لهم به، الشرق الأوسط ١٩٩٩/١٠/١٤

ومن ناحية أخرى أصدرت جهادت دينية أخرى مواقف مؤيدة لمارسيل خليفة؛ فقد قال رئيس المجلس النيابى نبيه برى ,لأننا نحترم القضاء، فنحن على يقين أنه سيبرئ مارسيل خليفة، ولأن الإسلام سمح، والهدف من إنشاد قصيدة محمود درويش، كما أشعار حافظ الشيرازى، ليس المس بالمحرمات وترتيل الآيات، فإننا موقنون أن سماحة مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قبانى ودار الفتوى يقفان عند الأعمال بالنيات، متمنيًا عليه إعادة النظر فيما حدث، وهو حتى الآن قرار ظن وصدر فى حق لبنان، كل لبنان،

أدب ونقد

ودعا السيد محمد حسين فضل الله إلى ,احترام المقدسات والبعد عن أى من أنواع الإثارة، موضحًا ,أننا لا نجد إساءة فى تضمين

القصيدة التى تعبر عن مضمون إنسانى يتعلق بقضايا الإنسان المقهور الذى يمثله نموذج النبى يوسف عليه السلام، آية قرآنية، ولا نجد أن تلحين القصيدة يمس القرآن أو يسىء إليه، مع ملاحظة أساسية أن من غير الجائز لأى من أساليب التلحين المتعلقة بأى آية قرآنية أن يبتعد عن الأجواء القرآنية من حيث طبيعتها ومضمونها والأجواء المحيطة بها، وأضاف ،نحن لا نجيز تلحين القرآن الكريم بالطريقة الغنائية عمومًا، ولكن عندما تكون هناك قصيدة عامة تتعلق بأى جانب إنسانى وتتضمن كلمة أو آية قرآنية، لا نرى فى ذلك إساءة إلى القرآن ونتصور أن إثارة هذه المسألة فى هذه المرحلة القاسية وفى هذه الأجواء القاتمة ليست فى مصلحة القضايا الإسلامية والمصيرية؛ إذ يمكن أى وجهة نظر سلبية حيال موضوع إسلامى أو اجتماعى، أن تطوق أو يتحدث عنها بطريقة لا تصنع أيًا من أنواع الإثارة،

واستغرب السيد هانى فحص القرار وقال ،علينا كرجال دين ألا نوقف عملنا وفكرنا على إيقاع السجال السياسى،، وأضاف ،أن خليفة لم يرتكب ما يمس بالمقدسات، ودعا رئيس المنتدى القومى العربى معن بشور المفتى قبانى إلى معالجة حكيمة لهذه القضية، خصوصًا أن مقصد خليفة الصادق من أغنيته يكمن فى الدفاع عن فلسطين والقدس بالذات، نقلاً عن الحياة اللندنية ١٩٩٩/١٠/٥

حاول د محمد سليم العوا أن يقدم موقفًا دينيًا متحررًا إذ كتب وهذا النوع من تضمين كلام الناس، شعرًا كان أو نثرًا، بعض ألفاظ القرآن الكريم، دون أن يقول المتكلم أن هذا من كلام القرآن يسميه العلماء الاقتباس، وقد عقد له الإمام السيوطى فصلاً من كتابه ،الإتقان فى علوم القرآن، ج١ ص٣٨٩ من طبعة الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم

وذكر السيوطى أن ،المشتهر عن المالكية تحريم الاقتباس وتشديد النكير على فاعله، وأن الشافعية ،لم يتكلموا فيه على الرغم من شيوعه، فى أزمان المتقدمين والمتأخرين واستعمال الشعراء له قديمًا وحديثًا، وقد سئل عنه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء فأجازه

والناظر فى الجملة المضمنة فى قصيدة محمود درويش اقتباسًا من القرآن، وليست قرآنًا صرفًا الحياة ١٩٩٩/١٠/١٨

ويذهب فى الحكم الفقهى مع السيوطى إلى أن تضمين القصيدة شيئًا من القرآن الكريم مقبول إذا جرى فى المواعظ والخطب ونحوها ومباح إذا جرى فى مجال القصص والرسائل، وممنوع إذا كان هزلاً أو هزءًا أو سخرية،

وإن كان بعض العلماء يتورعون عن الاقتباس من القرآن ويختتم العوا موضوعه فإذا أردنا أن ننزل هذه القواعد على أغنية مارسيل خليفة، التى هى قصيدة محمود درويش، فإننا لا نجدها تضمنت شيئًا مما اتفق العلماء على النهى عنه، بل إن غاية ما فيها ألا يرضى ذوق بعض الناس، أو عاطفتهم الدينية عنها، وهذا لا يوجب تحريمًا شرعيًا، ولا مساءلة قضائية، لكنه يدعو إلى البحث العلمى، ويثير نقاشًا أدبيًا، وقد يظهر أوجه الخلاف فى الرأى بين أصحابه وهذا كله حسن مفيد للفكر والفن، نفس المصدر السابق

أصدر عبد الرحمن شهاب قاضى التحقيق الأول فى بيروت قرارًا ظنيًا طلب فيه عقوبة السجن من ٦ أشهر إلى ٣ سنوات للفنان مارسيل خليفة، لإقدامه على تحقير الشعائر الدينية، بإدخال آية من القرآن الكريم من سورة يوسف عليه السلام ملحنة ومغناة على أنغام موسيقية

وقد رحب مفتى الجمهورية اللبنانية الدكتور محمد رشيد قبانى بهذا القرار وقال لـ «الشرق الأوسط» إنه يأتى استجابة للدعوى التى رفعتها دار الفتوى منذ أكثر من سنتين على خليفة متهمة إياه بتحقير الشعائر الدينية

وكان العلامة محمد حسن الأمين قد أعلن أن الفقرة من النص القرآنى جاءت فى سياق القصيدة مظهرًا لأسلوب شعرى وأدبى عرفه الشعر العربى طيلة العصور الإسلامية لذلك لا يوجد مبرر لإظهار أن النص الوارد هو نوع من الإهانة للنص القرآنى

وقال إذا كان هذا النص قد تحول إلى أداء غنائى فإننا لا نستطيع أن تعتبر مارسيل خليفة قد عمد إلى إنشاد نصوص قرآنية، وقال إن بعض الأبيات فى الشعر العربى تضمنت جزءًا من نص قرآنى أو آية قرآنية وبعضها كان يغنى فى تاريخ الشعر العربى القدس العربى ١٩٩٩/١٠/٤

وفى حديثه إلى صحيفة الخليج التى تصدر فى الشارقة سئل فضيلة العلامة د يوسف القرضاوى عقب حصوله على جائزة سلطان العويس الثقافية عن موقفه قصيدة محمود درويش وغناء مارسيل خليفة لها فقال أنا لم أقرأ قصيدة محمود درويش، ولم أسمع أغنية مارسيل خليفة وأقول إن الاقتباس من القرآن أمر جائز، وأنا لى مسرحية قديمة ألفتها فى الثانوية عن قصة يوسف الصديق ومنها "لَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" فلو أن أحدهم غنى هذا ولم يقصد أنه قرآن، وإنما كلام مقتبس فى النص الشعرى، لا أرى حرجًا وما يوجب هذه الضجة كلها

بخاصة أن هذه الأغنية هى دفاع عن الأرض المقدسة والرجل يصنف من ضمن المناضلين ضد الصهيونية وضد «إسرائيل» على ما أعلم

طلبت مشيخة الأزهر من الرقابة على المصنفات الفنية التابعة لوزارة الثقافة منع طبع وتوزيع أغنية مارسيل خليفة لمخالفتها للشريعة الإسلامية لاستخدامها إحدى آيات القرآن الكريم ضمن مفرداته، ووصف مجمع البحوث الإسلامية يتبع الأزهر الأغنية أنها اعتداء صريح على القرآن الراية القطرية ١٩٩٩/١١/١٩

ععع

الغناء والموسيقى الألحان

اشتهرت على مر السنين الماضية مجموعة من الأغانى التى أصدر الأزهر قرارًا بمنعها لتصادمها مع الشريعة الإسلامية، وكان ذلك عبر أحد أجهزة الأزهر وهو مجمع البحوث الإسلامية، ومن ذلك أغنية محمد عبد الوهاب من غير ليه التى ذكر فيها جايين الدنيا ما نعرف ليه أغنية عبد الحليم حافظ أنت قلبى والتى قال فيها قدر أحمق الخطا سحقت هامتى خطاه أغنية محمد عبد الوهاب أيضًا جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت أغنية كاظم الساهر أشهد إلا امرأة اتقنت اللعبة إلا أنت صحيفة الراية القطرية ١٩ ١١ ١٩٩٩

توقف الشيخ يوسف القرضاوى أمام الغناء، لكنه لم يسدل الستار على كل صوت وكل لحن، ولا على كل من غنى أو غنت

وأشار إلى ما ورد فى القرآن الكريم حول لهو الحديث، فقال إن لهو الحديث هو يلهى الناس ويشغلهم، وأن بعض الناس فسروا لهو الحديث بما كان ينسب إلى بعض رجال قريش من روايتهم لقصص الفرس وملوكهم ليشغلوا الناس عن سماع القرآن، وأن هناك من فسر لهو الحديث بأنه الغناء، كابن مسعود، وقد أخذ الناس من ذلك بحرمة الغناء

لكن الدكتور القرضاوى طعن فى تفسير ابن مسعود، وقال إنه لا يمكن أن يستدل من ذلك على حرمة الغناء فى حد ذاته، فالغناء ذو الصوت الطيب والكلام الموزون مؤثر فى النفس، وهذا يكون فيه الحلال ويكون فيه الحرام ويكون فيه المكروه والمستحب، اعتمادًا على الموضوع وطريقة الأداء وأشار إلى أن الخلفاء كانوا يتناشدون الأشعار، كما خرج الصبيان للقاء الرسول الكريم منشدين طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وهذه الأصوات ليس فيها حرج

أما فيما يتعلق بالزمن الحاضر فقال القرضاوى أن أغنية فايزة أحمد ست الحبايب ياحبيبة لا مانع فى سماعها، أما بعض الأغانى مثل أبو عيون جريئة لعبدالحليم حافظ ففيها خروج عن النص القرآنى الذى يدعو الناس إلى غض الأبصار، ورأى أن بعض الأغانى تشكك فى العقيدة، مثل أغنية جئت لا أعلم من أين؟ وهى من شعر إيليا أبو ماضى، وأغنية من غير ليه، التى اختتم فيها محمد عبدالوهاب حياته الفنية وأضاف القرضاوى فى حديثه حول الغناء أنه حتى لو كان الغناء مقبولاً ديانة وعقيدة وشريعة وأخلاقًا، فإن طريقة الأداء المثيرة التى فيها تكسر وتخلع وتميع، تحرم الغناء، وقال إن من الضرورة أن يكون الغناء خاليًا من كل محرم أو ما يقترن به، كأن يكون معه خمر أو يغنى فى مجلس خلاعة أو رقص، وقال إن كل الأغانى المصحوبة بالرقص، والتى نشاهدها على التليفزيون هى حرام، لأنها لم تعد غناء وإنما رقصًا خليعًا

وشدد القرضاوى على أنه لا دلالة فى القرآن على تحريم الغناء، وأن المقصود بلهو الحديث كما يقول ابن حزم، هو صد الناس عن القرآن والإسلام، فالآية القرآنية لم تذم من يسمع إلى الغناء ليروح عن نفسه، فالقلوب إذا كلت عميت، فروحوا القلوب ساعة بعد ساعة، إن النفوس تمل كما تمل الأبدان

وأضاف وللأسف فالناس فى هذه القضية طرفان، طرف يحرم كل الغناء، وطرف يريد فتح الباب لكل الغناء الحلال منه والحرام القدس العربى ٣/١٢/٢٠٠

وهذه رسالة توزعها مجموعات إسلامية بعنوان «أريد أن أتوب»، وهذا هو نصها

أخى إذا أردت التوبة من الغناء وسماعه، فاتبع ما يأتى بنية صادقة

١ ابتعد عن سماع الغناء من جميع مصادره

٢ اندم على ما مضى من التغنى وسماعه

٣ اعقد العزم الأكيد على عدم الرجوع إلى الغناء وسماعه

٤ اهجر الأصحاب وقرناء السوء الذين كانوا يزينون لك الغناء وسماعه

٥ إذا كانت لديك أموال جمعتها من الغناء فبادر بسؤال أهل العلم عنها

٦ إذا كانت لديك أشرطة غناء، فبادر بمسحها بما ينفعك من كلام الله، ومن محاضرات قيمة

٧ أكثر من ذكر الموت وسكراته والقبر وظلماته، والمعاد وأهله، فإن هذه الأمور إذا استحضرتها تذكرك بالله

٨ تحصن بالحصن العظيم «القرآن الكريم»، وذلك عن طريق قراءاته وتدبره والعمل بما فيه، ففى ثناياه الشفاء من مرض القلب «الغناء»

٩ اشغل نفسك فى أوقات الفراغ بقراءة المفيد من سيرة النبى وصحبه الكرام

aaa

أدلى الشيخ سيد طنطاوى شيخ الأزهر بتصريح حول رواية حيدر حيدر ،وليمة أعشاب البحر، أعلن فيه أنه ضد الرواية، وأن القضاء سيكون هو الفيصل بينه وبين وزارة الثقافة التى كان من واجبها أن ترسل له الرواية قبل نشرها وقال إنه لا يُكفّر مؤلف الرواية، ولكن كل من يكتب مثل رواية فهو كافر وفى حوار مع إحدى الصحف، أجاب عن سؤال

اثارت الحملة على وليمة لأعشاب البحر تخوف الأدباء والمبدعين وتساءلوا هل من ضوابط شرعية لابد من الالتزام بها؟

نحن مع الإبداع والجمال الذى يحترم مكارم الأخلاق ويحتضن الفضائل، لكن الرواية التى تنتقد كل المقدسات الدينية وتسىء إلى الخالق عزّ وجلّ وإلى الرسول وإلى أصحابه رضوان الله عليهم، وتمتلئ بألفاظ تتنافى مع الأخلاق والقيم، لا تسمى إبداعًا لأنها خرجت على الضوابط الشرعية للعمل الأدبى المتمثل فى الحفاظ على مكارم الأخلاق والثوابت الإسلامية وعدم الاستخفاف به صحيفة العربى ٢٨/٥/٢٠٠٠

ويعلق الدكتور جابر عصفور على هذا الموقف الدينى ويراه شكلاً من ثقافة العنف، بقوله ربما كان من أهم ما كشفت عنه أزمة رواية حيدر حيدر ،وليمة لأعشاب البحر، هو وجود ثقافة عنف لها سطوتها فى مصر، ثقافة مرجعيتها دينية، تبدأ وتنتهى بالدين الإسلامى على نحو ما تناوله مجموعة من الأفراد أو التنظيمات أو الجماعات أو بعض المؤسسات الدينية نفسها ويعنى ذلك أن السند الدينى المباشر لهذه الثقافة ليس نصوص كتاب الله وأحاديث الرسول وسنته، وإنما تأويل هذه النصوص بما يشدها إلى هدف بشرى بالضرورة، ويضعها فى سياق من العقلية التفسيرية الموظفة لخدمة غاية دنيوية بعينها، غاية ترتبط بما يحقق مصالح الأفراد أو الجماعات أو التنظيمات أو المؤسسات التى تجعل من هذا التأويل، أو هذه العقلية التفسيرية أصلاً لوجودها، ومبررًا لاتجاهاتها، ودافعًا لمواقفها وأفعالها، والهدف السياسى لهذه العملية هو التمهيد الفكرى لإقامة دولة دينية تحل محل الدولة المدنية صحيفة الحياة ٣١/٥/٢٠٠٠

عرفت هذه الفترة ظهور تشريع الحسبة لمواجهة المثقفين المستنيرين والمخالفين، والذى يعطى الحق لأى مواطن أن يقيم دعوى قضائية

ضد مواطن آخر، بوصف الأول نائبًا عن التقاليد وآداب الأمة والدين، وبوصف الثانى خادشًا للتقاليد وآداب الأمة والدين .

ويرفض المثقفون المصريون هذا القانون لأسباب عدة يجملها الشاعر حلمى سالم والذى يعانى من الملاحقة الدينية فيما يلى

أن الحسبة ليست قانونية ولا شرعية

أن القوانين العادية فيها ما يكفى لمعاقبة أى اعتداء على المقدسات أو المعتقدات أو الأخلاق أو الدين

أن الحسبة كثيرًا ما توظف فى تخليص الثارات الفكرية أو الشخصية

أن الحسبة عقبة كؤود فى طريق حرية الفكر والإبداع والاجتهاد التى كفلها الدستور أى أنها غير دستورية

أن الحسبة ساقية جهنمية، يمكن لسيفها أن يدور على رقاب فرسانها أنفسهم وهو ما وقع بالفعل عندما رفع الشيخ يوسف البدرى دعوى حسبة ضد د عبدالصبور شاهين وكتابه «أبى آدم»، وكان الشيخان حليفين كبيرين فى قضية الحسبة ضد د نصر حامد أبو زيد

إن نقل الحسبة من يد مواطن إلى يد النيابة لا يعد تقدمًا جوهريًا

حلمى سالم، ٢٠٠٣ ص ١٨٨

رصدت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان مصادرات الأزهر للكتب، فقد ذكرت الدراسة التى أعدها حافظ أبو سعدة الأمين العام للمنظمة وقدمها لمؤتمر الرأى والتعبير عن الثقافات الذى نظمه مركز القاهرة لحقوق الإنسان، أن الرقابة بدأت بعد صدور فتوى من مجلس الدولة تعطى للأزهر صلاحية مراقبة الأعمال الفنية والمصنفات السمعية والبصرية وقد بلغ مجموع الكتب التى صادرها الأزهر ٨١ كتابًا، وهى تشمل كتبًا تحاول الاجتهاد دينيًا مثل كتاب جمال البنا المعنون «مسئولية فشل الدولة الإسلامية فى العصر الحديث» ودأب الأزهر فى معارض الكتب الدورية على التدخل ومنع الكتب ففى معرض ١٩٩٢ قامت لجنة من مجمع البحوث الإسلامية بالتفتيش، وصادرت بنفسها، خمسة كتاب لمحمد سعيد العشماوى، وكتاب «قنابل ومصاحف» لعادل حمودة، وكتاب «خلف الحجاب موقف الجماعات الإسلامية من قضية المرأة»

تعرض كتاب «الخطاب والتأويل» لنصر حامد أبو زيد للمصادرة حسب قرار من مجمع البحوث الإسلامية فى ٢٧/١١/٢٠٠٣، رغم صدور الكتاب فى المغرب عام ٢٠٠٠ وجاء فى حيثيات القرار، أن الكاتب طعن فى ثابتين من ثوابت

العقيدة الإسلامية، وهما التوحيد وحفظ القرآن الكريم، الأمر الذى يمنع تداوله لطعنه فى صحيح العقيدة الإسلامية صحيفة نهضة مصر ١٤ ١٥ ١٢ ٢٠٠٦

تعددت تدخلات الأزهر من خلال الفتوى فى مجال الفن والإبداع وتعتبر هذه المواقف عظيمة الضرر على حرية التعبير والتفكير فقد دخل الشاعر المصرى أحمد الشهاوى. فى معركة مع الأزهر الذى أصدر فتوى بمنع كتابه «وصايا فى عشق النساء»، وشن على الأزهر هجومًا عنيفًا على من أسماهم «متطرفين من المفروض أن يحاربوا التطرف فرسخوه»، معتبرًا أن الموقف من كتابه «لا يختلف عن المواقف التى تبنتها جماعات أصولية راديكالية فى السنوات الماضية ضد كُتَّاب وشعراء وأدباء»

وقال الشهاوى «لا أعتقد أن أعضاء المجمع الثمانية والعشرين قرأوا الكتاب وإنما ثلاثة أو أربعة منهم فقط معروفون بآرائهم المتشددة، وسبق أن كفَّروا زملاء لهم من علماء الأزهر، والقرار جاء من أناس لا علاقة لهم بالإبداع ومتخصصين فى الفقه والشريعة والمعاملات الإسلامية، ولم تعرف منهم شاعرًا أو أديبًا»

واعتبر أن الأزهر أهدر دمه بفتواه الأخيرة، وأضاف «لم ننس أن فتوى الأزهر عام ١٩٥٩ ضد نجيب محفوظ نفذت العام ١٩٩٤ على أيدى واحد من المتطرفين حاول ذبحه»، معتبرًا أن الفتوى الجديدة «ترسخ الإرهاب وتثبت فكر المصادرة»، وأوضح أن كل النسخ التى طبعت من الكتاب بيعت بالفعل، وقال «لن يجدوا نسخة واحدة ليصادروها لكن سأطبع منه وسأروجه وسأهدى من أصدروا الفتوى بيانًا يوضح موقفى وموقف شعراء الإسلام»

من جهته قال رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة المصرية للكتاب الدكتور سمير سرحان الجهة الناشرة لكتاب «وصايا فى عشق النساء» إن الهيئة لن تسحب الكتاب من منافذ التوزيع التابعة لها على رغم مطالبة الأزهر بمنع تداوله، لأن القرار الذى يلزمنا كهيئة فى نشر كتاب أو عدمه هو قراء لجنة القراءة التابعة للهيئة. الحياة ٢٠٠٣/١١/٥

وجاء فى تقرير مجمع البحوث الإسلامية فى حق الشاعر، وطالب بمنع ديوانه، وأوصى بعدم طباعته من خلال هيئة الكتاب، ووجه الأزهر فى هذا التقرير انتقادات عنيفة إلى مؤسسات الدولة الرسمية، واستغرب أن تتبنى مؤسسة رسمية «نشر العبث بآيات القرآن وأحاديث النبى» وجاء فى التقرير أن ديوان الشهاوى «يحتوى على وصايا كلها موجهة إلى المرأة تدعوها إلى الذوبان فى العشق، وأن تسلم نفسها وجسدها بغير تحفظ، ولا تستحى من فعل خطر لها» ولفت التقرير إلى أن فى الكتاب «تمجيدًا للذة الجسدية ويسوق آيات القرآن فى غير مواضعها

ويستشهد بها مع عبارات الفجور والفسق والتعرى، واستعمال أحاديث النبى وإخراجها عن معناها لتكون فى نطاق الدعوة إلى الاستمتاع، واستعمال أوصاف الله تعالى فى وصف المعشوقة وإسناد أفعال الله إليها ما يكاد يكون كفرًا صريحًا والاستشهاد بكلام أهل التصوف ونقل معناه إلى ما يدعو إليه من عشق الذكر والأنثى والدعوة الفاضحة إلى الفسق والتجرد من الحياء واستعمال الكنايات أحيانًا لكنها فاضحة مفضوحة، وأضاف «لا ندرى أى قيمة أو دعوة نافعة أو فائدة وراء طبع هذا الكتاب ونشره، وهل مثل هذه المنشورات تنفع الأمة وتحمى شبابها، من المزالق والمهالك، أم أنها تفتح باب إحدى لبنات الوطن؟، وخلص التقرير إلى «أن ما يشتمل عليه الكتاب من عبث بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأعظم والتجرؤ على أوصاف الله وخلعها على الأنثى المعشوقة وتحريف معانى لدى المتصوفين واستعمال عباراتهم فى غير ما قصدوه، ذلك كله يدعو المنصفين الذين يخافون على مستقبل هذه الأمة فى شبابها إلى منع نشر هذا الكتاب وتداوله، صحيفة نهضة مصر ١٤ ١٥ ١٢ ٢٠٠٦

سادت العالم العربى والإسلامى ظاهرة ملاحقة الفتوى الدينية للفكر والإبداع، ولم تعد المعارك سياسية أو فنية إبداعية، بل تتحول سريعًا إلى معارك دينية تسعى إلى تأكيد تكفير الطرف الآخر ففى الكويت نشرت إحدى المجلات الطلابية، اسمها «الشعلة» مقالاً للدكتور أحمد البغدادى، عنوانها «حين يحين ظلام التخلف»، فى عدد تموز يوليو ١٩٩٦ وبعد فترة وقعت المجلة فى يد خطيب أحد الجوامع وزميله له، فاستفز المقال مشاعرهما وعرض النص على لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف فكان جوابها «إن نسبة الفشل إلى النبى من إساءة الأدب ومن الجهل بسنته، وهديه ، فى الدعوة إلى الله، فما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، رفع الاثنان قضية اتهما فيها البغدادى بالإساءة إلى النبى والتحقير من شأنه، وهو ما يعاقب عليه القانون الكويتى أدانت المحكمة البغدادى وحكمت عليه بالحبس ستة أشهر وبغرامة مائة دينار مع وقف التنفيذ، وحين استأنف الحكم قضت فى ٤ ١٠ بحبسه شهرًا، بعدما اعتبرت أن ما صدر عنه بعد «طعنا فى ثوابت العقيدة الإسلامية وفى شعائرها، التى توجب مراعاة الأدب وعدم السخرية عند تناول «سيرة خاتم الأنبياء ، وبعد أن صار الحكم نهائيًا، ألقى القبض عليه، وأودع السجن لكى ينفذ العقوبة فهمى هويدى، فى الأهرام ١٩/١٠/١٩٩٩

وفى السعودية فى تصريحات خاصة لموقع قناة العربية الفضائية على الإنترنت، عبر العتيبى عن استغرابه من الفتوى التى أصدرها

الشيخ السعودى عبدالرحمن بن ناصر البراك، ووصفها بأنها تنتمى إلى القرون الوسطى

وأضاف أنها تنسجم انسجامًا شبه كامل مع توجهات القاعدة وتحريض قادتها على القتل واستهداف المخالفين من كُتَّاب ومثقفين ومسئولين سياسيين أيضًا

كان الشيخ البراك يرد على سؤال بشأن ما جاء فى مقال كتبه العتيبى بجريدة ،الرياض، فى عددها الصادر بتاريخ ٧/١/٢٠٠٨ بعنوان ،إسلام النص وإسلام الصراع، ومقال آخر فى الجريدة نفسها للكاتب يوسف أبا الخيل بعنوان ،الآخر فى ميزان الإسلام،

وطالب الشيخ بحسب ما ذكرته العربية نت بمحاكمة الصحفيين واستتابتهما فإذا لم يرجعا عن قولهما ،وجب قتلهما باعتبارهما مرتدين ولا يغسلان ولا يكفنان، ولا يصلى عليهما،

واعتبر الشيخ البراك ان قول العتيبى بأن المتصارعين فى التراث أدخلوا على النص زيادات ليبرروا بها رغباتهم كما فى قوله ،لا إله إلا الله، وتحريف لعبارة الشهادة،

وحين قال يوسف أبا الخيل إن الإسلام لا يكفر من لم يحارب الإسلام من الكتابيين أو من هم أتباع العقائد الأخرى، بل عددهم من الناجين

رد عليه الشيخ بأن من زعم أن اليهود والنصارى أو غيرهما لا يجب عليهم الإيمان بمحمد فهو كافر

وتعليقًا على حديث الشيخ البراك، قال العتيبى فى النهاية أنا كاتب لا أملك إلا قلمًا، وهذا القلم لن أوقفه عن طرح قناعاتى لمجرد مثل هذه الفتاوى التحريضية المصرى اليوم ١٥/٣/٢٠٠٨

جاء فى أقوال المتهم الأول محمد ناجى محمد مصطفى ٢١ عامًا حصل على دبلوم صنايع ويعمل فى إصلاح الأجهزة الكهربائية، وهو قد التحق بالجناح العسكرى للجماعة الإسلامية فى نفس العام، وكانت أول عملية كلف بها هى قتل ،نجيب محفوظ، أنه لم يقرأ فى حياته أى كتاب سوى كتابين فقط هما ،الدعوة، و،الميثاق الإسلامى، وجاء فى اعترافاته إن الجماعة اختارت ،نجيب، لأنه مرتد منذ ٣٠ عامًا وذلك عقب تأليفه كتابه ،أولاد حارتنا، حيث سب فيها الله والرسول وأمهات المؤمنين ، بالإضافة إلى أن كل مؤلفاته تحرض على الفسق والفجور واعترف المتهم بأنه لم يقرأ أية كتابات لنجيب محفوظ بما فيهارواية أولاد حارتنا والتى لم يجدها فى المكتبات فى محاولة لقراءتها منذ عدة سنوات، وأضاف

المتهم أنه علم بمضمون الرواية من أحد أعضاء الجماعة الذى وزع علينا البيان الخاص الذى تضمن فتوى القتل لنجيب على لسان الدكتور عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الإسلامية منذ أربع سنوات تقريبًا وعندما سأله المحقق حول كيفية الحكم على «نجيب» بأنه مرتد ولماذا لم تسعوا لاستتابته قبل تنفيذ الحادث فأجاب المتهم بأن كتاب «أولاد حارتنا» هو السبب وإن الجماعة رفضت استتابته بعد أن علمنا أن الأزهر طلب ذلك منه، ولكنه رفض وعلق المحقق على ذلك بأن مؤلفات نجيب موجودة من عشرات السنين، فلماذا اخترتم هذا الحكم الآن، وكان رد المتهم بأنه كان صغيرًا «ومسئوليتى تبدأ بعد بلوغى وانخراطى داخل الجماعة التى التزم بكل فتاواها، وحول السبب الرئيسى لاختيار نجيب دون باقى الكُتَّاب؟ أجاب المتهم أنه عقب حصول «نجيب» على جائزة نوبل أصبح رمزًا لهذه الفئة وتنفيذ أية عملية ضده سيكون لها أثر على باقى الكُتَّاب ويكون عبرة لهم حتى لا يسلكوا طريقه العربى ١٩/١٢/١٩٩٤

أما المتهم الثانى عمرو محمد محمد إبراهيم ٢٤ عامًا حاصل على دبلوم تكييف وتبريد من معهد اللاسلكى بالزيتون، كان قد فشل فى دراسته بمعهد تدريب القوات الجوية، فطرد منه وقد ساهم بشكل أساسى فى التخطيط لإتمام عملية الاغتيال حيث أعطى «المطواة» إلى المتهم الأول، وكان فى موقع الحادث أمام كافتيريا «نعمة» وأعطى إشارة البدء قال فى اعترافه أمام النيابة إنه لم يعلم بالشخص المطلوب تصفيته إلا قبل تنفيذ الحادث بيوم واحد فقط، إلا أنه كان سعيدًا جدًا عندما أخبره «باسم» المحرك الأساسى للمجموعة بأنه الكاتب «نجيب محفوظ»

وعلل «عمرو» سعادته بأنه كان يقرأ فى بعض الصحف والمجلات أن نجيب محفوظ ألف رواية يسب فيها الله والأنبياء، ولذلك فهو فى حكم «المرتد» طبقًا لقول الله تعالى قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزئون قد كفرتم بعد إيمانكم

وأضاف المتهم أنه أيضًا استند إلى فتاوى بعض العلماء، كالدكتور مزرعه لامويش لم يحدد جنسيته والدكتور عمر عبد الرحمن وابن باز وعبدالرحيم الطحان والآخرين من السعودية ، حيث وصفهم المتهم بأنه المرجعية الأساسية للجماعة وجميعهم أفتوا بقتل «المرتد» بل وصل الأمر إلى إعلان أحدهم عقب فتوى الخومينى إهدار دم سلمان رشدى أنه من الأولى إهدار دم نجيب محفوظ لأنه استهزأ بالله والأنبياء، ولذلك لم أناقش «باسم» صاحب فكرة القتل عندما طرح اسم نجيب محفوظ ولم أناقش الخطة بعد أن أكد «باسم» للمجموعة المنفذة بأنه متأكد من نجاح الخطة وأكد المتهم عمرو فى التحقيقات بأنه لم يقرأ رواية «أولاد حارتنا» ولا

أى كتاب لنجيب وكل معلوماته استقاها من مجلة «روزاليوسف» منذ عدة شهور حول رواية أولاد حارتنا، وعندما علم بأن الهدف الذى سيقوم باغتياله هو نجيب محفوظ أحس بأنه تكليف إلهى

وعندما سأله المحقق عن السبب فى عدم استتابته أجاب المتهم الثانى بأن المرتد لا يُستتاب بدليل أن سيدنا «أبو بكر» قام بحرب ضد مانعى الزكاة والمرتدين عن الإسلام، وساوى بينهم وأن حدود الله تنفذ حتى لو العبد تاب؛ لأن الله تركها للحكم فى الأرض، وكرادع للبشر، واستشهد بما فعله الرسول مع رجل ارتكب جريمة الزنا وتاب إلا أن الرسول أقام عليه الحد العربى ١٩/١٢/١٩٩٤

كلف المتهم الثالث محمد خضير أبو الفرج، طالب بالمعهد الفنى التجارى ببورسعيد بتأمين العملية وهو بدوره لم يقرأ الرواية، ولكن قال إنه شاهدها كفيلم سينمائى رغم أنها لم تنتج كفيلم وفى إجابة عن كيفية الوصول إلى حكم الردة مع أنه اعترافه بعدم إلمامه بالنواحى الشرعية والفقهية؟ أجاب «أيوه فعلاً احنا ما بنفهمش فى النواحى الشرعى كلنا، ولكن موضوع أولاد حارتنا واضح زى عين الشمس ومش محتاج لعلم شرعى ولا حاجة » العربى ١٩/١٢/١٩٩٤

أهم الكتب والمراجع التى تستمد الجماعة حسب قوله أفكارها ، هى ميثاق العمل الإسلامى، كتاب أصناف الحكام للدكتور عمر عبد الرحمن، وفتاوى ابن تيمية، وكتاب «فتح المجيد» فى العقيدة، وفتاوى الإمام ابن تيمية، وكتاب بعنوان «القول القاطع فيمن يمتنع عن الشرائع» أما خلاصة ما تتضمنه هذه الأفكار هو تكفير الحاكم الذى لا يطبق الشرائع، ويقوم فكرنا على أن الدستور والقوانين فى البلد كافرة لأنها وضعية وتخالف الشريعة، وفيه طوائف معينة نعتبرهم كافرين مثل الفنانين ورجال الشرطة والكُتَّاب اللى بيعتدوا على الدين

تقرير الحالة الدينية حول مصادرة الكتب

عرف مجمع البحوث الإسلامية بحملاته التكفيرية والدعوة للمصادرة، وأصبح رقيبًا دينيًا على الكتاب، وكان كتاب «فقه اللغة» للويس عوض من أهم الكتب التى صادرها القضاء بناء على مذكرة المجمع، وقد جاء فيها

«إنه ينطوى على مغالطات دينية ولغوية خطيرة ينبغى أن ننبه إلى شرحها، ففى الفصل الثانى يرى المؤلف أن مذهب أهل السنة فى القول

بقدم القرآن، وما تبعه من القول بقدم اللغة العربية، يرتبط بنظرية اللوجوس المسيحية التى تقول بقدم الكلمة، ففى نظره أن فقهاء الإسلام اجتهدوا أن يضغط نظرية الوحى فى الإسلام على غرار نظرية اللوجوس وهى كلمة الله المرادفة لعقل الله أو للروح القدس ثانيًا مهاجمة الكتاب عقيدة التوحيد الإسلامية وجعلها تقوم على مبدأ التثليث، وكثيرًا ما حاول وصل الإسلام بهذه النظرية فى مواقع كثيرة ويزعم أن كلمة ،صمد، فى العربية ،وهى من الأسماء الحسنى، كلمة محيرة؛ لأنها مادة جامدة لم تشتق من فعل، ولم يشتق منها فعل، ويفهم من كلامه أن ،صمد، ثلاثة، وأن الثلاثة فى مفهوم الكلمة قائم على اختلاف علماء اللاهوت المسيحى، وطبيعة المسيح، والله، وكيفية اتصالهما بكلمة صمد يعنى الاسم فيهما هو الصفة، والصفة هى الاسم، ومعنى ،الصمدية، هو الثالوث أو الثلاثة

إلا أن احمد شوقى الخطيب المحامى فى مذكرة دفاعه عن كتاب ،فقه اللغة، ينتقد ما جاء فى مذكرة المجمع قائلاً ،تقول المذكرة أو بالأدق تفترى افتراء على الكتاب أنه ينطوى على ،مهاجمة عقيدة التوحيد الإسلامية وجعلها تقوم على مبدأ التثليث، وتضيف أنه ،زعم أن كلمة الصمد فى القرآن الكريم تنطوى على مبدأ التثليث والمؤلف المعروض ضده وكذلك محاميه المتشرف بكتابة هذه المذكرة يستنكران بشدة هذا الذى افترته المذكرة والمخالف، بل المناقض للثابت بالكتاب صراحة والذى جاء به صراحة ص ٣٠٦ عن كلمة ،الصمد، وما نصه حرفيًا انها كلمة ،نادرة الاستعمال،

وأشهر استعمال لها هو فى الصمدية، ولذا ربط المفسرون معناها دائمًا بتوكيد التوحيد وإنكار التثليث فى مفهوم الصمدانية، الأكثر من ذلك أصدر مجمع البحوث الإسلامية فتوى تطالب بضرورة منع كتب سعيد العشماوى من التداول وخاصة كتاب ،الخلافة الإسلامية، الجمهورية المصرية ١٩٩٤/٣/١

كانت محكمة النقض المصرية قد أصدرت حكمها لتثبت التفريق بين الدكتور نصر أبو زيد وزوجته، وقد دار هذا الحوار الهام مع الدكتور محمد سيد طنطاوى عقب صدور الحكم

أثار الحكم الذى أصدرته محكمة النقض ضد الدكتور نصر أبو زيد التساؤل عن جواز تكفير إنسان أشهر إسلامه، ما جوابكم؟

هذه قضية عرضت على القضاء فى المرحلتين الأولى والثانية، وانتهت إلى محكمة النقض، فقالت كلمتها، بعد تحقيق مفصل وموضوعى، والقضاء الذى قال كلمته هذه المرة هو أعلى درجات القضاء، إذا لا تعليق لنا

على ما يقوله؛ لأنه لم يحكم بما حكم إلا بعد دراسة موضوعية متأنية فيها كل الضمانات

لا نريد تعليقًا على ما يقوله القضاء، ولكن نطلب رأيكم لأن هناك من صدمهم هذا الحكم، وبعضهم أشار إلى كلام كان صدر عنكم مفاده أنه ،لا يجوز تكفير المسلم على أساس كتاباته، وإنما يجب أن يناقش في آرائه واجتهاداته فقد يعدل عنها،

هذا الكلام قلناه قبل أن تقول الهيئات القضائية كلمتها أما الآن وبعدما قال القضاء كلمته، فلا تعليق لنا. كلامي الذي تشرين إليه جاء قبل أن يفصل القضاء في القضية، وأردنا أن نبين القواعد الشرعية، والقضاء هنا اتبع القواعد الشرعية

وما هو الفيصل في الحكم على الإنسان إذا كان هناك تباين بين ما يكتب وما يقول؟

هذا هو النفاق بعينه، كوني انطق الشهادتين ثم أقدم على أمر، سواء كان فعلاً أم قولاً أم سلوكًا، يتنافى مع ما انطق به، فالذي يقول اشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم يعمل عملاً، أو يكتب كتابة تخالف النطق بالشهادتين، إنما يمارس النفاق

ولكن هل يجوز تكفير إنسان أشهر إسلامه؟

نحن نعامله بالظاهر، فإذا كتب كتابات تخالف نطقه بالشهادتين، وإذا تضمنت كتاباته استهزاء بالإسلام وبالعبادات ففي هذه الحالة يكون كلامه بلسانه مخالفًا لما كتبه بيده، ويكون والعياذ بالله بعيدًا عن الإسلام

إذا حكم على إنسان بأنه مرتد وارتؤي التفريق بينه وبين زوجته إلى أي مدى يكون الحكم ملزمًا؟

الحكم القضائي هذا أصبح ملزمًا وانتهت المسألة، حكم القضاء بالتفريق بين الرجل وزوجته، فوجب التفريق، وبمقتضى هذا الحكم أصبح منفصلاً عنها، وهي منفصلة عنه، وإذا مات أحدهما لا يرثه الآخر

هل يمكن استتابته؟

هذه مسألة تخضع لأن يأتي مجددًا ويعلن أنه بريء من كل ما كتبه، وأنه كان مخطئًا فيما كتب، ويعلن ذلك أمام الناس، ولكن أن يقول بلسانه اشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم يسيء إلى القرآن، فهنا نقول له كلامك يكذبه الواقع

هناك اعتراض على الحكم ضد أبو زيد من منظور أنه يمكن أن يقود إلى وقف الاجتهاد وتجميده؟

هذا ليس اجتهادًا، مرحبًا بالاجتهاد مادام في أمر يقبل الاجتهاد،

ولكن لا يمكن أن يأتى إنسان ليقول إن الشمس تخرج من المغرب بدلاً من المشرق، ونسمى هذا اجتهادًا الاجتهاد يكون فى الأمور الفرعية التى تقبل الاجتهاد تمامًا مثل الخلاف الذى يحدث بين الأئمة، ولكن لا اجتهاد فى ما ثبت من الدين بالضرورة، فالاجتهاد هنا يُسمى تفاخرًا ورياءً يقصد به خدمة الباطل لا خدمة الحق

الحياة ١٩٩٦/٨/٢٢

aaa

سئل الشيخ عبد الصبور شاهين، عن رأيه فى الحكم، فأجاب ,لقد كان أمامه أن يتوب ألف مرة، وهو ليس كبيرًا على التوبة، لقد تاب من قبله سيده وسيد أبيه طه حسين الذى يعدل حذاءه مائة من هذه الأصناف، فقد ذهب إلى المحكمة وأعلن توبته، مجلة المصور، العدد ٣٦٨٩ ، فى ٢٣ ٦ ١٩٩٥

aaa

صار مجمع البحوث الإسلامية يمارس سلطة أبعد من مجاله الإسلامى فقد لجأت عناصر أصولية فى الكنيسة القبطية إلى المجمع لاستصدار تقرير فتوى ضد فيلم ,بحب السيما، بعد أن عجزوا عن استصدار حكم ضد الفيلم من القضاء المدنى، وقامت الشكوى على أن الفيلم يسىء إلى الأديان السماوية والأنبياء، ويكتب د جابر عصفور عن هذا الوضع رافضًا إخضاع الفن لمثل هذه الرقابة

ولكن حتى لو أصدلمجمع البحوث الإسلامية حكمًا سلبيًا على فيلم يتناول قضايا مسيحية، وهو أمر لم يحدث من قبل، وسابقة خطيرة لا تخلو من معنى الوصاية، فإن هذا الحكم يظل من الناحية القانونية فى دائرة الرأى، ويمكن لأى محكمة مستنيرة أن ترفضه، تمامًا كما حدث مع كتاب ,رب الزمان، لسيد القمنى الذى أباح توزيعه وتداوله حكم أصدره قاض مستنير، نقض ما انتهى إليه مجمع البحوث الإسلامية، وسواء حدث ذلك مع فيلم ,بحب السيما، أو لم يحدث فإن ظاهرة المنع باللجوء إلى القضاء، أو الاستعانة بمؤسسة دينية موازية للقضاء، تظل قائمة ومتكررة، وذلك فى سياقات الصراع الذى لن ينتهى قريبًا ما بين تيارات الاستنارة وتيارات الإظلام، أو اتجاهات التعصب واتجاهات التسامح مع المجتمعات العربية على اختلاف دياناتها وطوائفها

صحيفة القاهرة ٢٠٠٤/٩/٢٨

البداية كانت فى محكمة عابدين للأمور المستعجلة برفع الدعوى رقم ٦٨٧ لسنة ٢٠٠٢ من مجموعة من محاميى الشهرة طالبوا فى ختامها بمنع عرض فيلم ,مذكرات مراهقة، للمخرجة والمنتجة إيناس الدغيدى، وأيضًا

سحب الفيلم من دور العرض فى مصر بزعم مخالفته للدستور والقانون والنظام والآداب العامة ولعاداتنا وتقاليدنا المستمدة من شرائعنا السماوية

وجاء فى الدعوى أيضًا أن فيلم «مذكرات مراهقة» أجازته الأجهزة الرقابية، وقد تضمن من المشاهد ما يعد ارتكابًا للفحشاء علنًا على شاشة السينما، فضلاً عن التحريض على الفسق والفجور وإشاعة الفحشاء بين الناس وقذف المحصنات دون سند شرعى ما يمثل إخلالاً بالحياء العام وخروجًا سافرًا على كل ما نادت به الشرائع السماوية من الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة وخاصة أنه ليس هناك ضرر أشد من تشويه صورة الفتاة المصرية التى هى الأم والأخت والابنة، وحتى الجارة ونجدها فى أحد مشاهد الفيلم فى عيادة الطبيب الخاص بعمل «ترقيع» لغشاء البكارة يسىء إلى جميع الفتيات المصريات ويصورهن فى صورة فتيات الغرب وأن هذا الأمر أصبح عاديًا، فضلاً عن أنه يجعل الشباب يعزف عن الزواج الذى أحله الله سبحانه وتعالى لشكه فى سلوك أغلب الفتيات

وأصدرت محكمة عابدين حكمها بعدم قبول الدعوى لرفعها من غير ذى صفة، وألزمت المدعى بغرامة إجرائية قدرها خمسمائة جنية، وألزمته بالمصروفات وسبعين جنيهًا مقابل أتعاب المحاماة

جاءت أسباب الحكم فى رفض الدعوى أنها تقع ضمن القانون رقم ٣ لسنة ١٩٩٦ الذى ينص على أن النائب العام هو صاحب الحق الوحيد فى رفع قضايا الحسبة

لكن أحد محاميى الشهرة استأنف الحكم ضد كل من مدكور ثابت مدير الرقابة على المصنفات الفنية ود جابر عصفور وإيناس الدغيدى ووزير الثقافة أمام محكمة استئناف القاهرة، وطالب فى نهاية دعوته أمام محكمة الاستئناف بإلغاء حكم محكمة عابدين ووقف دعوى الاستئناف احتياطيًا والتصريح له بالطعن أمام المحكمة الدستورية العليا فى عدم دستورية قانون الحسبة لتعارضه مع نص المادة الثانية من الدستور المصرى التى تنص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع المصرى والحسبة جزء من النظام الإسلامى لا يجوز إلغاؤها أو قيدها، كما أن ما جاء فى فيلم «مذكرات مراهقة» يضره هو والغالبية من الشعب المصرى لما فيه من مشاهد.

وأكدت الدعوى إذا كان الدستور وهو مصدر القوانين يعطى المواطن حق اللجوء للقضاء فلا يجوز لأى قانون وهو أدنى فى مرتبة التشريع من الدستور أن يحظر عليه هذا الحق فإن كان هذا القانون مخالفًا للدستور فيغيره عدم الأخذ به.

تعرض الشاعر الأردنى موسى حوامدة لحملة دينية بسبب ديوانه «شجر أعلى» ١٩٩٩، والذى كان عنوانه فى الأصل «أستحق اللعنة» ولكن الموظف المسئول عن رقم الإيداع حذره بقوله «ألا تخشى أن يسبب لك العنوان أستحق اللعنة حرجًا؛ لأن اللعنة محرمة فى الإسلام؟ وخشى الشاعر أى تأويلات لذلك قام بتغيير العنوان، ولكن هذا لم يجنبه الحملة ويقول حوامدة فى بداية شهر فبراير ٢٠٠٠ أى بعد ستة شهور من صدور الديوان بلغنى أن إمام مسجد «خلدا» غرب عمان قد خصص خطبة الجمعة عنى، وعن «شجرى أعلى» ، وطلب من المصلين ألا يشتروا الكتاب» استغربت الأمر فعلاً، فلماذا الآن، وبعد كل هذا الوقت، ومن أوصل للشيخ كتابى؟.

ربما يكون أحدهم وبسوء نية أوصل الكتاب للشيخ؛ لأن المشايخ عادة لا يقرأون الكتب الأدبية، فما بالك بكتاب شعر، فضلت الصمت وعدم تكبير الموضوع، لكننى توجست فعلاً خشية أن يكون هناك من يقصد إيذائى، وقد تعززت مخاوفى عندما سمعت أن إمامًا آخر فى منطقة «أم البساتين، جنوب غرب عمان» أيضًا شتمنى على المنبر، وبدأت تصلنى هواتف تنقل أو تسأل عن قصة الكتاب ومع كل تلك الأنباء ظللت حريصًا ألا يصل الأمر إلى الصحف، كى لا تتوسع القضية، وقلت لعلها هجمة منبرية لا أكثر، لكننى فوجئت أحد الصحفيين العاملين فى صحيفة أسبوعية تختص بالفضائح اتصل بى وطلب ردى على تكفير الشيوخ لى، وقال إن النائب «عبد المنعم أبو زنط» مستعد لقبول توبتى، رجوته ألا ينشر شيئًا لأن النشر سيدمرنى، لكنه قال إنه حرص على أخذ رأيى والاتصال بى، رغم أن الجريدة ستصدر سواء وافقت أم رفضت التصريح، وهنا قلت وجهة نظرى بأننى لا أقصد المساس بالقرآن أو بالسنة أو بأحد الأنبياء من ورقة حرية التعبير بالإسكندرية نشر فى صحيفة القاهرة ٢٠٠٤/١٠/٥.

انتشر الموضوع سريعًا، وهنا حاولت دائرة المطبوعات والنشر التنصل بدعوى أن الشاعر أضاف قصائد للديوان وغيّر العنوان دون الرجوع إليهم وعلق وزير الإعلام والثقافة الأردنى صالح القلاب «لا تأويل فى شعر موسى الحوامدة؛ لأنه مسكون بعقدة تسليمة نسرين وسلمان رشدى» صحيفة الرأى الأردنية ٢٠٠٠/٤/١١.

وتبنت صحيفة «السبيل» لسان حال الإخوان المسلمين الهجوم، وكان بصدد إصدار فتوى بكفره، لولا أن حكم الفائز هددهم بأنه سيحول الأمر إلى قضية عشائرية وقبلية وفى شهر مايو آيار ٢٠٠٠ اقتادته الشرطة إلى قصر العدل، ومن هناك إلى محكمة عمان الشرعية الشرقية ووجهت للحوامدة رسميًا تهمة الردة، بناء على شكوى تقدم بها رئيس كتاب المحكمة نفسها بحجة أن ابنه فى

الصف السادس، قرأ الكتاب، وأنه بدأ يشك فى الدين والقرآن استمرت المحاكمة، وبعد عشرين جلسة قال القاضى بكفره ويقول حوامدة ، وأصر القاضى أن أقر بأننى كفرت، وأن يعيد إسلامى من جديد، وأن يكتب عقد زواج جديد، فرضت، وقرر إيقافى فى النظارة، وتحويلى إلى محكمة الجزاء لأنال عقوبة السجن ثلاث سنوات حسب قانون العقوبات الذى أطلعنى عليه على الكمبيوتر أو أقبل الاعتذار وإعلان التوبة على يديه.

رفضت إعلان التوبة أو الاعتذار، رغم أن أحد المحامين الذى كانوا يترافعون عنى، وكان معى فى ذلك اليوم قبل تلك الصفقة لكننى رفضت ذلك رفضًا مطلقًا، فكان مصرى النظارة ليتم نقلى إلى السجن بانتظار تحويلى إلى المحكمة الجزائية

وفى اليوم التالى تمت إعادتى إلى المحكمة الشرعية نفسها، وإلى القاضى نفسه حيث قال لى إنه بات مقتنعًا ببراءتى بعد أن ثبت لديه باليقين أننى مسلم وأننى مضر على كلامى لم أفهم شيئًا، صحيفة القاهرة، مصدر سابق

صدرت البراءة فى ١٢ يوليو تموز ٢٠٠٠، ولكن بعد أربعة شهور استدعته المحكمة، وأبلغه القاضى نفسه أن محكمة الاستئناف الشرعية فسخت الحكم، وستعاد محاكمته ثانية، لأن المحكمة لم تأخذ برأى ذوى الاختصاص، وقدم مفتى المملكة الشيخ سعيد حجاوى شهادة لم تكن فى صالح الشاعر، ولكن بعد أكثر من استئناف، تم إعلان قرار البراءة الثانى فى منتصف ٢٠٠١.

يمتد التضييق والملاحقة الدينية وظهور محاكم التفتيش إلى كل أنحاء العالم الإسلامى، فقد جاء فى الأخبار التقرير التالى

عادت الكاتبة البنغالية تسليمة نسرين ٤٥ عامًا إلى دائرة الضوء بعدما أوشك العالم أن ينسى الزوبعة التى أثيرت حول مؤلفاتها، رغم أنها دفعت العيش فى المنفى ثمنًا، بعدما هددها إسلاميون متطرفون بالقتل واتهموها بالإلحاد

وعرضت جماعة إسلامية هندية مكافأة مقدارها نصف مليون روبية ١١ ألف دلاور لمن يقطع رأس هذه الكاتبة وأعلن رئيس مجلس ،الاتحاد من أجل الهند، تقى رضا خان فى بيان وزع فى لوكناو عاصمة ولاية أوتاربراديش فى شمال الهند، أن ،تسليمة نسرين تلحق فى كتاباتها العار بالمسلمين، ويجب قتلها وقطع رأسها، لافتًا إلى أن المكافأة لن تلغى إلا إذا عمدت نسرين إلى ،طلب العفو، وأحرقت كتبها ورحلت،.

وتمثل الروائية البنغالية التى تعيش فى أوروبا وتتنقل بجواز سفر اسكنديناڤى منذ تركت موطنها هربًا من ملاحقة الجماعات

الأصولية، بالنسبة إلى مسلمى الهند، كما فى بنغلاديش، رمزًا من رموز التطاول على الدين والتشهير بعقيدتهم.

وحكم على نسرين العام ٢٠٠٢ بالسجن بسبب روايتها «العار» لاجا التى وصفت «اضطهاد» الغالية المسلمة للطائفة الهندوسية، ما تسبب فى تظاهرات إسلامية وتهديدات بقتلها، ورغبت الكاتبة التى حولتها مواقف المتطرفين إلى ضحية أخرى من ضحايا الفكر، فى الاستقرار فى ولاية البنغال الغربية قرب الحدود بين الهند وبنغلاديش، لكن السلطات الهندية رفضت منحها الجنسية، وفرت نسرين العام ١٩٩٤ إلى السويد، وهى منذاك تتنقل خصوصًا بين أوروبا والولايات المتحدة والهند وكانت جماعة تسمى «مجلس جنود الرسول» قد أصدرت فتوى تطالب بقتلها.

وفى ١٩٩٨ عادت نسرين إلى بنغلاديش لزيارة والدتها المريضة ثم غادرت البلاد عقب وفاتها

ونسرين التى ألفت ٢٤ رواية وديوانًا شعريًا وحازت جوائز عالمية، حظرت الحكومة البنغالية ثلاثة من كتبها، هى «العار» و«طفولتى» و«ريح شعواء»، كما منع الأزهر نشر الترجمة العربية لكتابها «العار» التى صدرت عن دار «الخيال».

الفتوى القهوة والشوكولاته

الفتوى آلية دفاع ضد المستجدات مهما كان نوعها، ويحاول من خلالها الحكام بمساندة الفقهاء التحوط ضد سلوكيات وأفكار قد تجعل من الصعب السيطرة على المجتمع وإيقاف الفوضى المحتملة وكثيرًا ما تبدو موضوعات تافهة أو قليلة الأهمية، ولكنها تجذب اهتمام العلماء وتنشر فيها الكتب والنشرات والرسائل والمثال لذلك الجدل التى ثار حول شرب القهوة وشغل الفقهاء والحكام والعامة لفترة طويلة وفى بلدان عديدة.

ويرى البعض أن لظهور القهوة فى مطلع القرن العاشر الهجرى فى مكة المكرمة أثر فى تحريك الركود الفقهى والأدبى؛ إذ اندفع عشرات الفقهاء للكتابة فى موضوع القهوة تحليلاً أو تحريمًا، كما كان للشعراء صولات مدحًا أو ذمًا فى قصائدهم محمد الأرناؤوط، صحيفة الحياة ٣٠/٧/٢٠٠٥ ، ويكشف هذا الاهتمام عن القضايا التى يمكن أن تشغل مثل هذه المجتمعات وتهدر كثيرًا من طاقاتها وهذه من وسائل سيطرة السلطة والهيمنة لشغل الناس بقضايا جانبية تصبح وكأنها انشغالات حيوية. وظلت هذه الآليات مستخدمة حتى اليوم فى

المجتمعات الإسلامية والتى تغطى تخلفها وعجزها عن الإنجاز والنهضة باللجوء إلى القضايا الانصرافية، وبالتالى خلط الأولويات

سأحاول أن أستعرض للقارئ أحد الكتب التى أثارت انتباهى وهو «عمدة الصفوة فى حل القهوة» للشيخ عبد القادر بن محمد الجزيرى المتوفى سنة ٩٧٧هـ. وبعد تقديم لمعنى القهوة وصفتها، يدخل إلى ما أسماه المحضر الذى كتب بشأنها أى كيف أصبحت القهوة بؤرة اهتمام فى مجتمع مكة المكرمة فى عهد خاير بك المعمار حاكم مكة، والذى عينه قانصوه الغورى، كناظر الحسبة الشريفة بمكة المكرمة وباشا على المماليك السلطانية بها. وتقول الرواية: إنه فى الليلة التى يسفر صباحها عن يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وتسعمائة. وبعد صلاة العشاء والطواف، توجه إلى بيته، فصادف أناسًا مجتمعين بالمسجد الحرام، «فلما رأوه مقبلاً عليهم أطفأوا الفوانيس التى كانت موقدة، فشك فى أمرهم، فوجد بينهم شيئًا يتعاطونه على هيئة الشربة الذين يتعاطون فيها المسكر، ومعهم كأس يديرونه ويتداولونه بينهم، فسأل عن الشراب المذكور، فقيل له: إن هذا شراب قد اتخذ فى هذا الزمان، وسميت القهوة، يطبخ من قشر حب يأتى من بلاد اليمن، يقال له: البن، وأن هذا الشراب المذكور قد فشا أمره بمكة وكثر وصار يُباع فى أماكن على هيئة الخمارات، ويجتمع عليه بعض الناس من رجال ونساء بدف ورباب وغير ذلك من آلات الملاهى» الجزيرى ١٩٩٦.

وكان حسه كقائم بأمر الحسبة قويًا، ورأى فى هذا السلوك منكرًا لابد أن يغير بأى وسيلة. فبدأ يجمع القضاة وعلماء الفقه ليخرجوا بفتوى تدعم أى موقف يتخذه، واستدعى معهم بعض الأطباء لبيان ضررها على البدن أيضًا. واجمع الحاضرون على حرمة القهوة، ونودى بمكة بالمنع وما يتبع ذلك من عقوبة. ومن الواضح أن حاكم مكة يريد أن يضبط الأمن ويمنع التجمعات التى لا تخضع لرقابته، كما خشى منافسة المقاهى للمساجد وأن تمتلأ بالناس وتخلو المساجد منهم. ولكن هذا المنع تسبب فى تحدى أهل مكة للحاكم والذين أرسلوا فى طلب فتوى من القاهرة العاصمة، وقال السلطان الغورى بإباحة شُرب القهوة، وطالب حاكمه بالتراجع عن قراره مع إجراء الترتيبات التى تضبط المتعاطين للقهوة أى إلا تسبب جلسات المتعاطين الشغب فالقهوة ليست محرمة أو مكروهة فى ذاتها، فهى لا تسبب السكْر، كما أن ارتياد المقاهى قد يكون نوعًا من اللهو. ودار هذا الجدل فى كل المدن الإسلامية الأخرى: القاهرة، اسطنبول، دمشق. وعن الأخيرة كان كتاب ابن

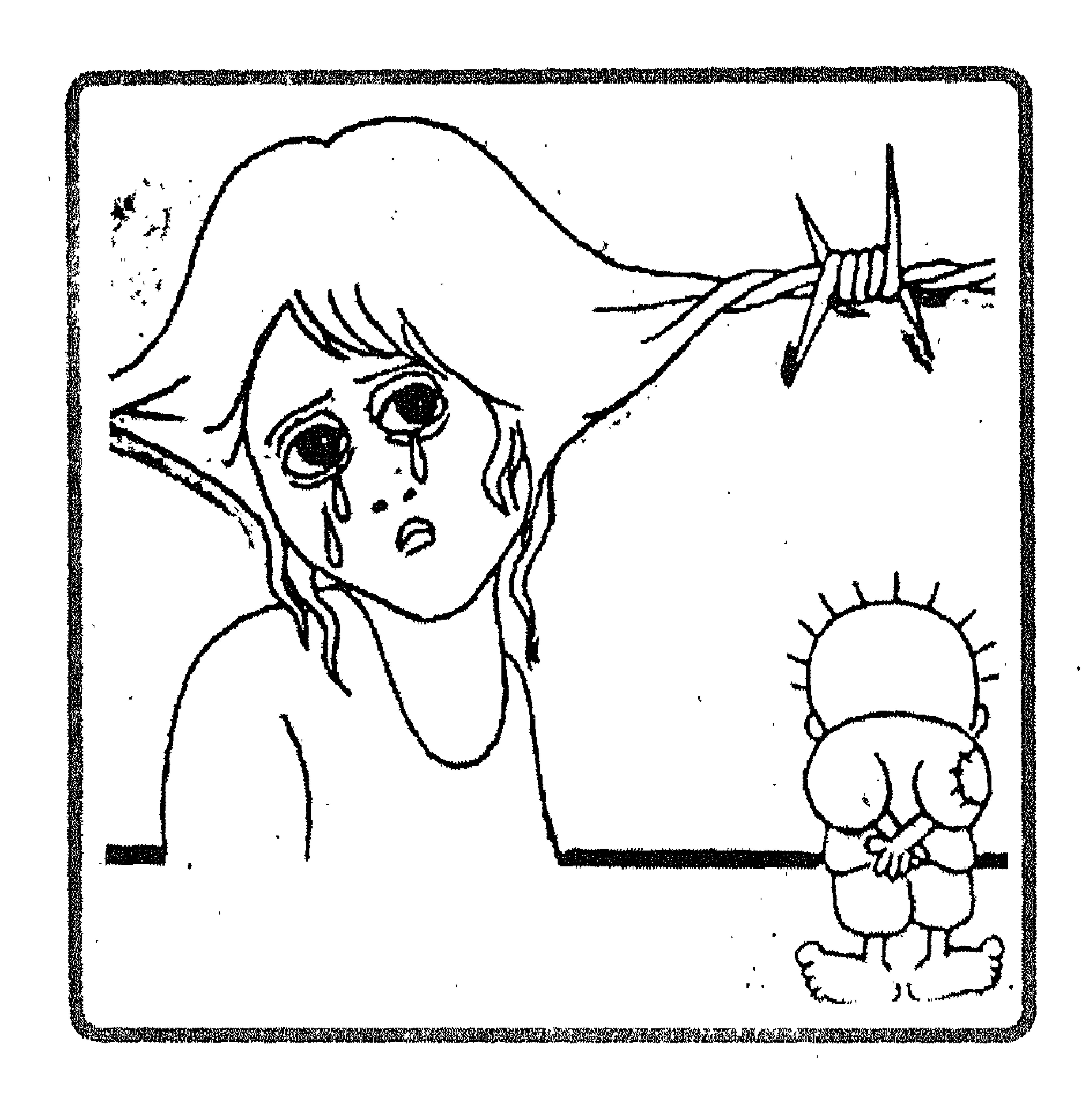
طولون الدمشقى مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان.

كان على الفقيه فى فترات سابقة أن يواجه تحديات التجديد التى اجتاحت المنطقة العربية جميعها نتيجة التوغل الغربى الأجنبى عسكريًا وحضاريًا ومثل الفقيه الطليعة الثقافية للمجتمعات المحلية، وعلى ضوء مواقفها يمكن أن يتصرف تكيفًا أو رفضًا الناس العاديين وكانت آراؤه هى التى تفتح الباب أو تغلقه أو تُصتعِب الأمور على المستحدثات القادمة ويعطى أحد الباحثين مثالاً فى فتوى الشوكولاته، فقد نشر شيخ الإسلام الحنفى فى تونس الفقيه أحمد بن الخوجة فتوى يبيح فيها أكل الشوكولاته أو الشكلاطة الذى عرضته شركة موينى الفرنسية، وقد استقبل هذا الإنتاج الغذائى بحذر شديد بعد أن راجت إشاعات حول ما فيه من مكونات قد يكون بعضها محرمًا وقد لجأ أصحاب الشركة الأوروبية المنتجة إلى شيخ الإسلام ليدلى بفتوى يتبين فيها حكم الشرع فى بضاعتهم وقدموا له كشفًا بالمواد الأساسية التى اعتمدت فى صناعتها، وبينوا له طريقة تصنيفها عمليًا، والفوائد الناتجة عن استهلاكها بعد التمعن والدرس أقر الشيخ حليَّة أكل الشكلاطة مثبتًا أنها ،من ثمرات الأرض مركبة تركيبًا خاصًا غير ضارة، فتشملها الآية الشريفة هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا شمولاً لا تشمله شعوذة الريب، فهى حلال بحت،، وقد طبعت الفتوى فى كتيب صغير وضع مع كل علبة شكوطة تشجيعًا على قبول هذا الإنتاج ما ركز عليه الشيخ هو إبراز الشواهد المقررة لصحة استهلاكها باعتبارها نعمة وغذاء يتركب من عناصر تنبتها الأرض.

ولكن ظهرت شعارات مناهضة لفتوى الشيخ وتشكك فيه، بالإضافة إلى أن بعض الصحافيين ذوى النزعة الوطنية شهّر بالفتوى بسبب تجاهلها للأبعاد الاجتماعية والسياسية للمسألة أحميدة النيفر فتوى الشوكولا وحدود حركة فقيه التقليد واحتمالات المستقبل، صحيفة الحياة ١٦/٧/٢٠٠٥ ويخرج الكاتب برأى يقول بأن هذه الفتوى دلت على أن الفقيه فى سياق التقليد ،يظل أسير بناء ذهنى ومنهج كليل لا يتيح له النظر إلى المسألة المعروضة عليه من زواياها المختلفة وفى هذه الحالة فإنه لا تتأتى له الاستجابة إلى جوهر ما يتطلع إليه المجتمع أو جانب منه من خلال السؤال المستفتى فمن الواضح أن المفتى غير مدرك لعلاقة المجتمع التقليدى تجاه القوة القادمة، وكيفية مواجهتها ويرى الكاتب فى ذلك شكلاً بين الفقيه التقليدى والنخبة الحديثة الصاعدة فقد رأى الفقيه جزئية من الموقف واعتمد على القياس فى الوصول إلى أن الشوكولاته حلال وغاب عن الفقيه الوعى التاريخى بالمرحلة ■

الديوان الصغير

غـــزة تكتب الشـــعـــر



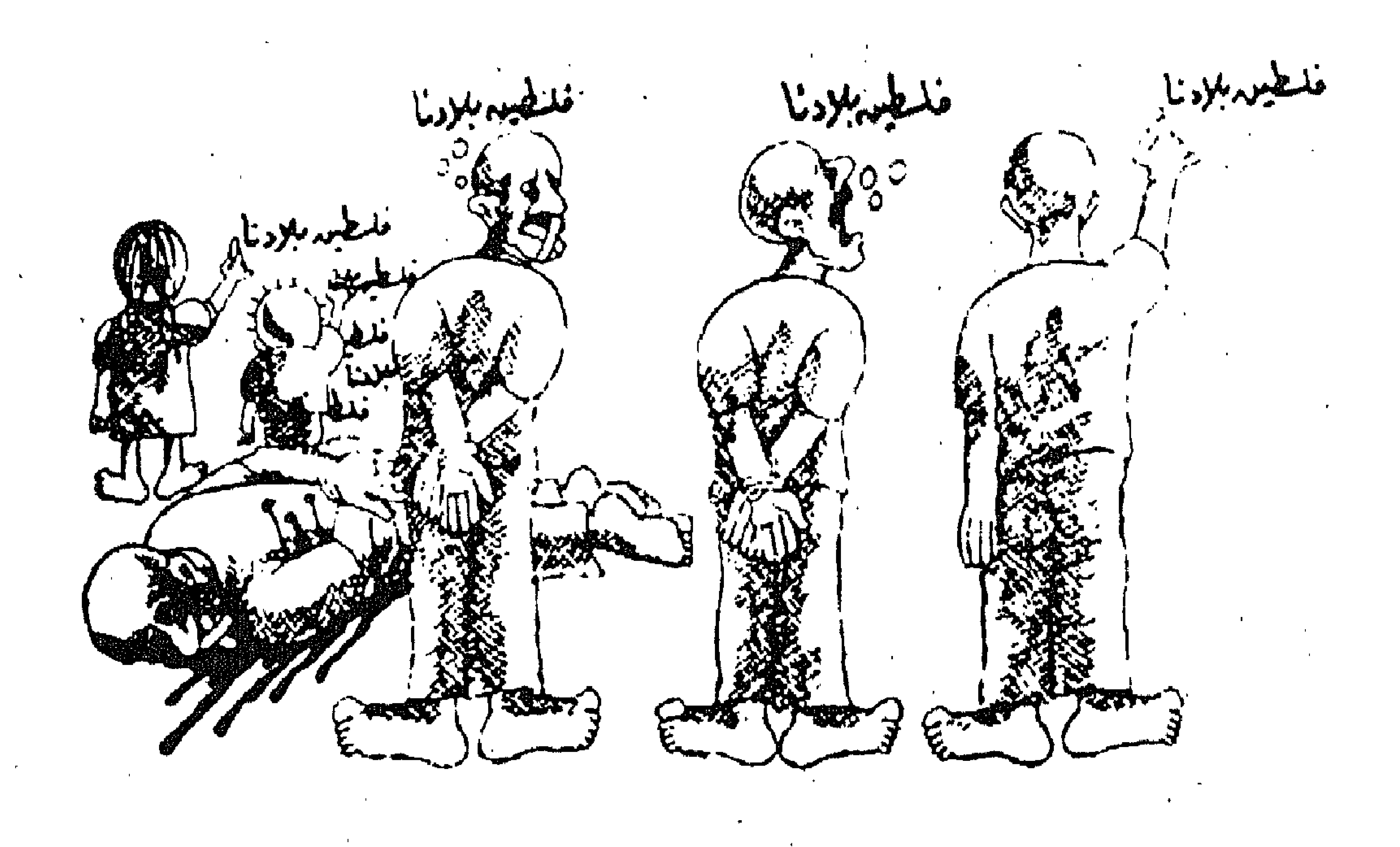
سيد حجاب/ ماجد يوسف/ فاروق جويدة

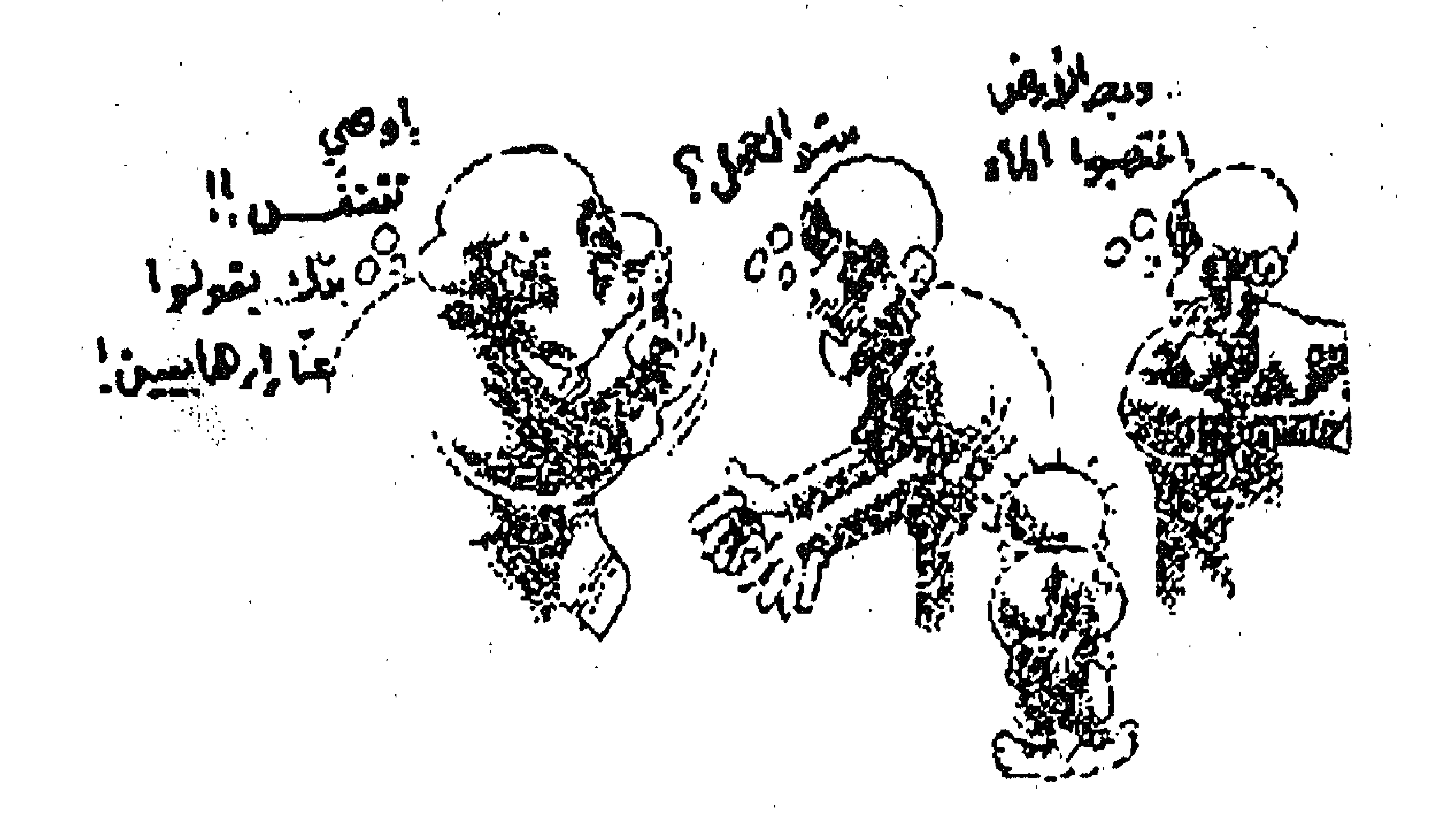
قبل الطوفان الجاى

سيد حجاب

(١)

تاج راس سلالات الجهالات الطغاة
الصغار..
ذوى المقامات والمذمات اللصوص الكبار..
أصحاب جلالة العار..
أصحاب فخامة الانبطاح والسعار..
أصحاب سمو الخسة والانحدار..
أصحاب معالى الذلة والانكسار..
(ما أقصدش أصحاب الجلالة والفخامة
الصالحين طبعا.
ولا حتى أصحاب النبالة والأصالة
المصلحين قطعا)
أصحاب قداسة الانعزال والفرار..
أصحاب نيافة الجبن والاعتذار..
أصحاب سماحة النقل والاجترار..
أصحاب فضيلة الغل ع اللى استنار
(مش قصدى أصحاب الضمير الخيرين
شرعا!!
واللى شرفهم ما عليه مطعن!)
جميع ولاة الأمر، دنيا ودين
كافة عموم الساجدين
للدولار..
من بعد حمد الله.. به نستعين..
وباسم ناسنا الطيبين أجمعين
وبالأخص النيرين الكتار..
وباختصار
.. من غير تحية وسلام..
ما هو السلام لله.. ومش للطغاة!
.. ولا للى عن حقه نام!
.. وده غير سلامكو .. بتاع أرامكو..
.. اللى ما حدش رآه!!
سلام كلام.. ملغوم .. ومسموم .. وعار..
حاولتوا نشر ثقافته فى كل دار..
ثقافة استهلاك .. وجهل .. وبازار..
فيه الضمير معروض.. شرا .. بيع ..
إجار..
وخليفة الله..
(ابن آدم .. زيه زى الحمار)!
بين، «مول» و«مول» يرمح يشبرق عينيه.
شارى دماغه .. وروشنة طحن نار..
وليل نهار.. منهار.. متنح سفيه.
وعمره لحظة طيش.. وشرفه هزار.
عايش حياة أغوات .. بأخلاق عبيد.


فلسطين بلادنا
فلسطين بلادنا
فلسطين بلادنا
فلسطين بلادنا


.. وبعد الأرض
اغتصبوا الماء
مش معقول؟
إوعي
تتنفس !!
بلكي يقولوا
عنا إرهابيين!

يديها «بيج ماك» .. «بيبسى» .. «شيبسى» ..
فشار
يحلم بـ «هيفا» ويصحى مهزوم وحيد!
يخش ع الشاشات بشوق وانبهار
ويعيش فى وهمه سعيد.!

وإن حشت النار عشة فى قندهار
يقول فى باله :أفغانستان بعيد..!
وكل ناسها .. إرهابيين أكيد.!
.. ويبلع الأخبار .. بشاى القطار!
وحين تشب النار وتشوى الصعيد..
ويهل شيخنا وأبونا إيد حاضنة أيد..
وكل واحد له حدا التانى تار..
يقـول مـثـقـفكو الـسـلامى.. الانهـزامى
البليد.
ده خلاف بسيط .. واتسوى .. بين جار
وجار.
وإن سار نظام صدام بعكس المشار
لهم بصابع الهزاة والاحتقار
تدمروا بغداد هارون الرشيد..
وترموا تاريخ العراق فى النار
وتصلبوه على حافة الانتحار..
رافعين شعار عار.. شرق أوسط جديد..!
.. ويقـول مـثـقـفكو الحـرامى الإمـعـة
المستفيد:
وادى الأمارة
الدم ده دم الخلاص للوليد!!
ولما تخـتـار «غـزة» تحت
الحصار..

تهج المقاومة.. تقولوا: «بئس الخيار»
وتشبعوها حصار ... وجوع ... وانهيار..
يقول مثقفكو بهوان العبيد:
«حماس - مدانة» .. وشعب غزة عنيد....
وده عقاب مين عاب فى حق الكبار..
.. وإن استجار .. لا يجار..!
ويوم ما نصر الله يقوم باقتدار...
ويفل بإرادة الحديد... الحديد..
ترغوا بسفه
بتحسبوه فلسفة
وتصرخوا بشفقة وشماتة مقرفة..
«دى خسارة لسياحة وتجارة وعمار!
«دى مغامرة مش محسوبة ومكلفة!
.. ويخش لبنان معمودية النار..
وبعد وقفة عز .. صار لانتصار..
وإنهار طاغوت العنكبوت .. وانكفا..
والعجرفة انكسرت .. وزهوه انطفا..
جايين تلموا الدور .. وتلووا اللى صار..
أول كلامكو الانتصار اتنفى..
وحسبتوا حسبة بالدنيا والدولار..
رغم اعترافات العدو بأنها كلها ع القفا!
والوقت بتحاولوا .. بحيلة ولفلفة..
تجردونا من السلام بالحوار.
.. وتجـرجـرونا ضـعـاف لـبـرتيـتـة قـمـار
مجحفة
ويقول مثقفكو بغبا وعجرفة:
«ده سلام هلال شيعى.. و.. خطر ع الجوار»
(وكأن يعنى إسرائيل جار.. وجار!)
وبلاش مقاومة.. كفى مقاومة.. كفى

ويـالمداومـــة..ع المســاومـــة .. التـســويـة المنصفة..
ح نجيب سلام فيه الشفا والازدهارا..
وينام سلام فياض جوار الجدار..
على ريش نعام..
يحلم بمن وسلوى متستفة
ومبادرة بعد مبادرة .. دقنا المرار..
فى دنيا كوسة.. وقرع طلع خيار..
إشى أردنى .. واشى أوسلو .. وإشى فى الخفا
وإشى فى العلن.. ودى تهـدئة .. وده انفجار..
تلاتين سنة .. وانتو على زحلفة..
من خيبة لمصيبة .. ومن عار لعارا
بإدارة نية .. ونية متكتفة..
بتـدفـعـونا تمن سلامكو اللى اتولد فى الحرام
يا أجبن الحكام..
يا غرقانين فى طين جهالة وعطن..
مفيش سلام بين بندقانى وحمام

والديب مازال ديب مهما غنى ورطن.
يا أجهل الأصنام..
يا مهرولين بره التاريخ والزمن
الاستيطان.. عمره ما يبقى وطن..
ما حصلش مرة أمر واقع دام..
واللى جرى لمانديلا درس وعلام..
العودة حق .. ما يتقايضش
بتمن..

والقدس عاصمة شعبها المؤتمن
وسلامنا جاى جاى..
.. رغم أى كلام وأى ضلام..
وكأنه شمس الحق شق الغمام
وأصحوا بقى للكلام:
غزة فى حصار .. الإنسانية فى خطر..
وبينفلت من بين إيديكو الزمام..
سلامك الموءودة فى مهده اتقبر..
وشعوبنا طلاب حق .. طلاب سلام..
ومع الجميع .. إلا وحوش التتر..
وسلامكم استسلام
وبرغم ضمانات عمكو «العم سام»
سلامكم ابن الحرام
لا كان .. ولا ح يكون .. ولا له آتر..
يا للى اتعميتوا جشع .. وجبن .. وبطر
والاستكانة للمهانة سابتكوا أشباه بشر
والذمة معدومة .. وضميركم حطام
ليل الخيانة عمى بصيرة وبصر
والحق نور يجلى العقول والنظر
والشعب رب الدار.. ورأيه تمام..
يقول كلامه .. ويستجيب القدر..
يعنى اسمعوا .. وعوا .. شعب قاوم وقام
أوح تلاقوه.. قامت قيامته وزام
وكنس عليكو المقام
وح يستجاب لدعاه .. وإلا انفجر
وإن لم تبصوا له بعين الاحترام..
تستاهلوا ميت مليون.. «حذاء منتظر»..

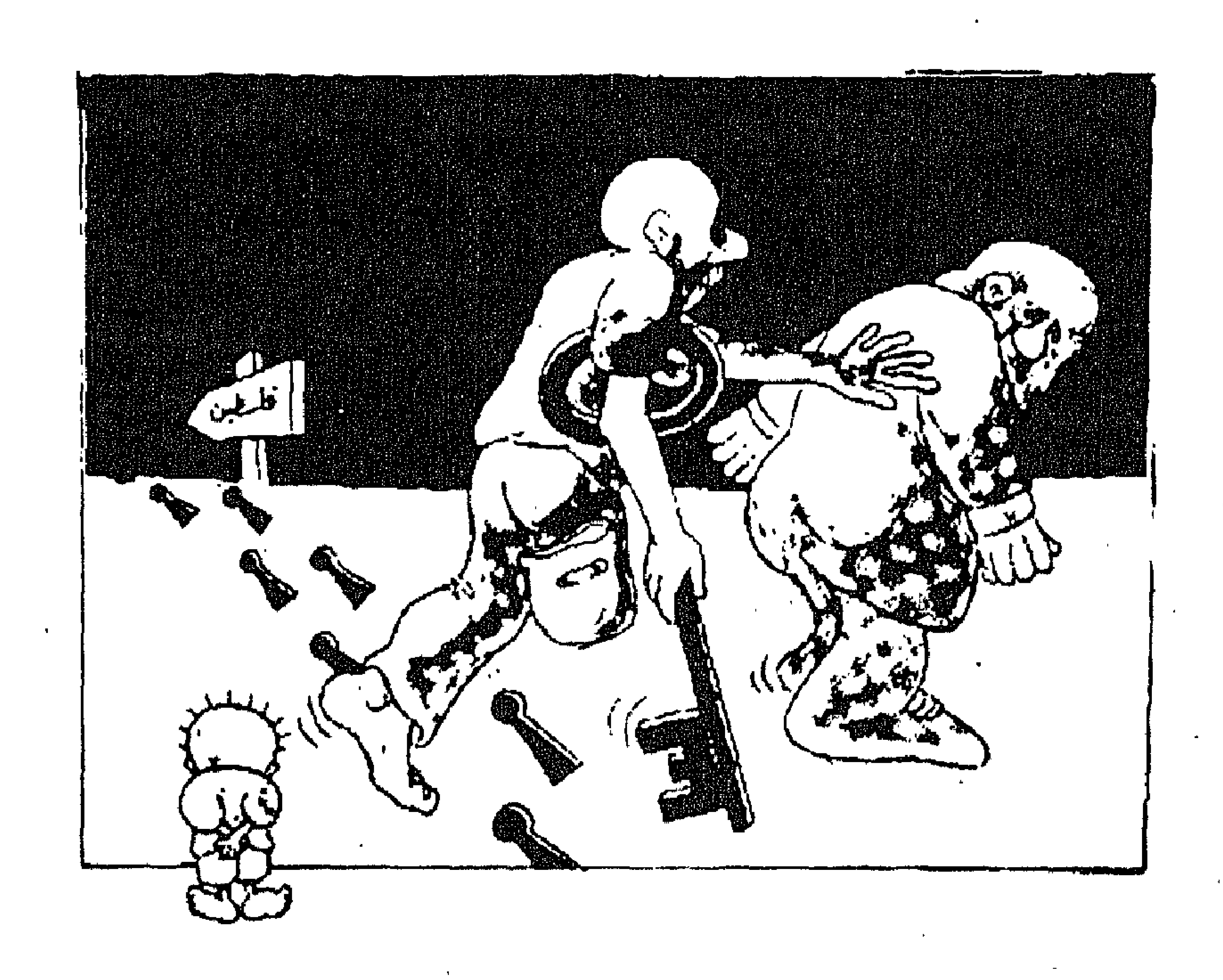
(٢)

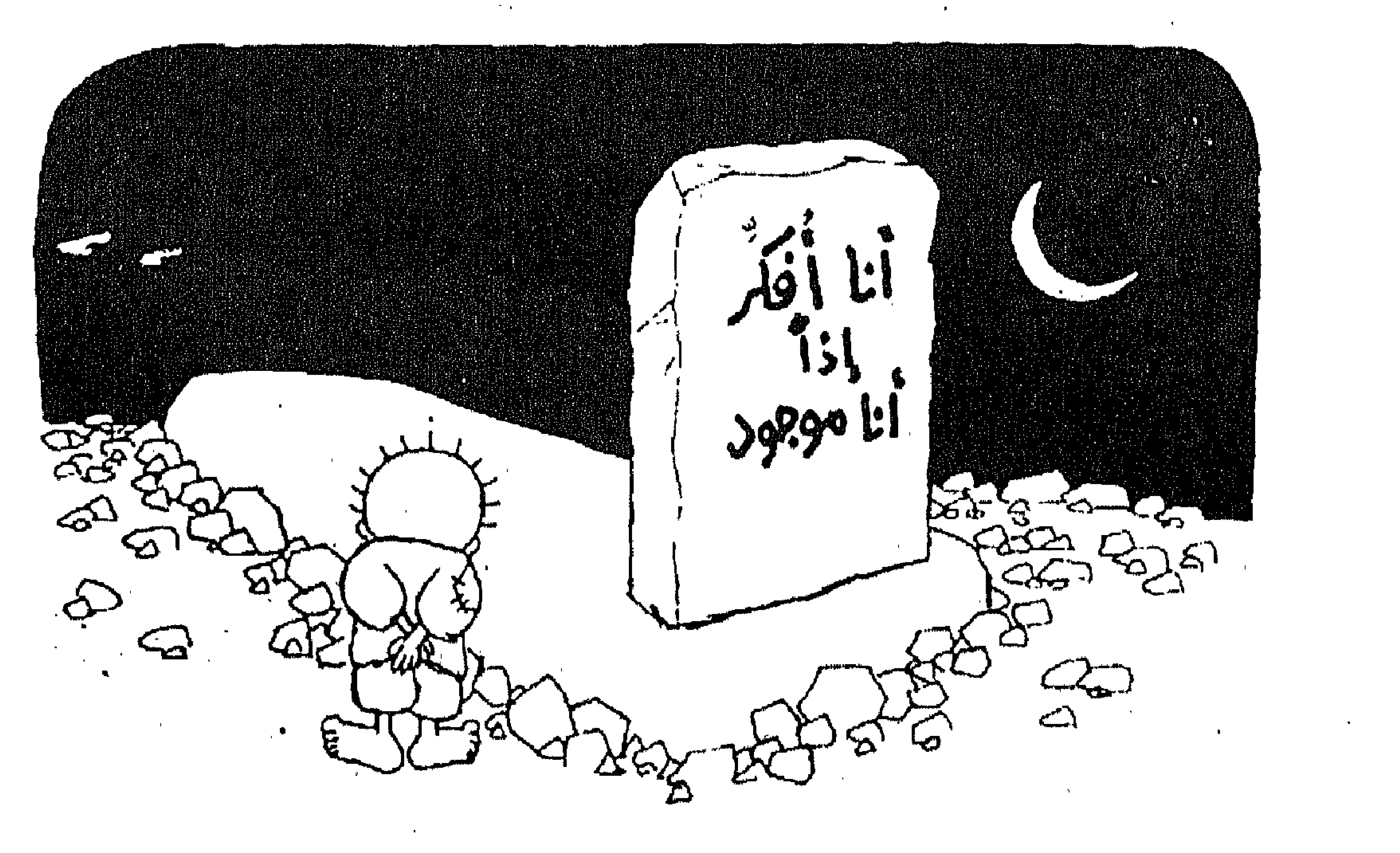
جميع ولاة الأمر: دنيا ودين..
كافة عموم ضلالية مستأسدين..
مستفردين بالأمر .. متنمدين..
كل اللى لابدين فوقنا ومأ بدين
ياللى انتو مش منا..
ولا انتو أصحاب فضل ولا منة
بس انتو حاكمينا وشاكمينا وظالمينا
بالجهل والعجرفة
وآيات كتب دموية متحرفة
يا عقول قديمة خالية م المعرفة..
عديمة القيمة.. ماليها إلا القديمة شفا
يا عيون لئيمة فى الكد والصفا...
(لكن كريمة من اللى شوفها اختفى).

يا قلوب سقيمة .. سئيلة مستظرفة..
توعد وتخلف.. ومجافية الوفا..
يا ديول خيول منفوشة متزخرفة
حقيقتها باينة لكل
مين له عينين!
ح تعملوا ازاى فى الطوفان الجاى؟!
ح تهربو لفين منه يا غفلانين؟!
لاليكو حجة .. ولا الزمان نساى؟!
ولا انتو شايفين الطوفان جاى منين!
بالعقل يعنى .. ح تشوفوه..
.. أو تعقلوه ازاى؟!
.. وعقولكو موضة قديمة..ع

أصولية تقفيل عصر «طومان باى»
فاضية.. وملانة هوا .. اتخنق طيره
وطوى الجناح..
.. راح يابا فى الباى باى..
عقول غباها بكر.. ويخيره
لوطالها فكر .. تدور.. تجعر: جاى
زى «ابن باز» ما أجاز له تشخيره
تكفير جاليليو وميكى.. والترماى
جاى الطوفان .. ح توقفوا سيره
وميت يمين.. لا تقدموا له الشاى
ولابد ما تبدوه على غيره
ولا ح تجرواتو حوحو : يا أماى!
وكله يجرى يخش لسريره
ويكش يتخفى ورا صباعة وضوافيره

ولا ينط النطة .. زى الياى
لورا جدار عزل ياما طلبنا تكسيره
ولا يروح واخد أضابيره
لمنطقة خضرا .. صارت حمرا .. يا مولاى
ولا تواجهوا بشراسة بلطجية قواى
وتجرجروه بخزام فى مناخيره
ع المحكمة اللى ف «لاهاى»..
ينطس حكم يلوص فى تفسيره..
ينشل تفكيره..
ما انتو القواى الغناى
وح ترسموا له مسيرته ومصيره..
لاه.. انسوا .. ما تفكروش
وتفكروا ليه؟ وانتو ما تستروش..
حبة ديول فوق كروش..


فلسطين


أنا أفكّر
إذاً
أنا موجود

وعشوش فاشوش ع العروش..
يمكن ما توعوش لما ييجى الطوفان
إلا وقد كان فجأة غطى المكان..
وح تعرفوا لما يطول التيجان..
إنه أقوى منكو : انتو .. وبيجن .. وبوش..
وإنه جاى من الجهات الأربعة..
يغسل هوان السنين..
فيضان خيول مخبولة متصريعة
أمواج .. وتطوى الأمعة السعرانين..
تكسح تيجان حكمت بحطة وضعة..
وعروش خيانة خاوية متصدعة..
وكروش وحوش سفت دما الشقيانين
جاى الطوفان هدار ومن دار لبيت..
لقصوركم العالية.. ومالكم مغيت
إكمنة جاى من غيم غياكو الغتيت
م العمة فاض.. غمى الجبين والعينين!

جاى من جشعكو وحرصكو المستميت..
ع العمى والكرسى وحكم الفساد.
لبلاد فى سن الرشد .. فاقدة الرشاد
جاى الطوفان فى ميعاده ،يا قوم عاد،
جاى من دموع تماسيح فى وول ستريت
بيغنوا دور ،أنا هويت وانتهيت،
وأخرة الزمر العبيط طيط وطاط..
جاى م الحرملك .. ولا جاى م البلاط؟!
من شهوة التوريث لواد م الولاد..
أو لعبة التمديد ومن غير زياط
جـــاى من مناورات الدولار
والسولار..

ومن مضاربات الدولار ع العقار..
ومن عقار .. بار.. خض.. عض الدولار..
وياروح ما بعدكش روح!
ولا كتر نوح يشفع .. ولا فلك نوح..
ينفع .. ده طوفان هاج وماج ع الجبال
آه ياشماتة كارل ماركس فيك يا رأس المال!
ميزانك اختل مال..
بين السطوح والسفوح..
والطم يا رأس المال خدودك ونوح!
ويا دنيا دورى.. انزاح ياليلنا وروح!
من الساعة دى الدنيا ح تروح شمال..
من فوضى إنتاج.. لارتباك اقتصاد..
للانكماش .. لبطالة فوق لاحتمال..
ومن جنون زاد بين مضاربة ومزاد..
ومن توحش راسمالى لكساد.
من اكتمال نقص لزوال الاكتمال..
لا الاشيا معدن ياد ولا الحالة عال.
وأتاريه سراب كداب خايلنا وزال
وبصور ومال ع الرمال
وادى اللى كان ماركس مشاور عليه
ولينين، النبيه
جالسه وسعى لحصاده قبل الأوان.
وانتى ابراهام لتكولن ،ماحلمش بيه،..
ادى اعتى بلدان الزمان.. استكان
ينفى واحد من لأمريكان لافريكان
على الله يلقى الحل..

.. ده اللى فى ايديه..
يشفى اختلال الميزان..

أدب ونقد

بين وفرة كافرة.. وهيمنة وهيلمان..
وبين شقا وحرمان فى عالم سفيه..
وما بين جنون البنتاجون الجبان..
وبين شعوب تحلم بعالم نزيه..
لايبعها ولا تشتريه..
ودى مش نهاية التاريخ!
دى قيامة قايمة .. جايبة داغ المسيخ
أبو رأسمال دجال كريه العبان
فساده كان منه.. فيه.

(٣)

يا معشر القانيين الوف ملايين!
يا خيخة يا طربين.. ومقربين .. ومهربين
ومش قادرين!
ياللى انتو ناسيين.. أنكم رايحين ومش
جايين
يا أيها الفانيين..
جاى الطوفان من فضل رب العباد..
على الغلابة فى زمان الضنين
جاى يمحى مين ساد بالفساد فى البلاد
ويحمى أحلام أهلنا العشمانين
ويحيى فى قلوبنا الحنين والعناد.
جاى من دموع ناسنا العدالى البساط
أو شراباتات ليلة فرح وانبساط..!
.. أو .. من براكين الآهات والآنين..
جاى الطوفان جبار .. وح
ياخدكو باطل..

وانتو وعيالكم غرقانين.. غرقانين
جاى الطوفان .. جاى شايل الماضى..
يكسح فى وشه الماضى والحاضر
فيه طيبة زادت هيبة القاضى
له نظرة النسر فى عيون «ناصر» لنصر
«نصر الله» اللى كان قاضى..
وبشرنا بالمستقبل الناضر..
جاى رمح .. رنح.. تقولش مش فاضى..
يؤمر .. وأرض الله تقول : حاضر..
وترضى حكمه.. ولا مش راضى..
الأمر امره .. وعزرائيل حاضر..
وبكره للناظر
قريب .. بدون ما نقول ولا نصادر.

(٤)

سرح خيالى فى منام..
شفت الطوفان جا .. وبوداعه وسلام
ورمى عليكو السلام
سلمتوا بإيدين نجسة من عار السلام
بالأيد
على سفاحين غزة عليها السلام
سحب إيديه ورمى السؤال من بعيد:
عملتوا إيه فى السلام؟
قلتوا له سمسمناه .. وسممناه..

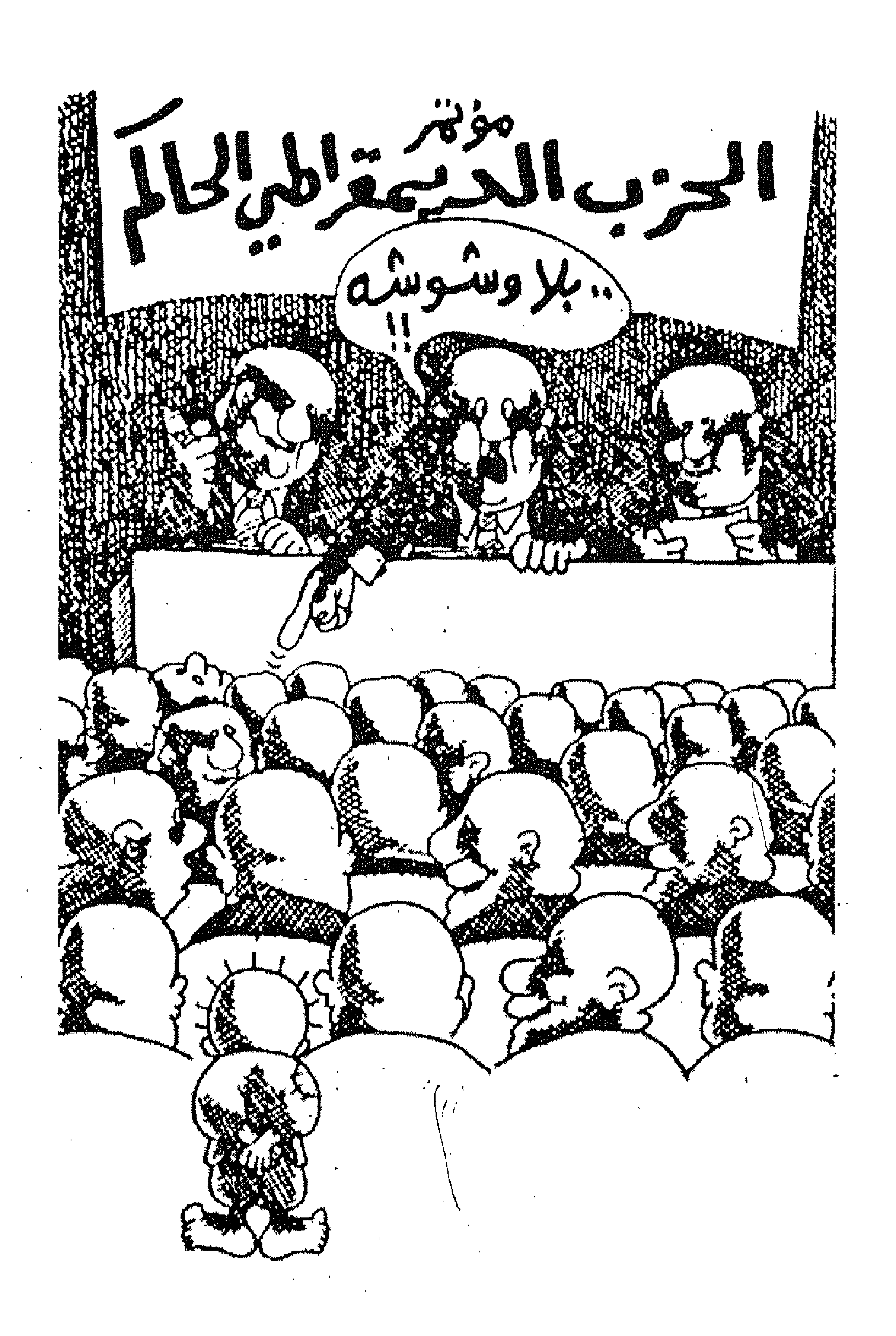
.. وسمناه .. وعممناه..وسلمنا وعملتوا
إيه فى النظام؟!

رديتوا: أسسناه.. وهندسناه..
وقدسناه.. وعسعسناه.. وسلمنا!
وعملتوا إيه فى العلام؟!
قلتوا له: خسستاه ودجناه وكسكسناه..
.. ولجمناه .. وبلمنا!
وعملتوا إيه فى الرأسمال الحرام؟
رديتوا للمناه .. وأسلمناه .. وكومناه
وعومناه.. وتلمنا.
قال الطوفان: مليش معاكم كلام..
.. ولقيتنى باصحى وادوب فى قلب الزحام..
ورأيت فلسطين قايمة من بين الحطام والركام..
فى غزة.. وصمود غزة للعدوان يعلمنا

(٥)

جاى الطوفان.. يا خال..
شى لا خطر على بال!!
ولا يطوله .. ولا يحوطه .. خيال!!
طوفان بقى مش سيل ولعب عيال!
فيضان جنون .. يغلى بغضب مخزون
براكين نيران تنشق عن أمواج فى ريح مجنون
وسيول خيولها محروقة لا تعطى عليها تلال
ولا بروج عاتية وأعالى جبال!
لكنه طوفان برضه فيه روح
إنسانية حنون..
يقرأ العيون..
يقرأ اللى فى قلوب البشر سكنون
وعنده ألف جواب لأعوض سؤال

تقولش علمه لدنى واتكشف له سر الكون..
بقى عبد ربانى يقول (للشىء كن .. فيكون)
ولا ولى وعارف من العارفين
ده عارف أنتو ليه كده آنذال!
وكلكم مع بعضكم .. ايد واحدة مختلفين!!
بتقدمو لناسكو دسم فيه سم..
ومشيتوا ورا مجانين ومنحرفين
فى المنظرة والجخ محترفين
وغواة زنا.. حتى بوطنكو الأم
عايشين على التساليك.. وع الأسافين
والطبالين واقفين على الصفين
عيون غليظة وكدب ملوا الفن
شايفين غباءكوا اللامع الجبار أخدنا لفين؟!
من جهلكو.. بتستهلكو.. مال أهلكو..
ومن أهلكو خايفين!
ومع اللى شربوا دم أطفال قانا متحالفين؟!
والدم غطى الكم..
فرسان هلاوس كوكايين زايفين..
وخسرانين دنيا ودين.. ودون وحالكوا


مؤتمر
الحزب الديمقراطي الحاكم
.. بلا وشوشه !!

يغم!!
سممتونا بالتسويف وبالتخويف..
سقتونا بالتدجيل وبالتضليل.
بعتونا واشتريتونا بالتزوير والتزييف..
وشعوبكم اللى يفترض إن انتو حكامها..
بهدلتوا هندامها..
شليتوا أقدامها
بعترتوا راياتها وكراماتها وأحلامها
وبالأصفر الرنان.. وحد السيف
نجستوا بيت مقدسها وحرمها..
ركعتوا أهرامها
لاولاد حرام .. وزمن ضلالى سخيف..
وفى عز ما انتو فى خريف تخاريف..
صدح «بلال» بالآذان..
آذان صلاة الطوفان..
بصوت كأنه نسمة م الجنة ف اليالى الصيف:
الجاه لكو.. ومن جهلكو..
لا نجاة لكو.. إن جه لكو..
.. طوفان يشيل ويزيل
ما عادش ينفعكو لا تجهيل ولا تجميل
وما عادش فى أيديكو ولا تسوية ولا تسويف
جاى الطوفان..
جاى واللى بعده مخيف.

جاى الطوفان والجاى بعده مهول..
ح يقول ويعمل حاجة فوق القول
وقوالته فعل .. وكلكم .. مفعول
به مش لأجله. بس مش حاسين..
جاى ينصف المعقول من المنقول
وينصر المظلوم على المسئول
ويهزم السيف زى دم «الحسين»
بالوصل بين العلة والمعلول
وبزقزقة فيروز وشدو القمرى والحساسين..
بصفاء «سما» مولاى جلال الدين» وسورة «ياسين»
ويعزم «جيفارا» و«يسوع» والشهداء القديسين.
ويزهد «غاندى» وعقل طه حسين..
ويحلم بوليفار وتفسير شافيز
وبانتفاضة القدس ع النخاسين..
وبانحسار الصهيونية ووهم «شمعون بيريز»
جاى الطوفان.. مالهوش كبير أو عزيز
لا أبالسة متغطرسين..
ولا إمعة موالسين ولا مدلسين..
جاى الطوفان أمواج ورا أمواج
من هارلم السمرا وضفاف السين وقلب باريز
ومن اليونان والصين وبغداد الرشيد وبراج
شبان .. صبايا خضر.. متحمسين..
فرادى أو أزواج..
جماعات وزفواج جاية ورا افواج..

(٦)

من آسيا من إفيريقيا .. وبلاد اللاتين
لأمريكان..
قاريين بريخت ولوركا.. ويامتوا ببنى
جيران
شايلين رايات «المجد للإنسان»
خليفة الرحمن..
.. قلوب لا يغويها دهب وهاج..
ولا تنتفض م الخوف من الكرباج
جايين وحالفين ياخدوا تأرنا..
.. وتار عبيد الرومان..
والوقت آن الأوان..
ولكل وقت أدان..
ونقول نوينا نقيم صلاة الطوفان..
دى الإنسانية غنية رغم اللى كان..
وجرس قيامة الإنسانية آهو دق..
م المسجد الأقصى وطالعة البتول..
تصحى «طيبة» و«هابو» و«أبو الهول»
ويدن الديك والضلام ينشق..
ويفج فجر الحق..
والشمس تضوى ع العشش م
وتهب ريح قبلية .. روحكو تطق
تهوى العروش..
كما عهن المتفوش تزول
نلقى الشعوب بتنول ..وتاخد حقها
المستحق
ما اللى يستأهلوا الغرق والحرق
مين حرموا ع الخلق قولة ، لأ
بيصرخوا على طول بصوت مذلول
ويبصوا بغباوة وعته وذهول
لمصيرهم المجهول..
وربنا اسمه الحق وحسابكم معاه ح
يطول..
والعمر - وإن طال - يا طوال العمر
مايدومش لا للبيض ولا للسمر
وبكرة كل المستخبى يبان
وتفوقوا من سكر الليالى الحمر
على الطوفان جاى فى الميعاد غضبان
قاصدكو بالذات .. عارف العنوان
يا مرحبا.. و..
والله زمان يا طوفان.

اختفى نورها ف ضبابها!

ماجد يوسف

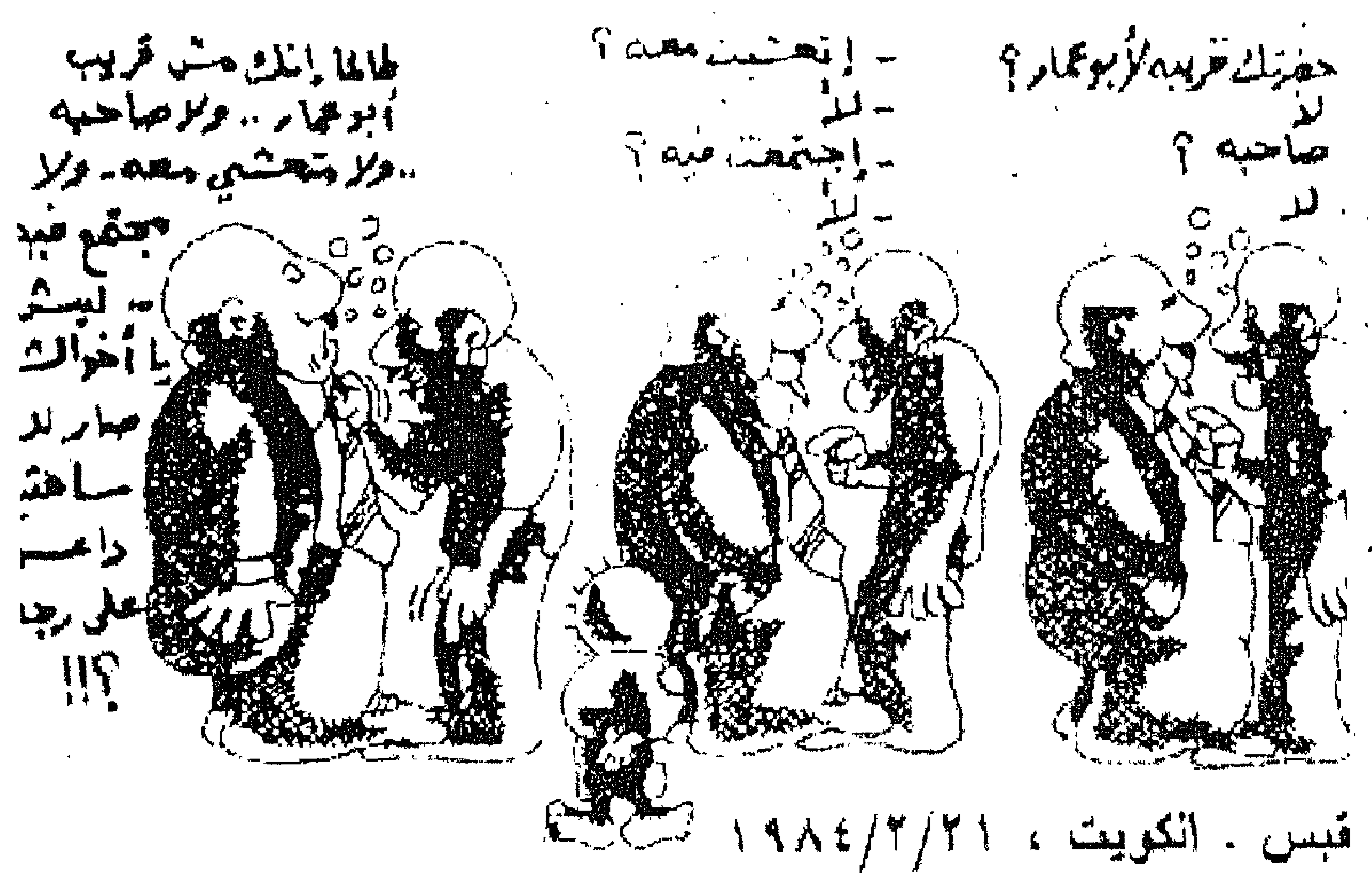
كل حاجة ف بقى مره
ماشى حاسس بالمعره
وفوق خدودى الدمعة حرى
بابكى.. من مصر.. انسحابها

بابكى من عجزى ف بلادى
ومن سكوتنا للأعادى
وم الخجل قدام ولادى
.. وبسبب مصر وغيابها

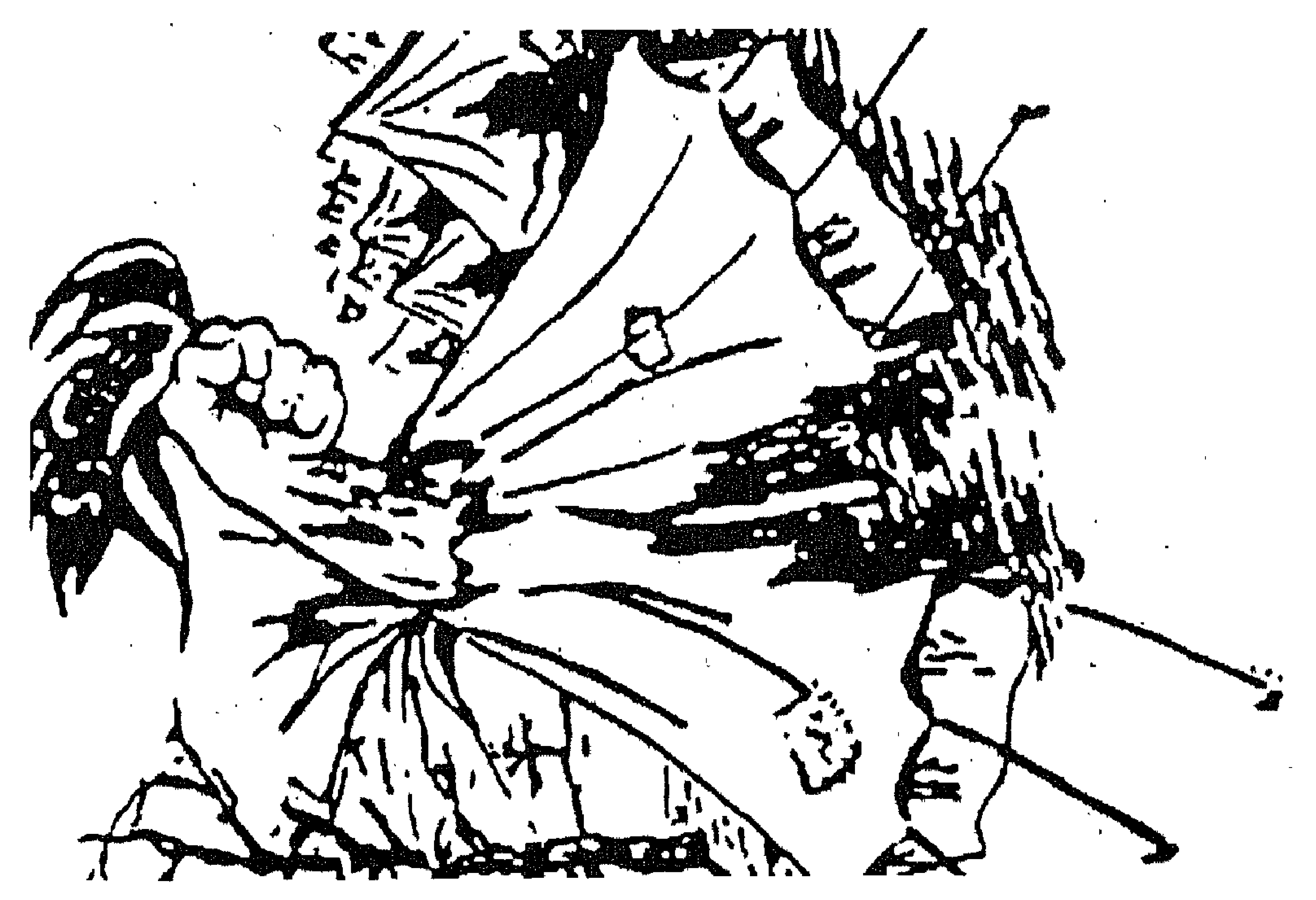
.. عن فلسطين محتاجه لها
هى والصناديد رجالها
مش كده تخيّب أملها
وتلزم الصمت ف مصابها!!

والمجازر بحر فايض
واحنا بنقدم عرايض!
ع الدما قاعدين نقايض!
والتمن غزه وشبابها!!

يا فضيحتنا ف القياده
اللى مش حاسه بسياده
واللى مسلوبة الإراده



قبس . الكويت ، ١٩٨٤/٢/٢١



.. عند أمريكى اغتصبها

واللى من يومها مهيضه
عايشه محنيه ومريضه
وللأسف حالتها عيضه
.. من سياساتها وهبابها

.. افتقرنا بتخطيطاتهم
وانحدرنا بتخبيطاتهم
وانحصرنا بتربيطاتهم
.. ف الرخاوه.. وبسببها

مصر راحت فين يا أمه؟
اللى كانت أعلى قمه
لفلفوها بألف غمه!
واختفى نورها ف ضبابها!

مصر كشت للديابه
وهى كات صاحبة مهابه
عجّزوها وهى شابه
واليهودى جه صَلَبْها

ايه الدلاله من انسحابك
عن شقيقك دق بابك
والعدو استثمر غيابك
.. ف افتراس غزه وصحابها؟

وايه المعانى ف قفل معبر

من خلاله غزه تقدر
..ع الصمود وبدرجه أكبر
هو دا مريط عتابها

التخلى مريب وفاجر
عن ثوابت شعب ثائر
عن قيم بلورها «ناصر»
ياما خاض بينا ف عبابها

والثوابت أمن قومى
للدفاع عن حق «قومى»
ليه تقول لمصر ساومى
والمبادئ مين سلبها ؟!

هوّ فيه فصال ف المبادئ؟
واللى «كداب» واللى «صادق»؟
مين بيخصى لهنا البنادق؟
ولسلام عاجز سحبها ؟

والقرار مش ليك.. دا لينا
احنا ركاب السفينة
وانت مش أحكم مافينا
.. لما تلعب ف انتسابها

مصر جزء من العروبه
وسد مبنى طوبه طوبه
فى ظروف آخر صعوبه
مش من الحكمة اجتنابها

فيه تاريخ / جغرافيا.. رسموا
للمصير المصرى اسمه
والعروبه هى جسمه
بس مين يقرا ف كتابها؟

التاريخ حدد قواسم
للى حاضر واللى قادم
والتخلى عنها صادم
.. خد بلدنا إلى اغترابها

انتماء مصر.. لمحيطها
من خليجها إلى محيطها
مين بقى اللى وطّى حيطها
.. وليه يحوشها عن عربها؟!

وليه دا كله.. لأى غايه؟
ضرب وطنى ف النهايه
بحرق كل تاريخ ورايا
وانكر الدم ف ترابها؟!

نجحوا فى مصر الأبيه
يخرّجوها من القضية
ميته والشكل حيه
وعايشه محكومة بعذابها

اللى يلعب ف الثوابت
يبقى كل سياسته خابت

أدب ونقد



www.naiialai.net



بكره يلقى خيوطه دابت
يحتمل مصر وعقابها

مصر مابتنساش خيانه
للثوابت والأمانه
بكره راح تيجى الإدانه
لكل مين اضعف عصبها

.. بالعبث بيها بسهوله
.. فى السياسات الجهوله
.. ويرؤى العجز المهوله
.. اللى ح تولع غضبها

ترفض الدعوه لقمه
فى الساعات المدلهمه
ترتبك بسببها أمه
... عاجزه تستكمل نصابها

أى حكمه فى السياسى
لما يضربنى ف أساسى
ينفصل جسمى وراسى
مين يقول لى ازاى حسبها ؟!

أى جدوى .. وأى معنى ؟
ف اللى راح بسهولة باعنا
واللى مش حاسس وجعنا
واللى خاض حربه وكسبها


صباح الخير
يا بيروت


أنا عندي حل
نعلّم أولادنا
السباحه والرمايه
و.و.و.و
وهيك ممكن نتخلص
من أميركا وأصدقائها
الله
يقصف عمرك

.. ضد أهالينا الضحية
.. بالسياسات الدنيّه
.. والخيارات الغبية
.. واللى بيهلل كلابها

مصر للأمه ميزانها
مركز الروح واتزانها
هى إيمانها وأمانها
.. مش هوى لهاوى لعبها

التاريخ لازم يحاسبك
ع اللى ضاع منا بسببك
والتردد خوفه حبسك
.. ف الجريمه وارتكابها

بكره نسمع .. بكره نقرا
كل أبعاد المؤامره
والشعوب هىَ اللى أدرى
.. بمين قاتلها.. ومين طبيبها

كل لقمه ف حلقى مره
ليل/ نَهار عايش معَره
فوق خدودى الدمعه حرى


سامحني يا رب
كنت مجنون.. كنت أهبل.. كنت أصفق لما يقولوا
دهم حرروا فلسطين.. كنت أتوه بكلامهم
التوبة يا رب
التوبة
التوبة
التوبة

بوش: ارحل وعارك في يديك

فاروق جويدة

ما عاد يُجدى

أن يفيقَ ضميركَ المهزومُ

أن تبدى أمامَ الناسِ شيئاً من ندمْ

فيداكَ غارقتانِ فى أنهار دمْ

شبحُ الشظايا والمدى قتلى

ووجه الكونِ أطلالٌ.. وطفل جائعٌ

من ألفِ عامٍ لم ينمْ

جثثُ النخيل على الضفافِ

وقد تبدل حالهُا

واستسلمتْ للموتِ حزناً.. والعدمْ

شطآن غزةَ كيف شردها الخرابُ

ومات فى أحشائها أحلى نغمْ

وطنٌ عريق كان أرضاً للبطولةِ..

صار مأوىً للرممْ!

الآن يروى الهاربونَ من الجحيمِ

حكايةَ الذئبِ الذى أكل الغنمْ:

كان القطيع ينام سكراناً

من النفطِ المعتَّقِ

والعطايا.. والهدايا.. والنعمْ

منذ الأزلْ

كانوا يسمونَ العربْ

عبدوا العجولَ.. وتوّجوا

الأصنامَ..

واسترخت قوافلُهم.. وناموا كالقطيع

وكل قافلةٍ يزينها صنمْ

يقضون نصفَ الليلِ فى وكرِ البغايا..

يشربونَ الوهمَ فى سفحِ الهرمْ

الذئب طافَ على الشواطىء

أسكرته روائحُ الزمنِ اللقيطِ

لأمةٍ عرجاء قالوا إنها كانت. وربُّ

الناس.

من خير الأممْ

يحكون كيف تفرعنَ الذئبُ القبيحُ

فغاصَ فى دمِ الفراتِ..

وهام فى نفطِ الخليجِ..

وعَاثَ فيهم وانتقمْ

سجنَ الصغارَ مع الكبارِ..

وطاردَ الأحياء والموتَى

وأفتى الناسَ زوراً فى الحرمْ

قد أفسدَ الذئبُ اللئيمُ

طبائعَ الأيام فينا.. والذممَالأمةُ

الخرساءَ تركع دائماً

للغاصبين.. لكل أفاق حكمْ

لم يبق شىء للقطيعِ

سوى الضلالة.. والكآبةِ.. والسأمْ

أطفالُ غزة يرسمونَ على

ثراها ألفَ وجهٍ للرحيلِ..

وألفَ وجهٍ للألمْ

الموتُ حاصرهم فناموا فى القبورِ

وعانقوا أشلاءهم

لكن صوتَ الحقِ فيهم لم ينمْ

يحكون عن ذئبٍ حقيرٍ

أطلقَ الفئرانَ ليلاً فى المدينةِ

ثم أسكره الدمارُ

مضى سعيداً.. وابتسمْ..فى صمتها

تنعى المدينةُ

أمةً غرقتْ مع الطوفانِ

واسترختْ سنيناً فى العدمْ

يحكون عن زمن النطاعةِ

عن خيولٍ خانها الفرسانُ

عن وطنٍ تآكل وانهزمْ

والراكعون على الكراسى

يضحكون مع النهاية..

لا ضميرَ.. ولا حياءَ.. ولا ندمْ

الذئب يجلسُ خلف قلعته المهيبةِ

يجمع الحراسَ فيها.. والخدمْ

ويطلُ من عينيه ضوءٌ شاحبٌ

ويرى الفضاء مشانقاً

سوداءَ تصفعُ كل جلادٍ

ظلمْ

والأمةُ الخرساءُ

تروى قصة الذئبِ الذى

خدعَ القطيعَ..

ومارسَ الفحشاءَ.. واغتصبَ الغنمْ

ü ü ü

ارحلْ وعاركَ فى يديكْ

مازلت تنتظر الجنود العائدينَ..

بلا وجوه.. أو ملامحْ

صاروا على وجه الزمانِ

خريطةً صماءَ تروى..

ما ارتكبتَ من المآسى.. والمذابحْ

قد كنت تحلمُ أن تصافحهم

ولكن الشواهدَ والمقابرَ لا تصافحْ

إن كنتَ ترجو العفو منهم

كيف للأشلاءِ يوماً أن تسامحْ

بين القبورِ تطل أسماءٌ..

وتسرى صرخةٌ خرساءُ

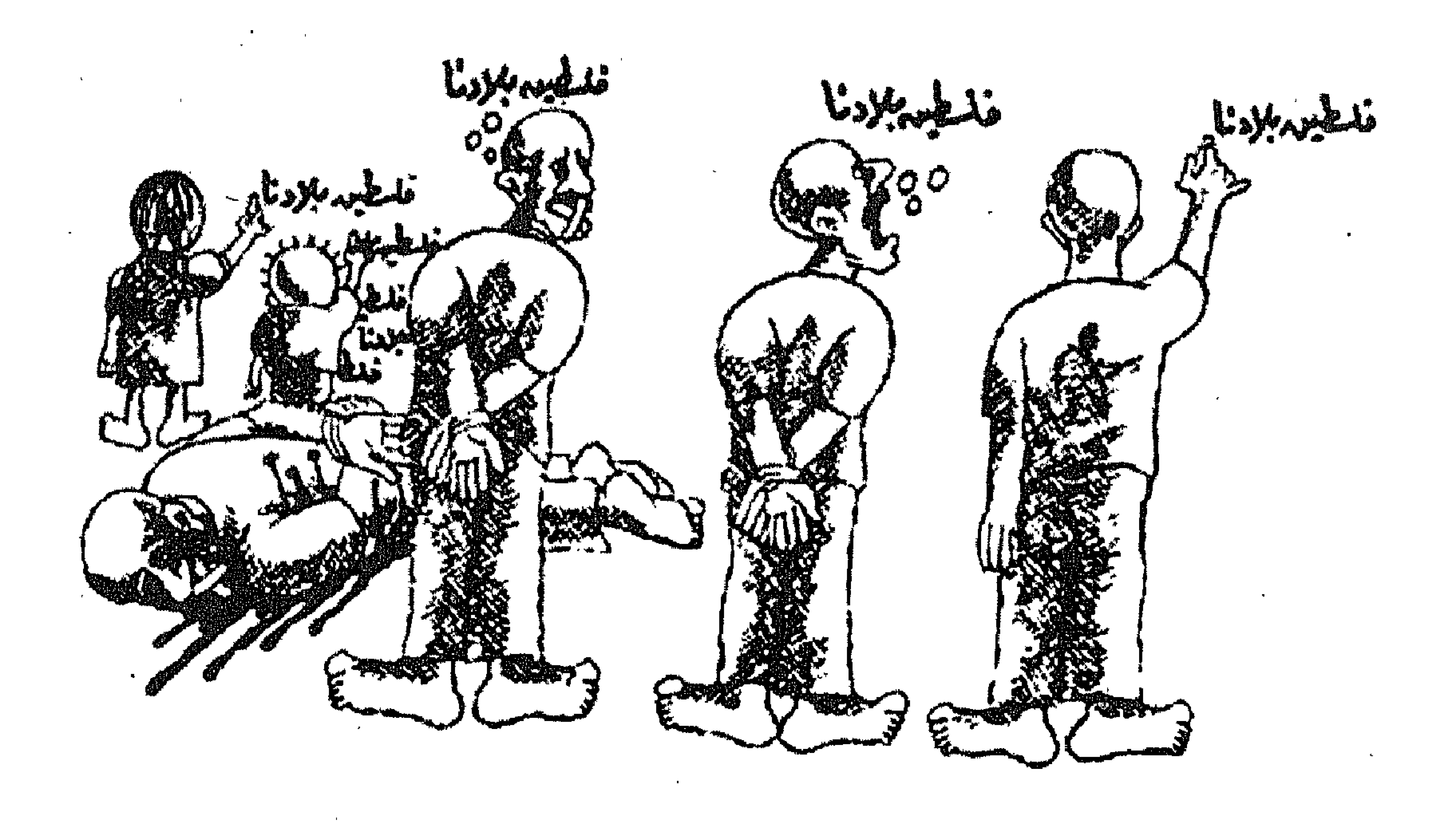
نامت فى الجوانحْ

فرقٌ كبيرٌ

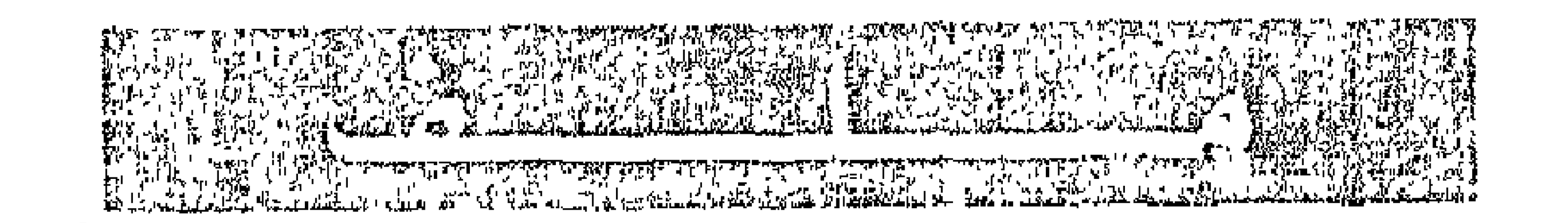
بين سلطانٍ يتوّجُه الجلالُ

وبين سفاح تطارده الفضائحْ

ü ü ü



الآن ترحل غيرَ مأسوفٍ عليكْ
فى موكبِ التاريخِ
سوفَ يطلُ وجهك
بين تجارِ الدمارِ وعصبةِ الطغيانْ
ارحل وسافرْ..
فى كهوفِ الصمتِ والنسيانْ
فالأرضُ تنزع من ثراها
كلَّ سلطان تجبر.. كلَّ وغدٍ خانْ
الآن تسكر.. والنبيذ الأسود الملعونُ
من دمع الضحايا.. من دمِ الأكفانْ
سيطل وجهك دائماً
فى ساحةِ الموتِ الجبانْ
وترى النهايةَ رحلةَ سوداءَ
سطرها جنونُ الحقدِ.. والعدوانْ
فى كل عصر سوف تبدو قصةً
مجهولةَ العنوانْ
فى كل عهدٍ سوف تبدو صورةً
للزيفِ.. والتضليلِ.. والبهتانْ
في كل عصرٍ سوف يبدو
وجهك الموصومُ بالكذبِ الرخيص
فكيف ترجو العفو والغفرانْ
قُلْ لى بربكَ..
كيف تنجو الآن من هذا الهوانْ؟!
ما أسوأَ الإنسانَ..
حين يبيع سرَّ اللّه للشيطانْ



الأدب فى أسوان:

الدفء يأتى من الجنوب



إعداد:

أشرف عويس وجمال عدوي

المشهد الروائى فى أسوان

أحمد الليثى الشرونى

وربما يعود السبب فى ذلك بأن المكان الجنوبى عموما والأسوانى خاصة يعيش حالة من التجاهل والإهمال ولا يعرف الكثير عن ما همية وحدود وملامح هذا المكان من هذا المنطلق ركز أدباء أسوان على المكان فحاولوا إبرازه من خلال ذكر حدوده ورسوم شخوصة وإبراز الطقوس والمعتقدات واستخدام اللغة الخاصة به، أشياء كثيرة سوف ندلل بها لاحقاً تثبت لنا أن هذه الخصوصية من الأسماء التى شكلت المشهد الروائى فى أسوان على مدى جيلين، الجيل: الأول يمثله عبد الوهاب الأسوانى والجبل الثانى يمثله أحمد أبو خنيجر وعصام راسم ويوسف فاخورى وهيام عبد الهادى وأسماء هاشم وهدرا جرجس وعبد الرحمن أبو المجد وعماد عزت.

مما لاشك فيه أن المشهد الروائى فى أسوان له حضوصية وملامحه المميزة وتتميز الرواية فى أسوان بخصوصية المكان حيث أن المكان هو البطل الحقيقى فى معظم الأعمال الروائية،

تبدأ مع عبد الوهاب الأسوانى فهو يعتبر شيخ الروائيين فى أسوان وأبرزهم ورغم رحيل عبد الوهاب الأسوانى عن مسقط رأسه (جزيرة المنصورية) بأسوان إلى الإسكندرية ثم القاهرة إلا أنه بداية من رواية حمل المكان فى قلبه وعقله، ظل المكان هو البطل الحقيقى فى معظم أعماله بداية من رواية «سلمى الأسوانية» وصولاً إلى آخر أعماله رواية «كرم العنب» التى صدرت عام ٢٠٠٧ عن هيئة الكتاب وكان قد صدر له أيضاً بين هذين العملين روايات (وهبت العاصفة - اللسان المر - ابتسامة غير مفهومة - أخبار الدراويش - النمل الأبيض)، والأخيرة فاز بها بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٧ وذلك بخلاف المجموعات القصصية التى صدرت له خلال مسيرته الأدبية، فنلاحظ فى رواية «سلمى الأسوانية» أن البطلة بنت جميلة فاتنة وهى أسوانية تزوجت هذه الفتاة وفشل عريسها معها ليلة الدخلة فأشيع أنها ليست بكراً

ومن هنا تصاعدت الأحداث فى مجتمع مغلق مثل هذا، وفى رواية «النمل الأبيض» يحكى حكاية عامر المدرس الذى يعيش فى قرية غرب النهر والمتزوج من فتاة جميلة اسمها الجازية وطلب منه أحد الأثرياء أن يطلقها لكى يزوجها لابنه، والأحداث كلها تدور فى الجنوب، وبدت البيوت الطينية وعمائم الرجال والقبائل والنجوع وهذا الجو لا يختلف كثيراً عما رسمه فى رواية «أخبار الدراويش» حيث صراع القبائل فى الانتخابات وأغانى التراث الجنوبى وكذلك الحال فى رواية «اللسان المر» ورواية «كرم العنب» لقد أخلص الأسوانى إلى مجتمعه إخلاصاً شديداً وقدمه دون تجميل أو رتوش والرواية الوحيدة التى تخلص فيها الكاتب من الجنوب هى رواية «ابتسامة غير مفهومة» تدور أحداثها ما بين القاهرة والإسكندرية.

لم يختلف الأمر كثيراً فى هذا الجانب عند الروائى أحمد أبو خنيجر الذى بدأ الكتابة الروائية فى مطلع عام ٢٠٠٠ وبدأها برواية «نجع السلعوة» والتى حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية، وكتب أحمد أبو خنيجر واقعة الجنوبى بصدق شديد وحاول أن يغوص فى أحشائه لكى يكتب لنا أعمالاً لاقت صدى طيباً عند المتلقى ويتميز أو خنيجر على أقرانه بأنه هضم الموروث الجنوبى جيداً وراح يوظفه فى أعماله، وكتب بعد هذه الرواية روايات (فتنة الصحراء - العمة أخت الرجال- خور الجمال)، فى رواية «نجع السلعوة» التقط الكاتب حكاية من التراث وهى زواج رجل من سلعوة وأنجب منها أولاً أصبحوا بعد ذلك هم أبناء النجع الذى تدور فيه الأحداث والتى صبغها بصبغة سياسية فى المتن، وظل الجنوب بارزاً بشدة فى أعماله من خلال الشخوص والطقوس واللغة، ولكن الجانب المهم فى أمال أبو خنيجر رغم أنه يكتب الواقع الذى يحياه إلا أنه أحياناً يكتب ما لا يراه أو يعيشه إنما يكتب تصوراته وتوقعاته وذلك ما حدث مع الغريب فى «نجع السلعوة» ومع آخرين من شخوص رواياته، ومن خلال كتاباته يتضح لنا أننا أمام روائى يكتب بوعى شديد وهو عاشق للكتابة تشعر أنك أمام كاتب تربطه عاطفة معينة تربطه بالفن الروائى ولذا أصبح من المع أبناء جيله وجعل الرواية فى أسوان تتبوأ مكانة مميزة وإن موهبته تستحق التوقف أمامها طويلاً.

وهناك روائى آخر يجبرك على أن تحب كتاباته لأنه يخلص فى كتاباته إخلاصا شديدا، هو الروائى عصام راسم فهمى والذى بدأ كتاباته الروائية عام ١٩٩٨م برواية «الحروب» ثم تلاها بروايتين هما «رقص افريقى» و«ضجيج الذاكرة» إنه كاتب جاد قادر على أن يعبر عن طموحاتك وآمالك وهمومك، ذلك ما تشعر به وإنت تقرأه، وأيضاً يركز على المكان فى معظم أعماله وهمومك، ذلك ما

تشعر به وأنت تقرأه، وأيضاً يركز على المكان فى معظم أعماله ففى رواية ،الحكروب، جعل مسرح الأحداث داخل ضاحية ،الحكروب، بأسوان وكذلك فى رواية ،ضجيج الذاكرة، كانت ضاحية أطلس بأسوان مسرح الأحداث وفى رواية ،رقص أفريقى، جعل بحيرة السد العالى مكان الأحداث، وكان يسمى الأماكن بأسمائها الحقيقية، وتتميز أعمال عصام راسم بأنه يركز على الألم ويجعل منه فلسفة معينة مثلما حدث مع البطل جمال فى ،الحكروب، ومع المهندس حسن فى ،ضجيج الذاكرة، كما أن استخدامه للغة بحساسية مفرطة، كما أن الأسطورة موجودة فى أعماله والتى تبرز المكان بصورة أخرى إنه روائى مبدع يعرف كيف يصور عالمه باقتدار ووعى شديدين مما يجعله كاتب مهم، وأرى أنه لم يأخذ حقه فى الشهرة حتى الآن التى تليق بموهبته الفذة.

أما الروائى يوسف فاخورى الذى أصدر رواية بعنوان ،فتنة اللحظات الأخيرة، وهى رواية تنطلق من اللحظات الأخيرة فى حياة الأب ليكتشف الابن فجأة الكثير عن أبيه الذى لم يكن يعرفه جيداً أثناء حياته، إنها تفاصيل إنسانية دقيقة تناولها الكاتب فى روايته ومن خلال هذا العمل الروائى الجيد نكتشف أننا أمام روائى يمتلك أدواته الفنية ويوظفها باقتدار أثناء الكتابة، كما أنه يمتلك رؤية معينة فى تحقيق البعد الإنسانى وهو ما يغفل عنه الكثير من الكتاب.

أما هيام عبد الهادى فهى روائية مهمومة بقضية الأنثى فى الجنوب وأصدرت روايتين، الأولى بعنوان ،زهر الحناء، والثانية بعنوان ،أنت وحدك السماء، وهى تميل إلى اللغة الشعرية فى أعمالها وتحاول أن تعدد الشخوص وتركز على الأنثى المقهورة، فنرى مثلا ،طاهرة، المقهورة لسفر زوجها عنها وعلاقته الفاترة بها فى رواية ،أنت وحدك السماء، وكذلك ،شمس، المطعونة فى قلبها ومازالت تكتب مذكراتها ونلاحظ أيضاً ،حنة، وما حدث لها وجعلها تختفى عن النجع وتكثر حولها الأقاويل وتسير الأحداث ما بين الواقع والخيال، كما نلاحظ أن المكان بارز فى أعمالها من خلال ذكر بعض الأماكن والجبل والأساطير والموروثات الجنوبية حتى اللغة هى لغة المكان نفسه.

أما أسماء هاشم التى أصدرت رواية وحيدة بعنوان ،المؤشر عند نقطة الصفر، ولم نقرأ لها عملا آخرا بعد ذلك، وفى هذه الرواية تجسد معاناة الأنثى التى تعيش مقهورة فى الجنوب، والرواية تفوح منها أيضا رائحة المكان على مستوى الأحداث والحدود والشخوص، إنها رواية ممزوجة بلون طمى النيل

الجنوبى، والكاتبة لديها قدرة مميزة على السرد والحكى ولديها مخزون ثقافى من الموروثات يساعدها على الحكى والسرد.

أما هدرا جرجس فهو واحد من المبدعين الموهوبين وأصدر رواية بعنوان «مواقيت التعرى» ومازالت لديه أعمال أخرى روائية تحت الطبع، وهو كاتب مولع بفن الرواية وتفرغ لها تماماً من شدة عشقه لها وهو كثيراً ما نراه يميل إلى الواقعية السحرية فى أعماله كما أنه يمتلك لغة طازجة وسهلة وهو روائى سوف يكون له شأن كبير فى المستقبل لو صار بنفس الثقة التى يتمتع بها قلمه لأنه مبدع حقيقى.

فأما عبد الرحمن أبو المجد هذا الروائى المولع بتضخيم الأحداث والذى أصدر رواية «الكردان» وهى رواية بسيطة فى ظاهرها إلا أنها تحمل أحداثا ضخمة وبها إسقاط سياسى والكردان هو ركز الحضارة والأصالة فى الرواية والبطل هو فنان يعمل فى صناعة أدوات الحلى التى تباع فى البازارات السياحية التى تكثر فى أسوان أى أن المكان بارز من خلالها.

أما الروائى عماد عزت فهو لم يصدر سوى رواية وحيدة ضمن مجموعته القصصية وتحمل عنوان «وصيتك» ويقدم لنا من خلالها تجربة إنسانية رفيعة المستوى حيث الوفاء والصداقة وهى مشروع لكاتب جيد لو أخلص لهذا الفن.

هذا هو المشهد الروائى فى أسوان والذى استعرضناه سريعاً بعيداً عن كتابة القصة القصيرة لأنه معظم كتاب الرواية بدأوا بكتابة القصة القصيرة ■

بورتريهات لم تكتمل بعد..

المشهد الشعرى فى أسوان

جمال العدوى

وتر وسمعنا

لما الربابة تئن..

يمكن قلوبنا تحن،

والشوق يجمعنا

قول يا مغنواتي قول

والله ما ضيعنا

إلا سكتن الطير عن المغنى

قول يا مغنوتى قول

دا الليل ملوش معنى

إلا الرباب إن قال

واتسحب الموال،

على جرح يوجعنا

رحمة الله عليك يا عم حجاج الباى، يا مغنواتى المحبة يا من راهنت على أن الغناء روح الوطن، وأن الصدق منبع الحياة، وقارب النجاة من معوقات الفقر ودهاليز الاحتياج وأن العشق الخالص قوة دفع لا مثيل لها ضد دوران الزمن وجحود الدنيا، ياه يا عم لقد علمتنى بشعرك الدافئ كيف يكون النيل جوهر للإحساس، وكيف تكون البساطة مركزاً للعمق.. يا الله، لقد اثبت لى أن القصيدة وطن لا نستطيع نحن معشر الشعراء أن نعيش خارجه، وأن من يهجر قصيدته كمن يترك

قول يا مغنواتى قول،

وطنه، لا يرتاح له بال، ولا يهنأ بسكينة القلب، وأنه سوف يظل هائماً في دروب القلق مجروح الروح تعيش النفس - حتى - يعود لها نادماً على كل ما فاته، يبكي بين يديها ويقبل قدميها ويرجوها أن تغفر له ما تقدم من ذنبه كي ترد له الحياة.. آه يا خال.. دعني أختصر مشاعري وعرفاني تجاه ما قدمته لنا من خلال تجربتك الإبداعية الطازجة ، دعني أقول لك فقط! رحمة الله عليك يا أمير شعراء النبل والبساطة، ويكفيني وإياك فخراً أنك كنت ومازالت وستظل جوهرة التاج على رأس عروس بحرك أسوان.. معذرة.. هكذا آثرت أن أبدأ حديثي عن المشهد الشعري في أسوان، أو لنقل هكذا تعمدت أن أبداه بقصيدة المغنواتي وبالترحم على شاعرها الذي لم يسعفني حظي أن أقابله كي أشرب من دفئه وإنسانيته الخالصة لأني لم أبدأ تجربتي الحقيقية إلا بعد وفاته بقصيدة آرثية فيها: «رحيل ونيس النيل» وضعتني آنذاك في كادر المشهد الإبداعي الأسواني، ولقد عاتبني معظم أدباء المدينة على عدم أدراجها في ديواني «سلفتي دوحك يا إبراهيم» وكان ردي أنها تحمل أصداء لصوت الشاعر حجاج الباي، وأنا رغم عشقي وتقديري له ولكل الشعراء الكبار لا يسعدني بل لا يرضيني أن أكون ظلاً لأحدهم أو أن أذكر في حضرته كما يفعل بعض كتاب الجنوب مع الراحل يحيى الطاهر عبد الله، ومستجاب وأمل دنقل وعبد الرحمن الأبنودي وغيرهم.

المهم.. يرجع مرجوعنا، لماذا تعمدت أن يكون أول خط في لوحة المشهد هكذا، أقول ويمنتهى البساطة لأنه من وجهة نظري الخاصة - واحد من أعلام قصيدة العامية في مصر، وأعتقد أنه قدر له لو أن يطبع ديوانه الأول في الستينيات مع إصدارات مجايليه، كان بلاشك سيكون من أعتى المنافسين لصياد وجنية حجاب، وأرض وعيال الأبنودي ولأنه أيضا قامة شعرية لم تأخذ حقها كما ينبغي، ولأن حال الحركة الشعرية - الآن - في أسوان، للأسف الشديد ، (في سابع نومة)، وهي في حاجة لمغنواتي مخلص مثله يشد من أزرها ويضخ في جسدها الدماء المتوهجة كي تفيق وتعلم وتتعلم فضل وفائدة الغناء الجماعي الخلاق؟ وهذا لا يعني بالطبع أنه لا يوجد شعراء مجيدون قادرون على إحياء تلك الحركة وبعث روح الجماعة داخلها؟ وإنما أعني بما قلت أن الشعراء أصحاب المشاريع الخاصة قلة ومتفرقون في أنحاء المشهد أي (كل واحد فيهم في واد).

ولكل ما تقدم ولأسباب لا يجوز ذكرها هنا فعلت ذلك، والآن سوف أبدأ رسم خريطة المحافظة حسب ظهور الشعراء في كادر المشهد.

في اللقطة الأولى: يظهر حجاج الباي بدواوينه الثلاثة: «عروسة البحر»، و«النخل والغراب»، و«الحلم في الممنوع». - وهذا الأخير لم

ينشر بعد - وأعتقد أن الديوان الأول كان من أغرب وأقوى دواوينه، وهذا لما فيه من عمق وبساطة مدهشة وممتنعة عن ضعفاء الموهبة وقليلى الرؤية، ولقد استطاع به صاحبة أن يحفر اسمه على جرانيت القصيدة بجوار كبار الشعراء فى مصر، وبمجرد أن ينتهى الباى من عزفه على نايه الحزين يظهر لنا فى الكادر «محمد هاشم زقالى» بدواوينة الأربعة: «الليل والنخيل» وزهور البنفسج» ، «ورد الروح لطير الدوح الجريح» «خارج الكادر» علما الأسماء «ولقد قسم زقالى تجربته بين الفصحى والعامية بالتساوى فى الإنتاج والجهد، وهو واحد من الشعراء الذين أثروا الحركة الأدبية، وساهم فى إخراج أجيال جديدة وهو شاعر صاحب صوت خاص لذلك أصبح من أهم الرموز الإبداعية فى المنطقة، ولولا جغرافية المكان وبعده عن أضواء العاصمة لكان من الممكن أن يكون ترتيبه فى صفوف الشعراء أكبر وأعظم من حيث التواجد على خريطة المشهد العام، وأبعد من ذلك بكثير، وبمجرد أن ينتهى هاشم زقالى من العزف على طنبورته.. يظهر لنا الشاعر فنجرى التايه - رحمة الله عليه - بديوانه الوحيد «الشعر والحراس» أو كما أطلق عليه بعد وفاته فى طبعة الثقافة الجماهيرية - بمعرفة الشاعر مسعود شومان «الضحك فى ضى القمر» وهو عنوان قصيدة داخل الديوان تمثل أجمل قصائد العامية لشاعرنا الجنوبى الجميل، ولقد استطاع به التايه أن يطرح نفسه على خريطة الشعر فى مصر، وتخطى بقصائده - حتى قبل أن يطبعه - الكثير من أبناء جيله الذين لهم العديد من الدواوين، ومجمل تجربة شاعرنا تدور فى الهم العام، وكانت دائماً تتبنى التعبير عن البسطاء .. فهو مثلا يستعين «بفاعوص» العامل فى مصنع الطوب اللبن - كى يفضفض على لسانه ويعاتب محبوبته «الرمز» بحكمة تجاربه فى الحياة وصبره عليها لذلك يقول: «قول يا فاعوص.. زى من فوق القلب كابوس قول يا فاعوص.. «دانت كلامك كله دروس فيقول فاعوص: «ملعون الفقر وسنين الفقر.. تقولش جدودنا .. يا أبو خالتو.. عملوا معاه عقدات» رحمة الله عليك يا عم فنجرى يا بياع برتقال الطيبة والكرم، وبمجرد أن ينتهى التايه من ضبط إيقاع الرسمة داخل الكادر يظهر لنا الشاهر محمد حسن العمدة بديوانيه «مواسم الحب» وأغنيات عن سفر» يعزف بصوته الرقيق، وبعفوفة قادرة على إيقاظ حواس المتلقى، يناقش ذاته وعالمه بهدوء وعمق ناتج عن خبرات طويلة ومعرفة ممتدة جعلته من أعزب شعراء المنطقة الذين يمتلكون أدوات الشعر وزمام الطرح المغاير فى إطار خليلى أثبت بموهبته الكبيرة أنه قادر على استيعاب الرؤى المعاصرة، ثم يظهر بعد ذلك الشاعر محمد شاهين بديوانه «فرعونيات» متضامناً مع العمدة على

أن الشكل التقليدى مازال يستطيع أن يعبر عن الرؤى المعاصرة ومعظم قصائد شاهين تتبنى الطرح العام أكثر منها إلى الميل للذاتية والتقوقع داخلها، ثم يطالعنا الشاعر عبد الرؤوف مصطفى بديوانه, أبابيل المهجر, منادياً بنفس شعار شاهين، والعمدة، وإن كان متفرداً فى الرؤية، ثم يأتى الشاعر محمد الكاتب بقصائده العامية وديوانه المخطوط ،مذكرات عصفور عبيط، ليقف بجوار الباى وزقالى والتايه مستلهماً تجاربهم ومستفيداً منهما فى تجربته الخاصة.

ثم يأتى الشاعر إبراهيم الفيراوى بقصائده الرافضة عالية الصوت ليكون رفيق درب محمد الكاتب، ثم يظهر بعد ذلك الشاعر حسين صالح خلف الله بديوانه, أغنيات مرتجلة، مستعيرا صوت المخلص طالباً الحرية من الذات ولها، مصوراً هذه الحالة فى قالب من الشجن المحفوف بالغناء الهامس مما يجعل المتلقى متواصلا معه بحميمية إلى أقصى حد ممكن، وهو من الشعراء النبلاء أصحاب التجارب الإبداعية المتفردة.

ثم يظهر بعد ذلك فى الكادر الشاعر محمود عباس بديوانه ،ضوء خفيف من الحلم، ليتماس مع من سبقوه بطريقته لكنه يراهن على أن الحداثة هى لغة العصر، وهو واحد من الشعراء الذين ينتجون تجارهم بدأب وفى صمت، ثم يظهر بعد ذلك فى الكادر الشاعر أحمد المريخى بالتجربة مغايرة للسائد وشديدة الخصوصية تنم عن أن صاحبها قد استطاع أن يستلهم مجمل الموروث الشعرى.

وان يطوره ثم يطرحه بشكل معاصر وفارق عن غيره من أبناء جيله، كما نجح عبر دواوينه الثلاثة أن يقدم انساقاً جديدة لتشكيل عالمه الخاص، ولعل ديوانه الأخير ،ضد رغبتى، لأبرز دليل على ذلك لما فيه من تكثيف للصورة الشعرية والتراكيب اللغوية التى تعتمد المفارقة أساساً لتشكيل الوعى بالذات وبالعالم، ولقد قدم المريخى للحركة الأدبية الكثير والكثير فى أسوان ولم يأل جهداً لإثرائها ووضعها على خريطة الشعر فى مصر.

ثم يأتى الشاعر أشرف عويس الذى جدد فى شعر التفعيلة بصورة ادمركبة ذات الدلالات المتنوعة والتى تظهر مدى امتلاكه لأدواته اشعرية وتمكنه من اللغة ثم سحر كل ذلك بما يخدم بنية القصيدة ويطورها، ولعل استخدامه لجماليات ومفردات البيئة الجنوبية قد أنعكس على قصائده فأعطاه طابعاً ومذاقاً خاصاً.

ثم يظهر بعد ذلك فى الكادر الشاعر أحمد مرزوق الذى ترك القصيدة واتجه لكتابة الأغنية وجعلها مشروعه الخاص بالاتكاء على الموروث الشعبى وتطويعه لإنتاج إغان ذات طبيعة متميزة جعلت له مكانة خاصة بين

كتاب الأغنية فى سوق الكاسيت ثم يأتينا الشاعر محمد طاهر برعى بديوانيه ،أصوات خارج الدايرة، وقزاز بحبك ليقدم تجربة مختلفة فى الطرح والتناول عن سابقيه فى شعر العامية الأسوانى، وهى تجربة اعتمدت التجريب فى المنهجية والصياغة، ثم يطالعنا الشاعر ياسر عبد الجليل بديوان ،ذاكرة تسرق فرحى بالأشياء، متوازياً مع برعى فى صياغة الرؤى والأطروحات الشعرية الحالية، كم يأتينا صوت الشاعر محمود سيف الدين بديوانه ،قاطرة سوادا تدهمنا، ليقول لنا إنه ينسج حلماً جديداً فى ثوب قشيب ممتع ورائع، واعداً بأنه سيكون له شأن كبير فيما بعد ويأتى الشاعر ،مصطفى عباس مدنى بديوان فصيح تظهر من خلال قصائده موهبته الكبيرة التى تعج بالجديد وهناك الشاعرة نجوى عبد العال بدواوينها الخمسة والتى راهنت فيها على أن النشر الخاص هو أقرب الطرق للانتشار ثم يظهر الشاعر محمد الريفى بديوانه ،أسمعنى، محاولاً رسم خطوط يمكن أن تكون أكثر جدية للمشهد الشهرى العامى، ونرى الشاعر حسنى الاتلاتى بديوانيه ،نتوءات على جسد نحيل، ، و،البشارة، وفيها يطرح صوتاً للساحة الإبداعية ويبرز صوت الشاعر محمود السنوسى بديوانه ،بثلاثين ألف روح وقدم واحدة، واعداً بأنه سوف يكون من التجارب المبشرة بشاعر كبير فى المستقبل كذلك هناك صوت الشاعر عباس حمزة بديوانه دقات على باب القلب وفيه يدق باب الروح بأوتار حالمة وجديدة، وأيضا الشاعر عادل بهنسى بديوانيه ،ملامح، و،الكلمة بنت الوجع، مستلهماً المواريث الشعبية لفن المربع والمعدودة وفن الواو والسير الشعبى الرائعة، ثم يطالعنا باقى شعراء أسوان الذين لم يحظوا بعد بطبع دواوينهم وهم من الشعراء الواعدين بتقديم رؤية جديدة للمشهد الشعرى ومن هؤلاء الشاعرة علية طلحة بروحها الجميلة ومشاركتها فى الحركة بكل حماس، والشاعرة ،حرير ثابت، بقصائدها الرومانسية الفصيحة، والشاعرة دلال يحيى بعاميتها ذات الطابع الجمالى، والشاعر أشرف جابر بعاميته المتمثلة روح الجنوب حيث يطرح الحداثة بطعم جنوبى رائع، ثم يظهر الشاعر عبد الناصر أبو بكر بقصائده الواعدة بالكثير، ويمتد المشهد الشعرى فى أسوان ليطالعنا بشعراء آخرين أمثال الشاعر محمد يوسف حامد وهو شاعر ننتظر منه الكثير ونراهن عليه إذا أخلص لتجربته، ومحمد راغب ومنهم نوبى فى شعر الفصحى، وعبد الباسط عبد الحميد، وجمال قرقار فى العامية وشريف السيد وحمدى فنجرى التايه: كى يطلعنا المشهد بشعراء آخرين لا يزالون فى طور التكوين.

وفى آخر لقطة فى المشهد يظهر كاتب هذه السطور الفقير لله



مطالباً كل الشعراء الذين ضمهم المشهد بأن يتمسكوا بخصوصية الكتابة الحقيقية حيث طبوغرافيا المكان هناك تؤسس مشهداً رائعاً لأحلام هؤلاء الشعراء.

وبعد! تبقى كلمة فى النهاية، تنحصر فى رجائى من الشعراء أن يسامحونى إذ قدمت المشهد الشعرى الأسوانى بهذه الصورة المتعجلة، ومع ذلك أقول إن شعراء أسوان ممن ضمهم المشهد، هم شعراء معظمهم له صوته المتميز والمتفرد وتجاربهم الشعرية التى لابد وأن نحترمها.

وتظل أسوان موطن التاريخ والشعر والجمال، ويظل شعراؤها شموعاً وتضئ شاطئ الجنوب حيث النيل والحضارة والرؤى الممتدة ■

حـــــوار

أحمد أبو خنيجر:
الكاتب ساحر.. يفقد جاذبيته حين يكرر ألاعيبه

أشرف عويس

لا يحب القاهرة ولا يفكر فى المجىء إليها، ويفضل البقاء جنوبا حيث الحياة أكثر ثراء وأكثر جدوى، يرى أن ما نعيشه جدير بالكتابة.. ربما أكثر مما نتخيله، وإن الكاتب ساحر عليه أن يجدد فى حيله وألاعيبه حتى لا يفقد غموضه وجاذبيته فينصرف عنه مريدوه.

منذ أطل علينا فى "حديث خاص عن الجدة" التى صدرت فى عام ١٩٩٥ عن هيئة قصور الثقافة، وحتى "العمة أخت الرجال" الصادرة فى ٢٠٠٦ عن دار الحضارة للنشر، وهو يؤمن بما يكتب ويخلص له.. فأعطته الكتابة شيئا مما يستحق.

إنه أحمد أبو خنيجر.. الذى نلتقيه معا فى هذا الحوار.

اعتاد أن يبدأ الكتابة، ثم يترك لشخوص رواياته العنان فيذهبون إلى حيث يشاءون، يراوغهم حينا ويراوغونه أحيانا، لكنه دائما يمسك فى النهاية بمقبض الباب السحرى فلا يمرون إلا إلى حيث يشاء هو.

• حصلت مؤخرا على جائزة ساويرس للرواية، وقبلها بسنوات جائزة الدولة التشجيعية، وأنت نسبيا فى بداية مشروعك كروائى.. كيف تنظر إلى هذا الأمر؟.. وما مدى تاثيره عليك؟

- يمكن عموما النظر نحو الجوائز على أنها نوع من التقدير، خاصة فى مناخ سيئ غير قادر على الفرز النقدى الواضح والصريح، بحيث لا يمكن الارتكان للمنهج النقدى الفنى فى فرز وتقديم الأعمال الأدبية

الجيدة، تأتى الجوائز، إذا كانت من لجان تحكيم مشهود لها بالنزاهة والدقة العلمية، كنوع من الاعتراف بهذا العمل أو ذاك، وتقديمه للحياة الثقافية والفنية للاحتفاء به وينال مكانته الجديرة به.

تقوم الجائزة بالتأكيد على المنجز الروائى للمبدع، وتمثل نوعا من الإشارة على أنه يتحرك فى الاتجاه الصحيح، وليس معنى هذا أن الأعمال التى لم تنل بعض الجوائز رديئة القيمة أو سيئة، لكن وبسبب طبيعة الجائزة يجب أن يحدث نوع من المفاضلة والتى تحكمها عدة عوامل، ففى النهاية يجب اختيار عمل تتوجه الجائزة.

كما أن للجوائز شق معنوى فلها أيضا جانب مادى، ولأن الكتابة الأدبية فى بلادنا لا يمكن لها أن تكون وسيلة لكسب العيش، أو تحقيق أى طموح مادى، تأتى الجائزة كنوع من المكافأة والتعويض المادى، ولمعاونة المبدع على مواصلة حياته بشكل كريم، ويكون لديه بعض القدرة على تنمية مشروعه الإبداعى والحياتى.

بعد فترة تزول النشوة التى تصاحب الفوز، ويذهب الجانب المادى كما هو مقرر له، ويبقى على المبدع أن يبدأ من جديد، متناسيا كل ما جرى، ولأنه أصبح جزءا من تاريخه الشخصى، فإن ذلك يمثل نوعا من المسئولية تجاه ما يكتب، تجعله أكثر دقة وانضباطا تجاه مشروعه الإبداعى الذى يحاول أن يقدمه.

× البيئة التى تحيط بأى كاتب - خاصة الروائى - تعد مؤثرا رئيسيا فى تكوين شخصيته الإبداعية، وأنت مولود فى بيئة متميزة وغنية بتراثها وأساطيرها وشخصيتها، ما مدى تأثير هذه البيئة؟.. وما الخصوصية التى منحتها لأعمالك؟

- كانت النصيحة الذهبية التى خرجت بها من لقاء الشاعر الراحل حجاج الباى، وبعد أن قرأ ما كنت أتوهم أنه قصص قصيرة، قال: اكتب عما تعرفه، ما عشته، وكان ذلك مربكا لى، فهل ما نعيشه جدير بالكتابة والتدوين، ثم كيف التعامل معه، وبأى منطق؟! فى هذه الفترة تحديدا كنت قد بدأت التعرف على كتاب الستينيات ومن تلاهم، وذلك عن طريق مكتبات الأصدقاء: حجاج الباى، بدر عبد العظيم، أيمن حسن، يوسف فاخورى"، وكان يمثلون لى شيئا لم أعهده فى كتابات الرواد، أو عند الكتاب العالميين الذين كنت أقرأ أعمالهم من مكتبة قصر الثقافة؛ كل هذا فرض علىَّ سؤالا حرجا، وكان علىَّ أن أجد إجابة له قبل الشروع فى الكتابة: كيف يمكن التعبير عن جماعتى، التى أنا واحد منها، دون فهم لمنظومة القيم والأفكار والتصورات التى تحكم أفعالهم وتوجهاتهم، وتحدد طبيعة اختياراتهم؟!.

هكذا رحت أجمع الحكايات والألعاب والألغاز، وأشهد بنوع من التركيز

الطقوس والاحتفالات التى تمثل دورة الحياة، أيضا جمع للفنون المختلفة التى تمارسها الجماعة فى خلال حياتها الغنية، ثم فى محاولة للفرز والتحليل، كى أتمكن عبر الفهم الواضح من أن أكون صادقا ودقيقا فيما أكتبه، وكانت نتيجة هذا كتابين: الطرق الصوفية فى أسوان.. دراسة فى التكوين والممارسات، ثم كتاب: كان يا ما كان.. دراسة فى الحكاية الشعبية، وكتاب ثالث ما أزال أعمل عليه حتى الآن وهو عن فن الكف.. أحد أهم الفنون التى تمارسها الجماعة.

أظن كل ذلك صب لمصلحة العمل الفنى، بحيث أعطى لها مساحة واسعة من الدلالة والقوة، ذلك أن كل هذه الممارسات هى إنسانية بالأساس، وقادرة، من خلال الفهم والتحليل، على اكتشاف ما هو مشترك مع الإنسان أيما كان.

بالتأكيد لم أتوقف خلال عمل هذا الجمع والتحليل والدراسة عن كتابة القصة أو الرواية، أو المسرح، لكن كان هناك نوع من التوازى، لأنه فى ذات الوقت كان على تنمية قدرات الكتابة عبر التجريب، ومحاولة الدخول إلى أشكال جديدة، تستطيع أن تعبر جيدا عما أرغب فى قوله.

بعض الأصدقاء يقولون لى إنك مازلت حبيس المكان الذى تكتب عنه، متى ستخرج منه، أنا بالتأكيد ألتمس لهم العذر، فليس معنى أنك تكتب عن الجنوب، أو عن مكان بعينه، أن يؤدى ذلك لنوع من الاستنساخ، أو التكرار، ودعونا نأخذ أمثلة: محفوظ وحوارى الجمالية، أصلان وإمبابة، ماركيز وموكاندو.. هل يوجد استنساخ أو تكرار؟! أم أن قدرة الكاتب هى التى تجعله يقدم أى الأفكار، فى ذات المكان، لأن ما يعنيه هو الإنسان.

× البيئة الجنوبية مليئة بالأساطير التى يلجأ إليها كل من يكتبون عن هذه المنطقة، فكيف تتناولها فى أعمالك؟.. وما الجديد الذى تقدمه فى استخدامك لها؟

- الأساطير واحدة من المكونات الرئيسة للوعى البشرى، وفى الجنوب الذى ما يزال مهمشا وبعيدا، تلعب الأسطورة دورا مهما، وذلك على مستوى ما تقدمه من تفسيرات، وفى أحيان كثيرة تبريرات، للجماعة والتى قد تستعملها بشكل نفعى لمصلحتها، من المهم أن أؤكد هنا أن الأسطورة ليست مرادفا للخرافة فقط، لكنها أيضا يجب توسيع أفقها الدلالى لتشمل الأساطير الحديثة التى يضيفها البشر عبر تفاعلهم اليومى مع الحياة ومكابدة مشقاتها، يتجلى ذلك أبرز ما يكون فى الطقوس والأفعال المرتبطة بالدين والعقائد والأفكار.

ولأنها بيئة غنية، ولأن الكتاب الذين من الجنوب نتاج هذه البيئة،

فإن الأساطير توفر لهم مادة خصبة، ونبعا لا ينضب من الإبداع، لكن للأسف يذهب البعض إليها فى محاولة لتقديم الدهشة عما هو عجيب وغرائبى، دون ضرورة ومبررات فنية، والبعض الثانى يذهب لمطابقة الأسطورة فى الواقع، كلا المحاولتين، لا تحفل بالإنسانى ولا الفنى، فقط تريد تقديم عرض (شو) يثير الإعجاب والدهشة؛ ثم لا أبعد من ذلك.

حين واجهنى هذا الفخ، كان علىّ أن أكون حذرا فى التعامل مع الأسطورة والتراث بشكل عام، كان علىّ أن أثير من خلاله مجموعة من الأسئلة، كى أرى ما تمثله من قوى حقيقية وزائفة، ما يمكن أن يصبح قوة دافعة للحياة وتطويرها، وما يعمل على تكبيلها، والحد من طموحات وحياة الناس، أيها الذى يعمل على تحرير أرواحهم وأجسادهم وأيها الذى يستعبدهم.

فى القصص القصيرة، فى غواية الشر وجر الرباب، ستجد هذا الملمح، الذى يمكن تطويره من قصة لأخرى، ومساءلة تلك المواضعات الدقيقة والتى لا تبدو على السطح بسهولة، لكنها تحتاج لعين المدقق المتمهل.

ثم جاءت الروايات: نجع السلعوة، وفتنة الصحراء، وأخيرا العمة أخت الرجال، وبما أن الرواية أكثر اتساعا ويراحا، فقد تم التوسع فى ذلك النقد واستخدام الأساطير الكبرى، إن صح استخدام هذا المجاز، بما يتيح لى فهما أكبر للإنسان ولقضية وجوده المحيرة.

× روايتك الأخيرة "العمة أخت الرجال" فيها شىء من التجريب على مستوى الإيقاع.. والبناء أيضا، فهل تعمد إلى ذلك بعد أن أكدت وجودك على الساحة الأدبية.. أم أن الأمر جاء عفويا؟

– فى كل عمل جديد أحاول دائما أن أجرب شكلا سرديا مختلفا عما قدمته من قبل، يمكن مراجعة الروايات على الأقل، لدى دوما فكرة أن على الكاتب أن ينحرف عما اعتاده فى كتابته، على أساس أن الإبداع بطبيعته انحراف عما هو سائد وقائم، وعلى المبدع أن يدرك قيمة المغامرة فى كل عمل يحاول أن يكتبه، فىّ كل مرة أنت تغامر، دون ضمان مطلق لنتائج المغامرة، لكن على الأقل تكفىّ فكرة المتعة التى تسببها حالة المغامرة، بالمثل الشعبى: مش مغسل وضامن جنة، لكن على أن أؤدى عملى، وبأفضل جهد وطاقة لدى.



المهم فى فكرة المغامرة هذه، ألا يكون التجريب متعسفا وبعيدا عن طبيعة الشخصيات والأحداث التى يقدمها العمل، فى أحيان كثيرة

قد تكون الحكاية ضئيلة أو قليلة القيمة، لكن الأهم هو كيف نروى هذه الحكاية، كى تبدو عظيمة، الكاتب فى ظنى يشبه الحاوى، الساحر، الذى يفقد سحره وغموضه وجاذبيته، حين يكرر ألعابه وحيله أمام نفس الجمهور.

فى رواية: العمة أخت الرجال.. وكما أشرت كان هناك تجريب على مستوى الإيقاع والبناء، وهذا صحيح، ستجد مثلا فى الكتاب الأول من الرواية وهو: كتاب العمة.. الذى يمثل الجزء الأكبر من الرواية، أن الإيقاع جاء متمهلا كى يماثل تماما طبيعة حركة السيدة العجوز التى تسير مستندة إلى عكاز، وحيدة وبحركة بطيئة فى بيت كبير صاحب تاريخ قديم وعريق، تهاجمها ذكريات قريبة وبعيدة، وحكايات تكوين هذا البيت، وكأنها تحاول مراجعة حياتها المديدة، والتذكر والمراجعة بطبيعتهما بطيئان فجاء الإيقاع كى يؤكد على تلك الفكرة، كان هناك قدر من الصمت والتأمل والأحزان والدموع المقهورة، والشوق للحج، كل ذلك كان على الإيقاع أن يسايره ويقدمه لأنه جزء منه.

فى الكتابين الثانى والثالث: الرجال، والعصا.. على الترتيب، أخذ الإيقاع فى التوتر والسخونة ليلاحق الأحداث والأفعال التى يقوم بها شباب ورجال وتحد قائم فرضه وجود الغريب على الجميع، أيضا على مستوى البناء واللغة كان هناك تجريب يتناسب، من وجهة نظرى، مع هذا الإيقاع أو ذاك.

على أن أؤكد على أن الكاتب لا يمكنه أن يتخلى عن تقديم المتعة للقارئ مهما كان التجريب الذى يقدمه، لأن القارئ إذا شعر بالملل فسيترك الكتاب وينصرف عنه.

× لديك رواية مكتملة لم تنشر هى خور الجمّال.. ما الجديد الذى تحاول أن تقوله من خلالها سواء على مستوى المضمون أو الشكل؟

- خور الجمّال رواية مختلفة، هكذا أقول عنها أنا، لكنّ البعض قد يراها عادية، لكنى أعتقد أنها تحاول أن تقرأ رحلة الإنسان فى هذا الكون، تلك الرحلة بكل غوامضها وأحلامها القاتلة، وأسئلتها المحيرة، والتى لا إجابة عنها حتى يومنا هذا، وربما هى خطوة أبعد من فتنة الصحراء، وربما غير ذلك، لأن كل هذا مرهون بتلقيها.

خلال هذه الرواية، كعادتى أيضا، أجرب نوعا جديدا من البناء، أظنه سيكون مجهدا للبعض، لكنى فى ذات الوقت أتخوف منها بشدة، لذلك على أن أصبر قليلا عليها لمعاودة النظر فيها، وربما كى أفسح المجال للعمة أن تأخذ حقها جيدا.

× بعد أن قدمت ٤ مجموعات قصصية بعدت المسافة بينك وبين القصة القصيرة.. فهل كانت محطة للوصول للرواية أم أساس تنتظر

أن تعود إليه؟

- وأنت ذاهب لكتابة قصة قصيرة لا يمكن التعويل على التعريفات المدرسية، التى تم تداولها ولفترات طويلة، وبكثير من الإخلاص للحرفية الواقعة فيها، وذلك بسبب من الفن ذاته، والعصى على التعريف المحدد، الجامع المانع، كل ما يمكن القول به، هى مجموعة من الهواجس، والرؤى الضبابية، لا يمكن القبض عليها بوضوح تام، لكن يمكن التعامل معها بذلك الحس المرهف الذى يمتلكه الأعمى فى أنامله.

ويمكن التفلسف، وذلك من نوعية، أن العالم فى البداية، كان متسعا ومتشظيا، ولا يمكن الإمساك بكليته، فمن الأفضل التعامل معه على أنه وحدات مجزأة، ومنفصلة، والقصة القصيرة تساعد على لملمة تلك الأشلاء المبعثرة، ويمكن القول أيضا أن القصة القصيرة بتكثيفها ومراوغتها تتواءم مع طبيعة العصر الذى كنا فيه، وغير ذلك من الأقوال، لكن السؤال الذى يبقى مشرعا، ومسببا الكثير من الحرج، والجرح لتلك الأقوال وغيرها، أن العالم ما يزال متسعا ومتشظيا، وأيضا لا يمكن الإمساك بكليته، أو حتى أجزائه المبعثرة، وما يزال العالم مراوغا وطبيعته عصية على التواؤم.

يمكن الإجابة بنوع من الأحاجى الميتافيزيقية، بسبب الفن والروح المتوثبة للخلق، وقدرتها، والرغبة الملحة والدءوبة فى اللعب، والتجريب المتعدد للأساليب والحيل واللغة، فى محاولة جادة لاختبار صدقها على الورق، وخروجها من حيز التصورات إلى الفعل المكتوب، مستفيدة بالتأكيد من الإنجازات السابقة.

فى الفترة الأخيرة أحن كثيرا لكتابة قصة قصيرة، لكن روحى الفاترة لا تتحمس بالقدر الكافى للتغلب على الخجل، وهنا يبدأ التحايل، بأنه يمكن إدراج هذه القصة وغيرها ضمن أحداث الرواية التى أعمل عليها، وهذا لا يحدث أيضا، لكنه نوع من المراوغة، وهناك أسباب أخرى كثيرة أدت لتراجع الكتابة القصصية القصيرة، منها تلك المقولة: زمن الرواية، وأيضا عدم تحمس الناشرين لنشر المجموعات القصصية، وأيضا طبيعة القراء الذين يفضلون الكتاب الذى يحتوى على قصة واحدة طويلة، رواية، على أن يقرأ مجموعة، يقول بعضهم: لا أشعر بالشبع. لكن فى ظنى أن السبب قد يكون مختلفا، فعدم المتابعة النقدية الجادة لتلك الكتابة الجديدة، وبالتالى الكشف عن جمالياتها وطرقها وأساليبها وتنوعها الفنى الغنى، جعل كتابها على الأقل يشعرون بالإحباط، فآثروا الانصراف عنها لكتابة الرواية، أو التخلى كلية عن الكتابة، كانت الكتابات النقدية ضعيفة، ومتسلحة بالأسلحة النقدية القديمة، والتى تميل للمجاملة والوساطة، ومحاولة فى أغلب الأحيان قراءة

المضمون فقط، مع التركيز على الحوار الفنى، من وجهة النظر القديمة، كل هذا فى ظل غياب نقد حقيقى، أو حتى إفراز الجيل لنقاده، وهذا إن حدث، ستراهم يذهبون للكتاب الكبار، مستفيدين من وضعيتهم فى نشر ما دبجوه من مقالات نقدية تكيل المديح، دون أن تقدم الدرس النقدى والجمالى لتلك الأعمال، وبنظرة تتمتع بالحياد، والضمير النقدى والفنى اليقظ.

× قبل أن تقدم روايتك الأولى "نجع السلعوة" كانت لك مشروعات روائية لم تكملها عمدا لأنها واقعة فى أسر كتاب الستينيات.. فهل لك موقف من هذه الكتابة؟

– بالفعل كنت قد جربت عددا من المحاولات الروائية، أعتقد أن أشهرها كانت: حجر على ماء.. وماء على حجر، والتى كنت توقفت عن العمل فيها بعد أن تجاوزت ثلثيها على الأقل، وذلك أنى كنت أحس بهمس الأصوات خلفها، أصوات الستينيين، ربما همومهم، أو طريقة نظرهم للواقع والمجتمع، تلك الأفكار عن المثقف ودوره، وطبيعة وجوده داخل العالم الروائى.

حين وعيت بذلك توقفت، كنت أريد الإخلاص لصوتى، كتاب الستينيات جاءوا فى عصر مختلف، وعبروا باستجابتهم نحو عصرهم، وقد تغير الزمن والمجتمع وتلاحقت الأحداث، ببساطة أنا ابن زمن آخر، زمن مختلف فى توجهاته ورؤاه وأفعاله، لذا عليه أن يخلص فقط لصوته وضميره وطريقة رؤيته للأشياء والأفعال من حوله، مستفيدا لأبعد حد من المنجز الروائى الذى سبقه، ومن كافة الأجيال والمدارس، وليس من جيل بعينه، لكنه عليه أن يتحلى بالضمير اليقظ، لكى يعرف الفوارق الدقيقة، بين كتابة وأخرى، وأن يكون أكثر حذرا حتى لا يسقط تحت عباءة أحد.

× كيف تنظر إلى الجيل الجديد من كتاب الرواية؟.. وما تخضع له من تجريب على كل مستوياتها؟

– على كل جيل أن يقول جملته الفنية والإبداعية، بشكل يميز هذا الجيل، وتكون له بصمته الواضحة فى تاريخ الكتابة، وعلى الجيل أن يقدم أقصى طاقة لديه، ويعبر عنها بكافة الأشكال والحيل الفنية، التى تميز أبناء الجيل عن بعضهم البعض.

لعل أهم ما يميز هذا الجيل هو الفضاءات المختلفة والمتباينة القادمين منها والتى يعبرون عنها، مما مثل بدوره غنى فى بحر الرواية المصرية، فكلما اتسع الأفق الروائى، كلما دخلت الكتابة فى مناطق جديدة لم تكن مطروقة من قبل.

أو حتى عند التعامل مع نفس المناطق لا يكون بنفس الطريقة وبنفس وجهة النظر، فهل القاهرة مثلا كما قدمها محفوظ أو جيله

هى الموجودة عند كتاب الستينيات.

لكن من المؤكد أن الرواية الجديدة خضعت لتجريب هائل على مستوى الشكل والمضمون وما تطرحه الرواية من قيم جمالية، متخلصة قدر الإمكان من الأحمال الثقافية والأيدلوجية التى كانت تكبل الرواية السابقة عليهم، ومستفيدة من منجزات العصر، فلا يمكن مثلا إنكار الاستفادة من الصورة البصرية، وتشكلها فى الرواية الجديدة، والإصغاء الجديد للتحولات التى تحدث، مما جعل الذات المبدعة تحاول أن تخلص لنفسها ومعارفها، كى تحافظ على توازنها وقدرتها على الاستمرار وسط هذا البحر الهائل والهائج بالمتغيرات التى تحدث كل لحظة.

× ما حققته من نجاح رغم بقائك فى أقصى الجنوب يؤكد على أن القاهرة ليست شرطا للنجاح كما أنها ليست شرطا للكتابة الجيدة.. ما رأيك؟

- القاهرة مكان كأى مكان، ربما لأنها العاصمة فتتركز فيها أغلب الأنشطة والأضواء، لكنها فى النهاية مكان صالح لأبنائه، والكتابة فى ظنى تحتاج لمكان يكون الكاتب متصالحا معه، يقدر على المعيشة والإنتاج داخله، لا أكثر من هذا، وبغض النظر عن القول بأن على الكاتب أن يكون فى وسط جماعته وقريبا منهم، وهذه فكرة قديمة، لأن الكتابة قائمة على فكرة التخيل، فمثلا لو أردت الكتابة عن الفراعنة، فهل أنا مطالب بالإقامة بينهم، وهكذا.

الكاتب فى أى مكان عليه أن يكون معنيا بمجموعة من الأشياء، كالقراءة والعمل على تجويد كتابته وتطويرها، وهذا عمل جاد، أى يجب أن يخضع للجدية والانضباط الشديد.

× هل فكرت أو تفكر الآن فى المجىء للقاهرة؟.. ولماذا؟

- لا لم أفكر، خاصة وأنا أعرف القاهرة قبل أن تبدأ علاقتى بالكتابة، فقد كنت آتى إليها للعمل أثناء الفترة الصيفية، لكنى لم أتصالح معها أبدا، ثم ما الدافع لذلك، خاصة بعد ثورة الاتصال الهائلة التى حدثت مؤخرا.

فقط على أن أقول إن على الكاتب أن يقيم جسورا للتواصل معها، مع المركز، لا أكثر، دون أن يأخذه هذا للهاوية، فالجالس بجوار النار ستدفئه، ولكن إن لم ينتبه قد تحرقه أيضا ■

(١)

البحث عن بديل للزمن القديم!

عبد الوهاب الأسوانى

قريتى "المنصورية" جزيرة كبيرة يحيطها النيل من جهاتها الأربع.. يقول علماء المصريات إن عبادة التمساح فى مصر القديمة انبثقت منها.. "يغمرها الفيضان كل عام فتعج بالتماسيح التى ارتعب منها المصريون فعبدوها"!.. هكذا قالوا.

معبد "كوم أمبو"، وهو أصلاً لعبادة التماسيح. يقع على حافة النيل قبالتها.. البعض يقول إنه أقيم فيها لكن النهر غيّر مجراه.

حتى سن التاسعة كنا نقيم فى النجع الذى تنتمى إليه أمى.. فى الحقل كان جدى يعمل ومعه أخوالى وأبناء أخوالى.. على مدى البصر حولنا، كان جميع الناس يعملون من مطلع الشمس حتى صلاة الظهر.. استراحة قصيرة بعد الغداء ثم يعود الجميع إلى العمل حتى غياب الشمس.

كل حقل مقسم إلى أجزاء.. الجزء الأكبر قمح وبرسيم.. والثُلث تقريباً عبارة عن أحواض.. هذا حوض طماطم.. وذاك باذنجان.. وآخر كوسة.. ورابع بامية.. وخامس ملوخية.. وسادس ثوم.. وهكذا... هذه الأحواض للاستهلاك الخاص، وما يزيد منها يشتريه صغار التجار ليبيعوه فى البنادر القريبة.. بحيث لم يكن البيت يشترى من خارجه إلا السكّر والشاى والبُن وبعض الأشياء الأخرى مثل الملح والفلفل الأسود.

كل حقل كنت ترى فى أحد أركانه حوشاً صغيراً. أو كبيراً، حسب مساحة الحقل. به بضع نخلات.. وبضع شجرات ليمون.. وأكثر من شجرة مانجو..

وشجرة جوافة أو اثنتين..

لو نظرت إلى بلدنا من الجو، وقتذاك، لظننت أنها حديقة كبيرة.

البنات فى البيوت.. بعد أن يفرغن من الواجبات المنزلية، وإطعام الدجاج والحمام والبط، يتفرغن لغزل صوف النعاج.

فى القرية المجاورة نجع اسمه نجع النصارى.. يأتى منه رجل اسمه عم سيفين، مرة كل اسبوع، ليشترى خيوط الصوف التى غزلتها البنات.. يحولها فى أنواله إلى نسيج.. تُصنع منها عباءات الرجال وزعابيطهم وجلاليبهم فضلاً عن عباءات النساء.. أكثر من ستين فى المائة من ملابس أهالى المنطقة، كانت من صنع أيديهم.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

كل من لديه بضعة أفدنة فى النجع، كان يملك ديواناً.. والديوان هو دار الضيافة الخاصة.. قبل أن يتناول صاحبه طعام العشاء، لابدّ أن يمرّ عليه.. هل به عابر سبيل؟..

فإذا وجد شخصاً أو أكثر وغالباً ما يكونون من عمال الزراعة الغُرباء الذين يتنقلون بين القرى. فإنه يحمل إليهم صينية الطعام، ثم يُحضر لهم الغطاء، ويوجد فى أحد أركان الديوان بعض أسرّة الحبال، ينامون عليها.

تظل الدواوين مفتوحة طوال الليل لعابرى السبيل.. حيث كان القوم ينظرون إلى إطعام روّادها على أنه جزء من الواجبات الدينية.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxx

فى سنّ التاسعة تقريباً انتقلنا لنسكن فى النجع الذى ينتمى إليه أبى.. الحياة هى هى.. جدّى لأبى وأعمامى وأولاد أعمامى يعملون فى الحقل حتى مغيب الشمس..

ثمة اختلاف بين النجعين.. أغلب شعراء بلدنا الشعبيين ينتمون إلى نجع أبى.. مرة فى كل أسبوع يتجمعون فى إحدى الساحات الكبيرة ويقيمون عُرساً مجانياً يسهر فيه النجع حتى مطلع الفجر.. وكثيراً ما يتبارى شاعران يرتجلان الشعر فى التو واللحظة، وينقسم الحضور.. كل فريق يشجّع شاعراً.

هل جاءتنى بذرة حبّ الشعر من هذه الأعراس المجانية؟.. ربما.

أبرز هؤلاء الشعراء كان "أبو غالى" الذى يروى السيرة الهلالية.. شخصيات أبو زيد الهلالى وخليفة الزناتى والسلطان حسن والأمير

علام والقرم زيدان والزغابى دياب والجازية "طويلة الضفاير" وريّة "أم عيون كحال" وعالية "ناعسة الأجفان" كانت تتجسّم أمامنا كأننا نراها ونتلمسها..

هل جاءت بذرة حبّ الرواية من شخصيات السيرة الهلالية؟.. ربما.

•••

هذا عن فصل الشتاء..

لأن أبى كان يقيم فى بلدنا أربعة شهور فى السنة، ويقيم فى الإسكندرية ثمانية شهور حيث كان يملك محلاً تجارياً بها.

كنا نقيم فى منطقة سبورتنج.. فى الغرب منا الإبراهيمية وكامب شيزار والأزاريتة وحتى محطة الرمل.. وفى الشرق كليوباترا الحمامات وسيدى جابر وستنالى وجليمونوبولو وحتى محطة فيكتوريا.

جميع السكان أجانب.. يونانيون وإيطاليون ومالطيون وأرمن ويوغوسلاف والقليل من النمساويين فضلاً عن أغنياء اليهود الذين يحملون جنسيات إنجليزية أو فرنسية.

الغالبية العظمى من المحلات التجارية فى المنطقة يملكها الأجانب.. محلات البقالة والحلوى اليونانيين.. المطاعم ومطاحن البن للإيطاليين.. محلات الساعات والأحذية للأرمن.. مطاعم الفول لليوغسلافيين.. الجزارون يهود.. المقاهى للقبارصة.. وهكذا.

الدكتور جمال حمدان وصف هذه المنطقة بقوله: كأنها قطعة من أوروبا عبرت البحر الأبيض والتصقت بشاطئنا.

ثمة ساحة كبيرة بين ثلاث عمارات، أرضيتها من البلاط الملوّن، يتجمع فيها أطفال الأجانب يلعبون الكرة.. ذهبتُ لكى ألعب معهم فحملوا الكرة وعادوا إلى بيوتهم وتركونى فى الساحة وحدى. انعزلت تماماً..

كان أبى . يرحمه الله . لا يجيد من الكتابة إلا رسم اسمه.. فكان الذى يجرى له الحسابات رجل من بلدنا لم يكمل تعليمه الأزهرى، اسمه الشيخ إبراهيم.. كان الشيخ إبراهيم هذا يقرأ مجلة الاثنين ومجلة روزاليوسف كل أسبوع، ويقرأ كتاب الهلال كل شهر.

كذلك كان يقرأ بعض الكتب الدينية والتاريخية فضلاً عن دواوين الشعر القديم..

وعن طريق الشيخ إبراهيم هذا ولجتُ عالم الكتاب، لكننى شغفت بالتاريخ.. فى سن مبكرة قرأت "الطبرى" و"ابن هشام" و"المسعودى" و"ابن الأثير" و"الواقدى" و"ابن عبدا لحكم".. فضلاً عن ما تيسّر من التاريخ الرومانى والبيزنطى والمغولى والتركى بالإضافة إلى الجرمان حينما زحفوا من الشمال وأسسوا دولهم فى غرب أوروبا وطبعاً تاريخ مصر بكل مراحله.. المآسى التى يحفل بها التاريخ لن تجد لها نظيراً فى أعتى المسرحيات.. المؤرخ جيبون. الذى كتب عن سقوط الرومان. وصف كُتب التاريخ بأنها سجل الجرائم البشرية.. هل لهذا صلة بالرواية؟.. نعم.. فكلاهما صراع بين الشخصيات. لم أجد صعوبة فى فهم أساليب كتب التراث.. فاللهجة الدراجة للمنطقة التى وُلدت فيها قريبة جداً من الفصحى.. وصفها الأستاذ عباس العقاد فى أحد كتبه بأنها أقرب اللهجات إلى الصحى فى العالم العربى كله.. ولا عجب فى ذلك، فقد نزلتها القبائل العربية بكثافة فانصهر العنصران العربى والفرعونى..

بعض الأصدقاء يعتقدون أننى أكتب عن النوبة.. هذا شرف لا أدّعيه.. أنا أكتب عن المنطقة الصعيدية من أسوان، وهى التى تشكل غالبية سكان المحافظة، لكنها متخلفة من الناحية العلمية.

• • •

فى سن الخامسة عشرة تقريباً، انضممت إلى أول جماعة أدبية.. كانت مؤلفة من أبناء التجار المصريين فى المنطقة.. منهم السكندريون والصعايدة والبحاروة.. فيما بعد انضم إلينا صديق يونانى وآخر يوغسلافى.. كنا جميعاً من عشّاق الشعر العربى القديم.. نكتب القصائد التى نهجو بها بعضنا على غرار نقائض جرير والفرزدق.. كانت جماعتنا تطلق اسماً. على سبيل الدعابة. على كل فرد فيها.. هذا "الفرزدق" وذاك "سقراط" وآخر "شكسبير" فكان الاسم الذى اختاروه لى هو "الجبرتى"!.

لم أكن أقرأ القصة والرواية إلا بالمصادفة البحتة.. ولما عرفت أهميتهما بدأت أقرأ لإحسان عبدا لقدوس ويوسف السباعى ومحمود تيمور وآخرين.. بعد ذلك بفترة تعرفت على أدب نجيب محفوظ ويحيى حقى وتوفيق الحكيم وفتحى غانم وغيرهم..

حينما تعرفت على الأديب السكندرى نيقولا يوسف. وهو من جيل نجيب محفوظ. قادنى إلى قراءة تشيكوف وموباسان وتولستوى

ودستويفسكى وإدجار آلان بو وهيمنجواى وشتاينبك.. إلخ.

بدأت أكتب قصصاً قصيرة وأبعث بها إلى مجلة "العالم العربى" وكان الذى يشرف على القصة فيها عبدا لعال الحمامصى، فبعث لى برسالة مطوّلة يشرح لى الأخطاء الفنية التى أقع فيها..

مضت سنوات فى عذاب شديد للسيطرة على لغة القصة والرواية، لم أكن أعرف أن المطلوب هو "التصوير" وليس "التقرير"، فللقصة والرواية لغة خاصة تختلف عن لغة المقالة والبحث..

المشكلة كانت فى أن أكثر فرسان الرواية والقصة وقتذاك كانوا يكتبونها بأساليب تقريرية.. الكتب التى تتحدث عن "بناء" قصة تكاد تكون معدومة.. بعضها نسمع عنها ولا نعثر لها على أثر.. حيث طبعت مرة واحدة ونفدت ولم يفكر أحد فى إعادة طباعتها..

تعرفت على أدباء الإسكندرية.. محمد حافظ رجب وجماعته.. كنا نعقد ندواتنا فى القهوة التجارية.. وهى فى الإسكندرية لها شهرة قهوة الفيشاوى فى القاهرة.. كان بعض أدباء القاهرة يزوروننا وينشرون أخبارنا فى الصحف.. منهم محمد صدقى ومحمد جبريل..

ذات يوم زارنا مدير قصر ثقافة الأنفوشى.. قال لنا: أنا فنان تشكيلى واسمى فاروق حسنى "وزير الثقافة فيما بعد" وطلب منا أن نعقد ندواتنا عنده.. وفعلاً هيأ لنا جواً مريحاً فكنا نعقد ندواتنا فى قصر ثقافة الأنفوشى كل يوم ثلاثاء.

كنت أتردد على بعض الندوات الأخرى.. مثل ندوة قصر ثقافة الحرية. وكان يتولى مسئوليته محمد غنيم. وندوة جمعية الشبان المسلمين وندوة جماعة الأدب العربى..

تعرفت على عدد كبير من أدباء الإسكندرية.. محمود حنفى وفتحى الإبيارى ونبيل فرج وحسنى بدوى ومحجوب موسى ومصطفى نصر ورجب سعد السيد وصبرى أبو علم وسعيد بكر وعبد العليم القبانى ومصطفى الشندويلى وعبدا لله هاشم وكثيرين غيرهم.. ثمة أربعة استفدنا منهم كثيراً حيث تطوّعوا بإلقاء محاضرات عن القصة هم نيقولا يوسف وحسنى نصار ود.على نور ود. حسن ظاظا..

أدب ونقد

كانت مشكلتى مع الأصدقاء فى "الشكل" الذى يجب أن نتناول به

القصة والرواية.. كان أدب اللامعقول قد ساد وكان محمد حافظ رجب من أهم فرسانه.. مشكلتي هي: كيف أكتب أدباً لا معقولاً عن منطقتي التي لا يعرف أحد عنها شيئاً؟!.. بعد صراع مرير تصالحت مع نفسي.. أن أكتب القصة والرواية الواقعية "هذا أيامها!" ، مع الاستفادة من الإنجازات التكنيكية الحديثة بشرط الا تعطل التوصيل.

• • •

ذات يوم قرأت في الصحف عن ثلاث مسابقات.. منها مسابقتان للقصة القصيرة في نادي القصة القاهري ونادي القصة السكندري.. ومسابقة للرواية اشترك فيها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مع نادي القصة وجعلاها مفتوحة لكل أدباء العالم العربي..

اشتركت فيها جميعاً وحصلت على الجائزة الأولى في المسابقات الثلاث.. واضح أنها ضربة حظ لا أكثر!

في يوم حفل توزيع الجوائز قلت للأستاذ يوسف السباعي: ما فائدة أن تفوز روايتي دون أن أعرف إن كانت ستنشر أم لا؟.. فالتفت إلى الدكتورة سهير القلماوي. التي كانت حاضرة في الحفل. وقال ضاحكاً: "لا يُفتى ومالك في المدينة! "..

وكانت الدكتورة سهير وقتئذ مسئولة عن هيئة الكتاب.. فقالت لي: سنكافئك على تفوّقك ونصدرها لك في طبعة خاصة.. وفعلاً صدرت "سلمى الأسوانية" في طبعة جيدة خلال شهور.

مما أدهشني أنها قوبلت من كثيرين من النقاد بحفاوة.. كتبت بعدها: "العاصفة. واللسان المرّ. وابتسامة غير مفهومة. أخبار الدراويش"، فضلاً عن ثلاث مجموعات قصصية هي: "المطارحات العائلية. للقمر وجهان. مواقف درامية".

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

حينما عملتُ في الصحافة وأقمت في القاهرة، انقطعت عن الإسكندرية وعن زيارات بلدنا لسنوات.

في القاهرة تعرفت على كثيرين من الأدباء.. لكن ثمة أربعة خالطتهم على المستوى الشخصي: يحيى حقي ونجيب محفوظ ويوسف الشاروني ورجاء النقاش.. كان تأثيرهم كبيراً من حيث إعادة النظر في بعض المفاهيم

الأدبية والفنية، أو نقد بعض الأفكار الموروثة التى أخذت طابع المسلمات.

فى أواخر السبعينيات عدت إلى زيارة الإسكندرية وزيارة بلدنا بعد طول انقطاع.

بالنسبة للإسكندرية.. كنت قد تعرفت على عدد كبير من الأجانب.. من أبناء اليونانيين بالذات.. لكن حدث بعد سن الخامسة عشرة، أى بعد أن تكوّنت وظلت الشخصية الريفية هى التى تتحكم فى سلوكياتى..

من ميزات الأوروبيين أنهم كانوا يمجدون العمل.. يتقيّدون بالنظام.. لا يكذبون.. ثمة شيئان مقدسان عندهم: القراءة، وممارسة الرياضة.. يستوى فى ذلك الرجال والنساء.

وثمة عيب خطير: الأغنياء منهم يتعالون على فقرائهم ولا يخالطونهم!.

حينما رحلوا عن المدينة.. حلت محلهم طائفة من المصريين قريبة منهم إلى حد ما من حيث السلوك.. وغالباً هى متأثرة بهم.

بعد غيابى عن الإسكندرية وعودتى إليها.. وجدت الجو قد تغيّر تماماً.. الكثير من الفيلات تحوّلت إلى أبراج شاهقة ولا وجود للحدائق أو للأشجار.. أغلب سكان هذه الأبراج من غريبى الأطوار.. يأكلون البطيخ فى الشرفات العالية ويلقون بالقشر الذى تصدر عنه فرقعات فى الشارع تشبه بمب الأطفال!.

أحد أصحاب هذه الأبراج، حينما كان فى العاشرة، كان التجار المصريون يحسنون إليه على أساس أنه يتيم.. سمعته يقول وهو يقف أمام برجه الشاهق إنه سحب من البنك خمسين ألف جنيه وأعادها بعد أربع وعشرين ساعة مائة وعشرين ألفاً!.

فى بلدنا وجدت المناخ قد اختلف أيضاً.. أصبحت لا هى بالقرية ولا بالمدينة.. تشترى خبزها من أفران البندر.. أغلب الدواوين تحوّلت إلى ما يشبه البوتيكات؛ غاصة بالمعلبات والملابس الزاهية، كلها مستوردة.. التليفزيونات تسهر حتى الصباح.. بعض الشباب يتحدثون عن البانجو وأسعار الدولار!.

على ضوء هذه المعطيات كتبت روايتى "النمل الأبيض" وأكثر قصص مجموعتى "شال من القطيفة الصفراء"..

يحدونى الأمل أن يظهر جيل جديد يعيد للعمل قيمته.. وللشعر ازدهاره.. ويوجد بديلاً عصرياً لعمّ "سيفين" بحيث نأكل مما نزرع.. ونلبس مما نغزل ■

(٢)

الكتابة بحثاً عن الظلال

يوسف فاخورى

ما الذى يجعل للكتابة ذلك السحر الغامض بلا خلاص، بلا يقين، أن تقابل همس الكلمات داخلك كغريب يبحث عن غربته. غربته مجاز وسطوره نقطة الضوء فى خفايا ظلمة الظلال.

ككل البدايات الساذجة فى المرحلة الإعدادية بدا لى ما اكتبه نوعاً من القصيد، حلماً شعرياً تصورت انى استطعه. وللكلمات الأولى حظ الخطيئة فى المغفرة. حين أدركت انها مجد خواطر تترفق بالآتى ,أضاء صلاح عبد الصبور ثم من بعد صلاح چاهين وفؤاد حداد تلك الارتعاشة الخفية التى يطلقها فينا الشطر/ البيت/ القصيدة/ الرباعية. أدركت أن الشاعر نصف نبى يبحث عن الخلاص من نقشه الأرضى. ولم استطع. توقفت قليلاً لألعن نفسى أو أحبها من جديد. قلت: كى تكتبت لابد أن تحب نفسك قليلاً. وفى كل مرة بجديد، فرحت أقرأ.

بهرتنى قراءة التاريخ، واكتشفت أنه ليس ماضياً تحنط فى الوثائق والكتب الصفراء كما علمونا. وأنه العين الثالثة بين ما كان وما هو قائم والقادم. وتخايلت فى صحوى ومنامى بإصرار الفلاح الفصيح، وشجاعة الإسكندر، وخطط بونابرت، ونبل الحسين،وسحر الأندلس، وروعة فنون عصر النهضة.. إلخ، قرأت ببعض فهم وكل الرغبة فى الوعى بحثاً عن كنه معنى التاريخ الحى، وحين بلغت قسم التاريخ جامعة عين شمس تحنط التاريخ فى وقائع تاريخية لا حياة فيها، بلا دلالة أو رؤية أو معنى. وكانت جدران الجامعة تهمس إحفظ تسلم، وضع حجراً فى عقلك - ولم أقدر.

على أن قراءة التاريخ - وليس دراسته الأكاديمية - علمتنى أن أرى امتداد خيوط الأحداث إلى ماض قد يكون سحيقاً. وعن رواسب تكمن فى قاع الإنسان وفى الفعل البشرى، وقد يتجلى فى لفظ عفوى أو سلوك

عادى قد لا نلتفت لجلجلاته فى الأعماق. ومازلت أقرأ الوقائع البسيطة عبر عمقها التاريخى. وتلك روعة الوعى بقراءة التاريخ.

وبعيداً عن العقم الأكاديمى للدراسة كانت الأنشطة السياسية والفنية هى الخلاص من التكلس الدراسى. ممر الصحافة بآداب عين شمس كان جامعة موازية صنعها الطلاب بعيداً عن سطوة أبوية الجامعة الرسمية. التمرد يتبلور ويكشف عن سطوة المواجهة. أو كما قال أمل دنقل ،ألقته يد الله فى التجربة، وأنا كنت أرغب فى التجربة كى أتحلل من صلاتى التى تربيت عليها ،أبانا الذى فى السماوات.. ولا تدخلنا فى التجربة، . كان المسرح الجامعى مهرجاناً فاتناً وراقياً. رمم الكثير من الشقوق فى الذاكرة والوعى وأضاء اكتشافات لرؤى غائمة كانت تخايلنى. وانداحت مشاهد المسرح الكنسى فى الطفولة البعيدة، والتى لم يتح لى رؤية سواها، مسرحيات عن قصص من التوراة ومسرحيات الخلاص، بأداء يحاكى جلجلة يوسف وهبى، فأدركت أن العصور الوسطى قد سقطت من ذاكرتى.

بهرنى المسرح، صمت الخشبة والدقات الثلاث، وانكشاف المشهد عن البقعة المظلمة، والطقس الإلهى الكامن فى المخايلة. وبنهم رحت أقرأ وأتابع البروفات فى المسرح الجامعى ومسارح الدولة. أربى حواسى وامتلئ بكتابة نصوص لم أجرؤ على تنفيذها عملياً، رغم رغبة البعض فى ذلك. وربما كان لفشل مخرج تحمس لنص لم يستطع إكمال تنفيذه. تعلمت من المسرح كيفية رسم الشخصيات ، وكثافة الحوار، وإدارة الصراع إلى حوافه، وتشكيل المشهد، والأهم من ذلك كله، الإيقاع.

وحين تجاوزت الانبهار كان طموحى إلى فكرة المعمل المسرحى، كعمل جماعى ليس للفرد فيه سطوة ديكتاتورية الكاتب أو المخرج، نوع من المسرح يزيل الحواجز بين كل الأنواع ويلغى الحدود المتعارف عليها ليخلق لغة مغايرة عن السائد، ويضفى نوعاً من الحرية على حركة النص النهائى. لكن ذلك لم يتحقق.

حتى الآن لا اذكر او أعرف على وجه التحديد لماذا تحولت أوائل الثمانينيات إلى كتابة القصة. أحياناً تقودك أسباب غير مبررة لفعل شىء ما. كما فقدت الكثير من كتاباتى دون أسباب مبررة سوى الإهمال، وأحيانا لأسباب عبثية. لم أكن أعرف عن حرفيات كتابة القصة شيئاً حين كتبت القصص الأولى. ومازلت

غيـر عابئ بالقواعد. لكن مـا أذهلنى كان رد الفعل الذى لقيته القصة الأولى فى المؤتمر الأول لأبداء مـصـر فى الأقـاليم فى المنيا عام ١٩٨٤ .وربما لو لم أذهب إلى ذلك المؤتمر ما كتـبت قصصاً فيما بعد. انتبهت أن لى صوتاً ولغة ورؤية خاصة، أو هكذا قال الأستاذ فؤاد حجازى وغيره من كتاب ونقاد.

بدأ اهتمامى بالسرد يزداد وأصبح شاغلى. ورغم الاستغراق فى قراءة الأعمال السردية من قصة ورواية وما يصاحبها من أعمال نقدية، إلا أن مساحة فى الوعى جعلتنى احاول جاهداً ألا تمس حسية الفطرة أو تخضع للمقاييس والقواعد والأسس النقدية المتعارف عليها. وكما تعلمت من المسرح ،أن القاعدة فى الفن.. ألا قاعدة، حاولت أن أرهف السمع إلى صوتى اداخلى بعيداً عن أغواء الكتابة المسالمة.

وأطلق العنان لجموح المغامرة شكلاً وموضوعاً. ألا أتلف الحواس بالوعى المسبق، وأترك مساحة بيضاء للايقين. وكثيراً ما نظرت بدهشة لمن يتحدثون بيقين راسخ عن تفاصيل تكمن حيويتها فى تحولاتها. ولم أرغب فى الاستسلام لأدوات تهالكت من فرط استهلاكها. اليقين الوحيد الذى خضعت له هو التجريب إلى أبعد مدى وبلا حدود قصوى وهو اللمسة السحرية للكتابة. كل الفنون تجتمع فى الكتابة السردية. كلها تتحقق داخل النص، وتتبدى عبر اللغة وتتخلق فى المشاهد.

فى المدن الصغيرة يرتبط الكاتب بجغرافيا المكان فهى محدودة، وبطقوسه فهى متعددة، وبناسه فهم مرصودون فى دائرة مغلقة، وبثقافته وهى سلوكهم اليومى، حين بدأت أدراكاتى الأولى كانت مدينتى الصغيرة تتحول وتتمدد. كان السد العالى قد جذب إليها أكثر من ضعف عدد سكانها وموجات البشر تتوالى، وجرت على الألسن لهجات مختلفة وتنوعت الأزياء واختلطت الألوان والأعراق. وانفتحت المدينة على تنويعات لم تألفها وإيقاع له بريق الحلم. لم يأسرنى المكان فى ضيقه أو تمدده. ولم أخضع لطقوسه أو ثقافته المتأصلة أوالمتحولة. لكنه الإنسان هو من اخضعنى لدهشة عينيه أمام الفيض القادم من البشر وحركة الأجساد تشق طريقها بحثاً عن موضع قدم، الزمن فى اتساع العين على دهشتها أو انكماشها خجلاً. الصوت الجهورى فى فضاء مزدحم يفتقد عالماً ريفياً آت منه القادم بحثاً عن عمل. الزمن الراسخ فى الإنسان كلعنة أبدية. الدهشة هى الاكتشاف الذى لم أبرأ

منه واغترف منه مشتهاه بحثاً عن مزيد من الدهشة.

كل الأسباب التى تقنع بها الكتاب كى يبرروا خطيئة كلماتهم كاذبة ،دفاعاً عن الحياة - هرباً من الاكتئاب أو الموت - أو بحثاً عن جنون فوق جنون الحياة... إلخ.. الحقيقة البائسة أن أحداً لا يدرك على وجه صريح.. لماذا؟ لأنه غامض بأكثر من الظلال ولا أحد يعرف مصدراً للضوء.

قلت لنفسى: أن تختصر نفسك وعالمك فى كلمات لتتسع المساحات أمامك. أن تعود ثانية وتنظر داخلك على آخر يضئ لك الظلال. هو نفسك التى لم تدرك، وعينك التى رأت . ربما يكون ذلك بعضاً من سحر الكتابة ■

(٣)

لأننى مندهش!

أحمد المريخى

الهامش

بدت الكتابة بالنسبة لى رسما جميلا يترجم معنى ..

ليست تلك الترجمة الحرفية بالضبط، إنما تلك التى تصنع عالما موازيا لما أحس وأرى.

كان الشكل هو العنصر الواضح فى الكتابة، حيث الصور المتتابعة والمتنوعة، وشيئاً فشيئاً علمنى أبى أن لا فرق بين الأشكال ومضامينها، ومن ثم صارت الكتابة مشاعر وأحاسيس ورؤى، صارت جسداً وروحا؛ جسداً لا يصلح أن يكون حقيقياً دون حيوية، إذ إنه دون ذلك يُمسى جثة أو جثماناً، وروحاً لا تصلح أن تكون كذلك دون جسد يعكس حيويتها.

أصبحت الكتابةُ تركيبةً فريدة لا انفصام فيها بين شكل ومضمون، تكوينا حيويا يتجاوز الجانب الأحادى حتى لو تحقق ذلك التكوين

فى ابسط صوره، ومن ثم صارت الكتابة تأويلاً؛ وسيلة وغاية، قوة ناعمة تصنع تأثيرها بتكامل عناصرها، كفعل حياة، أو قل حياة، دون يقين قاطع، دون أدوات ترميم ودون إغفال للزمن فى مستوياته المتعددة.

ربما أدركت ذلك فيما بعد، فى الفنون التشكيلية، ولذلك أحببت الكتابة كحالة متكاملة.. أحببتها بعيدة عن التصنيف والتوصيف، وأصابنى أكثر رسم المعنى.

•••

تباغتنى الكتابة كمن أدركه الموت فانتابه طعم الحياة، تباغتنى مثل الشوق بكل ما يحمل من حيوية؛ سخونة وبرودة، صعود وهبوط، شهيق وزفير، حركة وسكون، تفاعل فى الحياة، موقف منها وفيها، هى ليست موقفاً عابراً إنما موقف يصنع حركته، موقف متفاعل..

تقودنى الكتابة إلى نفسى والآخرين، تأخذنى إلى "الزمن / السفر" دون محددات، وقد مارست الكتابة بحكم الوراثة، إذ لم يكن لى ما أرثه عن أبى أعظم من استلهام موقفه من القراءة والكتابة، ثم مارست بعد ذلك - بحكم عملى - أنواعاً شتى من الكتابة، قالوا إننى شغوفٌ بالشعر، أو إن الشعر اختارنى كجنس أدبى، إلا أننى لم أركن إلى ذلك؛ (فقد يكفينى حتى بعد تلك اللحظة وإلى ما يتبقى من رمق أننى أتعلَّم كيف أتذوق الفنون، وبخاصة الشعر) وربما لهذا تأخرت فى الإعلان عن الشاعر، فأنا لم اكتب الشعر رياء، أو كاعتراف بى، كما لم أشأ أن أكتبه كما يريده الآخرون، أردت أن يكتبنى أو هكذا خيّل إلىّ، فرغم أننى وقفت على الشعر كجنس أدبى، أمعنت فى قراءته ودراسته إلا أننى لم أتجاوز يوماً ذلك السؤال الكبير عن ماهية الشعر: ما هو الشعر أو من هو الشعر؟!

كانت الإجابات تولد أسئلة، والأسئلة تقود إلى إجابات، وهكذا.. تدور اللغة وتلف، تصعد وتهبط، يقودها الزمن بأقصى سرعة ثم يعود بها على مطية التباطؤ عبر تفاعلات ربما تشتبك مع ماهية الشعر إذ تسحبنى إلى نداهة خاصة؛ الشفاهى بنداوة اللغة / المجاز والمكتوب بتقاطعات الفكر / المغامرة و..؛

"يا وردُ..
كُنْ لى واهباً بوحى السنا/
رافعاً فعل التى هى فاعلتكَ..

وكِنَّها كونى أنا../
فوق المُفاعل مازجاً جُرحى بجُرح حبيبها/
أو والجاً ضوئى بسرِّ خمولها/
كى أبلجَ الشمس الجديدة"(١).
كان الشك قائدى، وصلت إليه بعد معاناة، بعد يقين مرٍّ؛

"أفضى إلىَّ بقهوةٍ/
لأريجها عَفَنٌ/
قد أحبطتنى فى خجل/
فخرجتُ أمشى فى رصيفٍ/
الرصيفُ منازلٌ/
هيَّأتُ جسدى للكلام/
فنظرت فى أطُرى جدالاً/
أرهقتنى فى الوصالِ لواقحه" (٢).

•••

أنا والكتابة حالة تفاعل، أراها كما ترانى، وكما نحب أن نكون، لا كما يجب أن نكون، لذلك تتعاظم المعارك حول الشعر.. حول ماهية القصيدة، حول العمودى والتفعيلى والنثر، وفى غمرة التصنيف غالباً ما تخفت تفاعلات الكتابة، لكن يتعاظم يقينها العكسى؛ الشك.. الدهشة.. التساؤلات.. أنا، هى.. ثم؛

"وما بالى
بذواتٍ يصنعُها هوانى؟!" (٣).

عشرون عاماً من العلاقة الوثيقة بالكتابة / الشعر، علاقة لا يحركها إلا الشديد القوى، فكثيراً ما أفقد دهشتى وأقعد ملوماً محسوراً، يأخذنى التأمل، وعندما يجتاحنى الشوق وتتجلى الدهشة تأتى الكتابة كمن يستجير

بالحب من كراهية، وكمن يسعى لفضح دهشة مراوغة تقسو عليه أحياناً فيدركها كمن يهرب من موت محقق، وتتلطف معه أحياناً أخرى كمن يحنو على طفل صغير عندما يسأل فى براءة عن موت أبيه: "يعنى بابا راح فين؟!"..

إنها تسحبنى حقاً إلى عالم الميتافيزيقا فى الواقع، لذلك أسعى قدر طاقتى إلى استعادة دهشتى حتى لو تحقق ذلك عبر التعايش مع واقع أكثر دهشة من الخيال؛

"لحظة أن ميتٌ غريباً عن ترابِ حملتُه /
عن أراضٍ شيَّدتْها /
عن جَنازاتٍ لم ترضخ لقبورها /
ولحظةَ أن تحتضنُ النعوشُ كَفَنَ غريبٍ..
سافرَ محروماً من ولدٍ يُسبِّلُ عليه /
ومن زوجةٍ تتهجى وصيتَه الأخيرة /
وما كان له أصدقاءٌ يقيمون ولو مؤقتاً..
مراسم زفافه الأخير"(٤).
تبقى الدهشة هى الدافع / الوازع / المحرك و..؛
"كنتُ أكتبُ لأننى مُندهش" (٥).

●●●

المتن

. جدى لأمى؛ أحمد حسن محمد حربى (اغرقنى فى "الحجاوى" وأمتعنى بحكايات عرفت فيما بعد أنها من الف ليلة وليلة).

. جدى لأمى أيضا؛ الشيخ بخيت حسن محمد حربى "البحيرى" وللقب قصة مدهشة، وأكثر من رواية (يمتعنى بمغامرات أهل التصوف والمداحين وتاريخ قرى جنوب الصعيد).

. أبى؛ الشيخ عبد الله أحمد محمد محمد المريخى (تخلى عن نصيبه من الميراث فى صباه مقابل حرصه على استكمال التعلُّم فى

الكُتّاب، وقد أرشدني إلى الدقة والنظام).

. أمي؛ عائشة (علمتني الحب واللعب والتسامح والمقاومة دون ضجيج، وعزفت لي تقاسيم على قصة إيزيس أوزوريس وحواديت المعبد والحقل وغرب النهر والقسيس والشيخ إدريس).

. أخي؛ علي المريخي (علمني مبكراً تذوق الفن التشكيلي ولغة السينما).

. أجاثا كريستي (أرشدتني مبكرا إلى حبكة البناء)

. الروائي عبد الله الطوخي (أرشدني إلى روح الشعر)

. د. طه حسين (نداهة المتعة "اللغة والأفكار والتأمل").

. شعراء السبعينيات (ارشدوني إلى تمارين الخيال).

. الإمام محمد عبده (يفتح لي باب التأويل).

. د. نصار عبد الله (يعلمني ثقافة السؤال).

. د. مصطفى سويف (يرشدني إلى المعرفة).

. الروائي عبد الوهاب الأسواني (يرشدني إلى القيمة والتسامي؛ علمني أن الكتابة متعة التجربة، و"كيف غيري جزء من وجودي").

. د. أبكار السقاف (فتحت لي باب البحث في "الخروج على اليقين").

. الفنان التلقائي إدريس النقيب (الأجساد إذ تصنع أرواحها).

. الفنان التلقائي محمد عيد (الإيمان لا يتحقق إلا بتجسيده).

. المواطن علي عبد الباقي (عرفته كما يعرفُ صاحبُ الدار عابرَ سبيلٍ، وقد مات على بابي[1]).

. وآخرون "صانعو حكايات" جاءوا قبلي وبعدي؛ مفكرون وكتاب وأصدقاء وزملاء ومواطنون بسطاء.

أحمد المريخي

أغسطس ٢٠٠٨

حاشية:

(١) من قصيدة "تفاعلات" من ديوان لن ينشر بعنوان "أحزان صغيرة".

(٢) من قصيدة "صورة" من الديوان نفسه.

(٣) من قصيدة "الإخلاص"، ولن تجدها في المجموعة الشعرية "ضد رغبتي" الصادرة مؤخراً في سلسة إبداعات عن هيئة قصور الثقافة، لكن تجدها على الإنترنت؛ أنقر اسمي على مؤشر Google.

(٤) من قصيدة "جريدة" من مجموعة شعرية مخطوطة بعنوان "حياة".

(٥) من قصيدة "الانبلاجات" من المجموعة الشعرية "ضد رغبتي".

● شاعر وصحفي؛ سكرتير تحرير مجلة الشعر. سكرتير تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون. عضو أمانة أدباء مصر (٢٠٠٨ . ٢٠٠٩).■

خيالات رحم قاس

يوسف فاخوري

فى كل مرة نفس الفراغ والأنفاس التى سكنت. قطعة اللحم الهامدة في شهرها السابع، لم تر عيناها النور أبداً. دماء حية على جثة، وسوائل دافقة. ألم الفقد وجرح لا يندمل. سقط لم يكتمل وله ملامح بين الصرخة والابتسام. شىء حارق بين فخذيها يشبه وحشة الاكتمال بالنقص يوم حلقت عذريتها نسمة رطبة لوهج اكتمال امرأة. رحم قاس لم يستطع كبح جماح تقلصاته الطاردة. في كل عام يسقط جنيناً مكتملا جفت أوردته عن النبض. لم تر جنينها الأول، لكنها تشبثت بالثانى وما تلاه.

بغريزة لها حس القدر أدركت أنها لن ترى حيوية الدم في وجه ابن رحمها. حين تأتيها التقلصات التي تدرك إيقاعها، تعرف أن ليلتها لن يطفئها إلا خيوط الفجر. تتمدد على ظهرها فاتحة فخذيها لدقات قدرها. كبصقة مفاجئة يلفظ الرحم سقطه. تعتدل. تنظف الجسد الرخو، وتمسد بكف له قوة الدم ورغبة الانهيار.

دائما فى الليل ينتفض بيت الولد، كأنما يخاف ضوء النهار. طوال الليل تظل ترقيه ببسملات لا تنتهي، وأدعية لها بخار الخمر فى رأس يتحسس وعيه. عندما تكتمل خيوط الفجر تسجى الجسد على طاولة. تثقب وريد الرقبة وتمتص الدم الساكن فى العروق كأنما تتجدد به. تفتح البطن وتنتزع الأحشاء، كمن يفتح جرحه ليرى عمق الصمت الكامن. تنظفه بالعطرون وتجففه بالملح حتى يصير الجلد صلباً. تخيط الجرح بالحرير، وتدعك الجسد بالحناء

وبزيت الزيتون تصقله فيصير ناعماً. تصب الشمع السائل، فيما تغنى أغاني الهدهدة. وفى الغرفة النائية من البيت تضعه على كرسي صالون جالساً، وتنام نوماً عميقاً كالأبد.

هي لم تسمح لزائر أن يعبر عتبة غرفة أسرارها. الزوج الذى أدرك لم يقترب ولم ينطق. كل يوم تنظف الغرفة وتطلق الهواء فيها، وتجلوا المرايا. تطلق البخور وتترك له حر السباحة بين جدرانها. وفى كل عيد تلبسهم الملابس الجديدة، تعطرهم وتقص الشعور التي طالت، ولم تقبلهم أبداً. وكلما حل عيد ميلاد أحدهم تصنع تورته تضع فيها شمعة، تطفئها وتصلى صلاة لم تألفها في الطقوس، لكنها تتدفق حارة كأنما تخرج من دمها، دمدمة.

زوجها الذي اعتاد أن يتقبل فقد نطفته في رحمها الضائع، لم يستطع الاستمرار. بعد السقط الخامس رحل إلى رحم له متسع البقاء، وهزيمة الحياة بابتسامة أكثر حيوية من رجولته المهدرة. المدهش حقاً أن رحمها كان ينضح كل عام بجنين يسقط فى الشهر السابع دون رجل يدفق يأس معجزته فى كهفها المظلم. كل عام في نفس التوقيت يدق إيقاع تدرك سطوته. الفارق الوحيد أن الأطفال يأتون بلا لون.

أجساد في شفافية الزجاج وليونة البلاستيك. يولدون ولهم أصوات مبهمة تسكنهم، لا يطلقونها في همس دافئ إلا حين تلمسهم. فقط حس اللمس يطلقهم دون حراك. هل تصدق ؟

حين اكتمل لها أحد عشر طفلا كف رحمها عن دفقه. لم ينتفخ البطن وظلت تنتظر والزمن يتجلى عن داكن اللون. أدركت أنها لن... فتحت باب الغرفة. نظرت. لم تستطع أن تلمس. هربت إلى الزحام. أصوات وأضواء. مشاجرات وغزل. شتائم وأغان تتناطح وأكتاف تتخابط. أكف مشرعة على سقط الحسنات، وعيون تحدق في المبهم. ألوان تهرب من طيفها، وطعم يفر من نكهته.

في ركن لم يدركه أحد، كوم نمل يصعد ويهبط على كسرة خبز. دورة عين على قوس مسحت الميدان، وعادت.

كانوا بألوان الطيف وشعور صفراء وسوداء وكستنائية. أطفال. أطفالها بابتسامتهم الهاربة إلى العميق فيهم، وضوء يشع من وجوههم. ينضحون بروائح مختلفة. ودون أن تلمس ألقت نظرة أخيرة عليهم. نامت ■

•••

الأصابع

أيمن حسن

الحفيد

اتساخ أصابع حفيدها هو ما يؤرقها ، تأخذه من بين لعبه ، تغسل يديه بالماء و الصابون ، تجففهما و هي تدمدم ، هو - كعادته - صامت مستسلم الا حين تأخذ هذا العالم من حوله ، يعلو صراخه ، يرفس الدنيا بقدميه ، في النهاية تستلم له تاركة قطع الميكانو و الصلصال ، ما ان تستدير حتى يبدأ من جديد ، تتشكل قطع الصلصال أجسادا ، بعضها صغير خفيف الحركة ، البعض كبير متزن ، تتداخل قطع الميكانو ، تكون البيوت ، تتحرك قطع الصلصال الكبيرة و الصغيرة ، تتسخ الجدران ببقايا الصلصال في اصابعه و اصابعهم ، تنشغل هي بأمورها اليومية ، تضع الغسيل في الغسالة الاتوماتيك ، تغسل الأواني ، تجهز الخضار للطبخ ، تتداخل الأصوات و الروائح و الألوان ، في لحظة تنتفض من بين عالمها ، تتحرك ناحية الصالة ، يغط هو في نوم عميق على السجادة ، و الصلصال يملأ البيت صخبا .

فتاة الكافيتريا

تتآكل أظافر فتاة الكافيتريا ، ينفر اللحم في طرف كل اصبع ، و يبقى

الظفر خطا عرضيا ملونا ، ه لم يكن - هو - الوحيد الذى لاحظ اصابعها ، ترك مع الفاتورة مبلغا اضافيا وورقة ، فى الحادية عشر كان يقف فى الممر الضيق المظلم ملتحفا ببالطو بنى اللون ، تأتى من أول الممر ، يضيع شبحها فى أضواء الشارع الخارجى المبهرة ، يوقف تاكسيا ، لكنه و هو ينطق باسم الفندق المقيم فيه ، تقاطعه باسم منطقتهم ، يتردد السائق قليلا لكن هزة رأس الراكب تقنعه بالمضى بطيئا حذرا ، تضيق الشوارع ، تتآكل الأضواء و الألوان و البيوت مخلفة روائح و أكوام قمامة و عشش ، تشير للسائق فيقف فى الحال ، يتناول أجره فى صمت و يعود ، سارا بين الحوائط الخشبية المسنودة على أوانى الفخار المتلاصقة بفعل الطين اللبن ، ضغطت على أحد الأبواب الخشبية ، ظهرت عجوز متكرمشة فى ملابسها السوداء ، انفرجت اساريرها و هى تتلقى كيس ورقى من يد الفتاه ، حين انداح الباب الى الداخل شاهد الأرجل النحيلة تسيل من ثقوب بطانية متهرئة ، حاول ان يستدير و يعود من حيث أتى لكن اصابعها قبضت على أصابعه و هى تدفع بابا آخر فى الحجرة ، دخلا ، السرير الوحيد ، تمددت عليه بملابسها التى اختلط عطنها بعطن المكان و بقايا عطن ابطيها ، جلس على طرف السرير ، راح يحلم بوجهها فى أضواء الكافيتريا ، يمسد شعرها بأطراف اصابعه ، يهبط بالأصابع على رقبتها ، كتفيها ، يفكك قيودها و هى مستسلمة ، حالمة ، يسافر فى جلدها يمتزج لونه بلونها فى انتظار لونهما الخاص ، يستعر حرارة و هو يرسل للعالم لونهما ، نفسها يعلو يعلو ، هو يسافر يسافر فيها ، يفتح مدنا ، يعبر بحارا ، يهبط اخيرا يفتح عينيه و ينصت ، شخير نومها يمزق فواخير العشة .■

البيانو

تنظف أصابع البيانو ربما للمرة المائة ، تلقى نظرة على المكان ، كل شيىء مرتب فى مكانه ، اللون الأسود اللامع ، الأصابع البيضاء و السوداء ، النغمات التى تنساب حلما فى أذنى فتاة التاسعة عشرة ، جالسة على كرسيها ، من أصابعها تنبعث موسيقى ، ترقص ابخرة فنجان الشاى الموضوع على البيانو ، تسافر الموسيقى و الابخرة و الاحلام الى الشمس الهادئة التى تلامس زجاج نافذة المحل ، فى المحل المقابل تراه يواصل العزف ، و تواصل معه الحلم ، ترقص بقعة مياه بعيدة على رمال صحرائها الحارة الخانقة ، الطريق الى الحلم يتعثر ، رعاية اخوتها ، تكاليف زواجها ، الحياة مع الزوج المكافح ، الأبناء ، حتى جاءت اللحظة ، كل ماتبقى لها من الحلم هو معاش زوجها و اسورتين ذهبيتين ، و بيانو قديم فى المحل المقابل ، تنظفه الآن للمرة الأولى بعد المائة ، الأصوات التى سافرت معها عمرا من الصحراوات صارت حقيقة مهيبة تنتصب أمامها ، فى الميعاد المحدد يأتى المعلم الشاب ، برشاقة تراقص أصابعه أصابع البيانو ، يتوقف للحظات ، يشير لها ، تجلس على كرسى بجواره ، ينزل أول اصبع لها ، ثقيل بطئ ، يتأوه البيانو ، الاصبع الثانى ، الثالث ، يزعق البيانو ، يصرخ ، يبكى ، يشير المعلم الشاب الى العروق النافرة ، العقل المتكلسة فى اصابعها ، الجلد الذى تكرمش ، حتى الأظافر صارت كتلا تخنق اللحم تحتها ، تحاول المرة تلو المرة ، أصابع البيانو لاتستطيع

أن تعالج الفارق الزمنى المختل بين السكون و الحركة ، أو ما اخبرها المعلم الشاب بأنه الموسيقى .

طرق

من خلف زجاج الكافيتريا كان يتابع سيارات الميكروباص ، تقف السيارة فى الاتجاه المعاكس ، ينزل شخص أو اثنان و ترحل ، يطالع الوجوه بلهفة ، ليست هى ، يدق باصابعه على الطاولة ، ترن ترن ترن ، سيارة ، اثنان ، عشرة ، عشرات ، يضع النقود على الطاولة ، يخرج ملتحفا بالبالطو ، يقف للحظات ، يتأمل الاتجاه المعاكس ، ثم يشير لسيارة فى اتجاهه هو ■

•••

غواية النيل

هيام عبد الهادي

نداء يحتويها بين ذراعيه بينما يستلقى رأسها على كتفه .. تنسدل خيوطها الليلية على صدره .. يجذب الجسد المتهدل دون مقاومة تذكر .. يمطرها بدموعه وهو يحملها على ذراعيه ويضمها لصدره بقوة.

((احتوها برفق بين أمواجك .. ليس سواك يا نيل من يطهرنا .. اغسلها (بمائك الثلج والبرد) وأعدها لى نقية بريئة - كما كانت - حاذر لا تدعها تغيب عن عينيك فهى صغيرة وساذجة)).

تغيب عن ناظريه رويدا رويدا مخلفة وراءها فقاعات هواء تجاورها بقع دماء .. تتدحرج السكين حتى تلحق بها .

تخذله قدماه .. على ضفة النيل يتمدد تغرقه دموعه ويضع بقع دماء.

بعدها ينهض لغسيل خيوط الدم المتخثر من جلبابه.. نداء غامض و شىء ما يجذبه نحو القاع للحاق بها.

زنقة

.... أمعائه تكاد تتمزق .. قطط تموء وتتشاجر داخل أحشائه وهى تحكى :

- أنا نفسى فى ....

- ....((متى تنتهى من حديثك ؟ أحبك والله .. أحبك .. فقط لو تصمتين وتشعرين بى ؟ لمتى أقاوم ؟)) نظر خلفه . فجأة قال:

- ما هذا ؟! جرى وراء كائن وهمى وهى تتابعه بنظراتها الفزعة المتسائلة .

ما أن وصل إلى ضفة النيل - فى ركن متوار مظلم -على حافة مائه أطلق لأمعائه العنان.

صهيل

........................((كنا معا .. نعمل معا .. نخرج معا .. نبيت معا .. أهتم بطعامك قبل طعامى .. كيف أعود للبيت بدونك ؟ ماذا أقول للأولاد حين يسألوننى عنك؟))

انتهى من دموعه وتساؤلاته وهى مازالت بجواره ممددة .. لم تبرح المكان .. تحير.....((كنت تغتسلين فى حضوره .. كان هو ..... ليس سواه من آمن عليك معه .. اذهبى إليه وأرقدى فى سلام))

بصعوبة جذبها للقارب .. أربعة أحجار ربطها فى أطرافها .. جدف حتى منتصف النيل .. ألقاها وصهيلها الصامت يردد الجبل صداه.

غواية

كانت تنظر للنيل نظرات طويلة غامضة.. بداية الغروب أعطت صفحة النيل سحرا حزينا.

فجأة خلعت طرحتها بعدها عباءتها.. ألقت نفسها فى النيل . كانت تعوم كسمكة تعشق الماء .. تعرف مسارها ومستقرها .. مبتداها ومنتهاها. وقف فى ذهول. قالت:

– للنيل سحر.. بمجرد نظرتى فى عينيه يدعونى.. أخلع أرديتى وألبى مسحورة أرتمى فى أحضانه كما عودته على ضفاف قريتنا الصغيرة. هل تغير من النيل؟

كانت صورته ترتسم على النيل وفى عينيها.. لم ير نفسه من قبل وسيما هكذا.

كانت تغيب تحت الماء حتى يظنها لن تعاود الظهور .. تشق الماء فجأة .. تدعوه :

– تعال – تابعت – هل تقاوم غواية النهر ؟

وحيدة

((.........................لماذا أقضى عمرى هكذا .. لم يبق من العمر مثلما مضى. أريد العيش مثلهن.. الأيام والساعات والثوانى تمر.. كل الناس والأشياء تتبدل حولى وأنا......... كما أنا.. وحيدة............... .

حتما هو يختلف عن سابقيه.. الطلاسم التى قرأها والتعاويذ التى تلاها على الماء تبدو مختلفة.. لم أرتبك أو أتلعثم حين سألنى أحدهم ما الذى أحمله.. قلت بجرأة" ماء" وأنا ألقى بالماء الكدر المطلسم فى النيل)).

قبلة

.... غابا فى قبلة طويلة.. طويلة.

لم يشعرا بها وهى تقع .. وهى فى يد رجل معلقة وهو ينادى " يا أستاذ .. يا آنسة ".

فى ندائه الثالث سمعته – هى- قطع استرسالهما .. ردت فى صوت هائم يبدو من عالم آخر بعيد .. بعيد " أيوة يا أستاذ " بينما – هو- لم يفق من أثر القبلة بعد.

قال " شنطتك على الأرض يا آنسة .. ربما حد يسرقها وإنتو

"........................

- أخذتها - هى - منه بلا مبالاة وضجر .

((نيرته الساخرة دفعت الدم فى عروقى..أنتظر أدنى كلمة يتفوه بها لألقيه فى النيل)).

مضى الرجل وتركهما فى الركن الهادئ المظلم من الكورنيش ..

((من قلبينا تمنينا أن يسقط الرجل في النيل وهو يسير أو تلتهمه إحدى كائناته)).

نوبة

.... سأل الولد " يا جدى الأراضى الجديدة واسعة صالحة للزراعة والخير وافر .. لماذا يا جدى كل هذا الحزن والبكاء على أطلال النوبة القديمة؟ "

قال الجد النوبى " عند ولادة الوليد منا يرمون ببقايا الحبل السرى فى النيل لنظل فى رباط مع النيل منذ ميلادنا وحتى وفاتنا.. ترتبط روح الفرد منا بالنيل لا يفارقه حتى تفارقه الروح . .

جاءوا بنا وبناسنا ومتاعنا وبهائمنا هنا .. لكنهم يا ولدى تركوه .. تركوا النيل هناك حيث أرواحنا مازالت تسكن "■

•••

مراوغات

أحمد أبو خنيجر

ويعدين يا حج عثمان

قلت بصوت منخفض وهادئ قدر الإمكان، وأنا أتطلع لسمرة وجهه الذى غزته التجاعيد بطرف عينى دون أن أحول وجهى كاملا نحوه، لم أكن أريد أن أبدو أمامه ملهوفا ومتوترا، حتى لا يركب رأسه ويزيد من حدة العناد التى يجابهنى بها طوال الأيام الماضية، فقط أريد أن أنهى الموضوع، وأصل إلى حل يخلصنى من الورطة التى أوقعتنى الكتابة فيها.

ولمن لا يعرف الحاج عثمان، هو عثمان العجبان أحد أبطال الكتاب الأول من رواية: العمة أخت الرجال. شاب قوى وعفى وبطل فى لعبة التحطيب، يزهو بقدرته على هزيمة من ينازله، أيا كان، لكنه ارتكب من الحماقة ما استوجب طرده من العائلة، هكذا تلقاه والده على عتبة الباب ووضع فوهة البندقية فى صدره، وأمره بالمغادرة، وهذا لم يكن مقلقلا لى، لكن حين تقدمت الكتابة، وتقدم الزمن، وكان قد تحول عثمان، بعد عودته من رحلة النفى تلك، تحول لسيد لحلقة التحطيب، وجاء من يتحداه، ثأرا من نفس الحماقة القديمة، التى طرد بسببها.

حين أنظر إليه الآن وقد تخطى الخامسة والستين، ونحن نسير سويا بقلب شارع السوق بمدينة أسوان، يقبض على العصا بنفس القوة والليونة، يكور يده حول الرأس الملفوف بجلد ثور ومثبت بكبسولات

معدنية، فضية اللون، تبرق تحت وهج الشمس الحارة لضحى يوم خريفى ينذر بظهيرة ملتهبة، وحدنا بالشارع، أقصد أن المارة بالشارع حولنا، ما كنا لنراهم، أو يرونا، خصوصا الحاج عثمان، (ينذرنى كثير من الأصدقاء والمعارف، بأنهم وقفوا كى يسلموا على لكنى عبرتهم دون أن أعيرهم أى انتباه، فقط مررت كأنى لا أود معرفتهم، تنظر فى الفراغ، أو تحدق حولك، كمن ينظر لشخص يسير بجواره، لكن لا أحد معك، تسير وحيدا بالشارع، والشارع لم يكن مزدحماً، أحاول أن أدافع عن نفسى، بأنى فعلا لم أرهم، وأنى لو رأيتهم فعلا لسعيت أنا نحوهم، مع التكرار بدأ البعض فى تفهم الحالة، وإن كان على مضض) فقط أنا وهو سائرين لا أعرف يقينا إلى أين، لكن من المؤكد هو يعلم أين وجهته.

- شوف يا ود أخوى..

وانتظرت أن يكمل ، لكنه هز رأسه بخفة وأسقط باقى الكلام، وأنا من داخلى أغلى، الأيام تمر دون أن يقول لى إلى أين ذهب عقب طرده، وماذا فعل خلال تلك المدة من النفى الإجبارى، حتى يعود بطلا لا يشق له غبار، كما يقولون، لكن دائماً هو صامت، كأن الأمر لا يخصه، أو هى حياة شخص آخر لا يمثل له شيئاً فقط ينظر نحوى ويضحك بسخرية، ربما بشماتة أيضا، وأنا أحاول أن أبدو مهذبا ولطيفا قدر الطاقة، أعزم عليه بسيجارة، فيقول أنه يشرب الجوزة، وأقول هذه بداية طيبة، أحاول أن أجرجره فى الكلام، لكن ردوده موجزة ومقتضبة، كأنما يدر الحوار بداخل نفسه، ولا يسمعنى منه إلا شذرات تافهة لا تغنى وتجعل القلم يجرى على الورق، فى حالات مثل هذه - وهى كثيرة بطبيعة الحال -، ألجأ لحيل متعددة تتناسب والشخصية التى أحاول أن أكتبها، مراعيا طبيعة الشخصية وقدرة الحيلة على فك مغاليقها، كأن أكتب لها خطايا، أو أحادثها هاتفيا، أو أسرمك لها بهض الخطوط فوق الورق، أو أعزمها على السينما، وكان دائماً المشى بالنسبة لى أفضل الطرق لإدارة حديث هادئ ومباشر مع الشخصية والأفكار التى أعمل عليها.

ارفع رأسى منتبها للطرق من حولى، فرأيت الحاج عثمان يجرجرنى خارج المدينة، تحديدا نحو لأماكن القديمة منها، ولم يكن لدى اعتراض طالما ذلك سيعود بالنفع لكلينا، وأن ابتهل الا يكون قد قادنى نحو طرق مسدودة كما فعل قبله عدد من الشخصيات، لأنى ساعتها سأنقلب لشخص لا يطاق، ويمكن أن أقدم على أعمال أقلها عنفا أن أحرق أوراق المخطوطة التى أعمل فيها لأبدأ من جديد، ويمكن أن أقول ببتر الشخصية تماما وأخرج لسانى، ولتدخل إلى عوالم النسيان والموت، أعرف جيدا دوافعى الانتقامية، ورغبتى التدميرية، لأنى لو لم أفعل ذلك لن أتقدم فى الكتابة سطر واحد، فى مرة وكانت الشخصية لصياد سمك، وكان أن قيد قدمى يدى ثم ألقانى فى منتصف النيل، وقال لى: اسبح. ولم يكن بد من الغرق، سبحت قليلا، لكن قواى خارت، فخرجت وأغرقت القارب بكل من فيه، وبدأت أكتب من جديد، وأنا أكثر صفاء.

كنا قريبين من النيل حين عرج على زقاق ودخل فيه وأنا اتبعه، وكنت قد تعبت من طول اللف وحرارة الجو بدأت تسخن أجسادنا، تلفت للحاج عثمان، وجدته متهلل الأسارير، وكأنه وجد أخيرا ما كان يبحث عنه، قلت فى بالى: خير. وراح جالسا على غرزة شاى صغيرة نابتة على رأس الزقاق، أردت أن أقول له: لو أردت هناك مقهى قريب من هنا، ظل وتكييف، وأى شىء تطلبه، لكنه جلس، لو أعارض فجلست على كنبة خشبية ضيقة متهالكة الأرجل، وقريبة من الأرض، وكان السؤال قد حبك ، ولم استطع تأجيله: إيه اللى عاجبك هنا؟! كانت بسمته واثقة

وهادئة وقبل أن يجيب ، جاء صاحب الغرزة، وهو رجل عجوز ضئيل الجسم وسألني: تشرب إيه؟. قلت وأنا أتابع الراحة المتولدة في وجه الحاج عثمان: أتنين شاى تقيل.
لكن الرجل لم يتحرك، فرفعت وجهي إليه، وجدته ينظر نحوى بدهشة وهو يحرك سؤالا على طرف لسانه، وكان على أن ألم الموقف، قبل أن يتطرق عقله لأفكار أخرى، أهونها الجنون، قلت: فيه واحد صاحبي جاى. حرك الرجل يديه في الهواء، وبدأ واضحا أنه لم يصدق ما قلت، لكنه مشى نحو النصبة، وأنا نفضت رأسي، ورجعت للحاج عثمان، فوجدته يضحك، بدا له أن توريطي في مواقف كهذه مضحك، وثارت نفسي وقبل أن أتفوه بكلمات قاسية ومرة، أشار بعصاه إلى امتداد الزقاق، نظرت حيث أشار، فجمدتني المفاجأة.
كانت واحدة تدلق ماء في قالب الشارع، لتسكن الحرارة المصاعدة. كانت بعيدة بعض الشيء لكن ملمح جسدها داخل الجلابية المحبوكة ،واضحة، كانت الانحناءات والاستدارات شديدة التقسيم والوضوح، ويبدو أنها كانت عائمة بما يمكتله جسدها من قدرات طافحة، فبدت حركتها تحت هذا التأثير طاغيا، كانت ترفع جذعها بعد أن انحنت ودلقت الماء، ودارت ناظرة في الشارع لتلتقط أي عين تتملى جسدها، خفضت عيني بسرعة، فما أنا إلا غريب في مكان غريب، وسمعت ضحكة الحاج عثمان المجلجلة، قلت: هكذا إذن. وتناولت واحد من كوبي الشاى ورحت احتسيه، وأنا اختلس النظر للجسد الريان المتحفز هناك بقلب الزقاق.
بالقرب من هنا كان الميناء القديم للمدينة، وبدا المكان مناسبا لتسكع الغرباء في ذلك الزمن القديم، زمان طرد عثمان، وبدأت أمامي عيني تنتصب الحركة الهائلة لعمال الميناء وجلبتهم الواضحة، وقدومهم ورواحهم للغرزة، وبدت سيدة الزقاق هي من يدور بين العمال موزعة أكواب الشاى وقسوة جسدها في عيون متعبة مغطاة بالغبار والعرق، ورانية هناك جالسا في طرف الغرزة البعيدة، شابا عفيا قابضا على نبوته وعمامته الكبيرة شبه متهدلة فوق رأسه، قسوة الطرد تحيره وتفيده، وعينه تتملى الجسد اللعوب للصبية التي لا تهدأ حركتها، إنه العجبان عثمان، مللت على الحاج عثمان، سألته: ما اسمها؟ قال دون أن ينظر نحوى، وبدا كأنه يكلم نفسه: كانت أيام يا وداخوى، وتنهد قبل أن يكمل: نعيمة.. اسمها نعيمة.
رحت متعجلا أشرب الكوب الثاني من الشاى حتى الحق بالورق الأبيض، قبل أن يرجع الحاج عثمان في كلامه، وبصدرى وعقلي نتراحم الجمل، كان على أن أوقف تدفقها، واحتفظ فقط بجملة الافتتاح، اردها كبير مندوفا وقعها وإيقاعها حتى تتملكني تماما، وعندما أجلس للتدوين تكون قد صدرت إيقاعها لباقي الجمل، هكذا كنت أردد: (مدفوعا بحميته ونبض الرجولة دخل المعركة، كان يمكن أن يغض عينه، ويتابع شرب الشاى الذى احضرته نعيمة، ويظل يتملى جسدها الريان كلما اقبلت أو راحت، تلبى طلبات الزباين القليلين، لكنه عند لحظة لم يعد قادرات على كبح حميته، رفع نبوته وهدر بصوته القوى، وهو يطوح عمامته على الدكة الجالس عليها، مقتحما الخناقة الضيقة).
قلت وأنا أقف: متشكرين يا حج عثمان. وجاء صاحب الغرزة ، بينما أناوله النقود ثمن كوبي الشاى، سمعته يقول: يعني صاحبك مجاش. تبسمت وأنا أقول له كان قاعد جنبي.. بس أنت ماخدش بالك. وتحركت مبتعدا قبل أن يقفل فمه المفتوح ويرد على بسؤال آخر، رغم ذلك وصلتني كلمته التي قالها في ظهرى: الطف بيايا رب ■

كباية شاى

هاشم زقالى

لما الدنيا بتجيب وتحط علينا..
ولما الدمعة بتملا عنينا...
ولما القلب يشيل الهم..
والأحزان تتلم علينا..
تحاوط بينا من حوالينا
بنشرب شاى

● ● ●

ولما الدنيا بتفرحنا...
وننسى جراحنا...
ولما الفرحة بتملأ عنينا..
بنشرب شاى...

● ● ●

ومتهيألى لما نموت ونروح الآخرة...
برضة هانشرب شاى..
لأن الهم ورانا ورانا..
وعلشان ننسى الهم الأزلى...
لابد مانشرب شاى...

● ● ●

علشان كده لازم تتعلم تشرب شاى..
تنسى همومك..
حواليك الدنيا تقلب تعدل...
رايح جاى..
وأنت لوحدك زينا كده قاعد ساكت
دايب فى هوى..
كباية الشاى..
وخليك ساكت
واوعى تقول رأيك فى
اللى بيحصل حواليك
أحسن يا خدو منك

كباية الشاى..
وان أخدوها..
طب حتعيش إزاى..
وخليك ساكت...

● ● ●

لما بتفرح ..
افرح وأنت جوه كباية الشاى..
ولما بتحلم...
احلم وأنت جوه كباية الشاى...
ولما تفكر..
فكر وأنت جوه كباية الشاى...
ولما بتزعل ازعل وأنت جوه كباية الشاى...
ولما تطق جنابك..
من كتر الغلب..
وكتر الهم الأزلى اللى لابد فى قرابيز أهالينا..
حرق الدم اليومى..
خليها تطق..
لكن وأنت جوه كباية الشاى...
وخليك ساكت...

● ● ●

تبقى مواطن م الدرجة الأولى..
خانة إليك عليك مقفولة...
وأنت اللى عليك النية..
وأنت اللى عليك الرك...
تنسك..
ما تتكلمش.. ما تتألمش...
ولا تطلع منك حتى قولة أى

وتفضل قاعد.. تشرب .. تشرب..
تشرب..
تشرب.. تشرب.. تشرب...
فى كباية الشاى...
حتى تتحول من بنى آدم إلى كباية

شاى...
وخليك ساكت

• • •

ايه رايك .. تشرب شاى؟؟؟

درس الكراهية

أحمد المريخى

الضجيجُ لغةُ كراهيةٍ بغيضةٍ
. ولستُ أكرهكم هكذا.
دبرتُ لكم مصيبةً
وعندما تتمطون فى أسرّتكم
تدرككم خيبةٌ لا مثيل لها:
إذ تكتشفون احترامكم لى
حينئذٍ..
تغلى الكراهيةُ فى قلوبكم
كجبالٍ تتسامى فى بُركان..

ولستُ. على الأرض. وحيداً
أستطيعُ الحياةَ على عكّازٍ
يُذكّرُ النملَ بأننى واقفٌ..

ثمّ الكتابةُ لغةُ الكامرينَ على المنابر..

والإسطبلُ مكتظٌ بالخيلِ
الخيلُ ظمآنةٌ للصهيلِ
الصهيلُ من النوع المألوف

والسائسُ غيرُ عابئٍ
لأن الخيلَ خيلُ حكومة..

والأقدامُ الغشيمةُ التى تتعاقبُ
على الأرضِ منذ عشرات السنين
هى نفسها التى تدوسُ على رأسىَ الآن؛
الأصابعُ هى الأصابع
الكعوبُ هى الكعوب
فقط..
تتبدَّلُ الأحذية..

وقد انتهى الفلاحُ الذى عاصرناهُ
فى كتب المطالعة القديمة
ما عاد الراعى يحرسُ غنماته بالناى
ما عادت الأرضُ رمزاً للخصوبة
صرنا عجائزَ؛
خطواتنا مرصودةٌ
وأبوابنا موصودة
وأحلامنا المأمولةُ
ظلُّ كهولة..

؛
أما الحديقةُ التى زرعتُها بنفسى
وأثمرت / تستظلُّ بالعابرينَ،
بل صار لها عُشاقٌ يرشونها بالقداسةِ
أما . صاحبُ الحديقةِ . أنا..
أين أنا
. من قلبكم وقلبها . !؟
أنا
هنا..
أرشكم بالنار؛
وال
ح
د
ى
ق
ةُ
التى احترقت
. تبكون عليها . !!
حديقتى أنا
أنا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!
؛
الضميـرُ..
إلـهُ المرء
ما عَلِمَ معرفةً إلأ بكى
وأكفانكـمُ..
تكفى لقتلكم!!

السوق

أشرف عويس

هل تشترى يا خال؟
هل تشترى يا عم؟
لن تحتاج لطاولة
ترهقك إلى آخر الشارع
ولا ولد يحملها عنك
إلى آخر السلم
سيصعب عليك حالى
فلن تفاصلنى
لا امرأة تفرح برجوعى
ولا صغار يتسابقون
إلى فاكهة على صدرى
ومع ذلك
احتاج لأن أرجع
مجبور الخاطر
....
بكم تشترى يا خال؟
بكم تشترى يا عم؟
لا أحتاج إلى دلال
حاجة السوق مبروكة
وأول بيعة
فى الصبح رابحة
سأكرمك.. لأستفتح منك
مع أن تجارتى
- حتى فى الليل -
لا تبور
أيضا..
سأوفر عليك أجرة الحمال
فخذ منى ولن تندم
فقط.. وأنت عائد
انتبه للطريق
فحصان العتمة
دائما.. بلا خيال

....

من يشترى يا خال؟

من يشترى يا عم؟

إنى.. أبيع الهم

إنى.. أبيع الهم

....

لا تشترِ يا خال

لا تشترِ يا عم

قربت أطرشق

جمال عدوي

معرض عذابى اتفتح

مين يا جى يتفرج؟!

فيه ألف صنف من العذاب

إللى:

قلبك ما يحملهوش!

فيه قلب..

أجدع من إنه يذل دقاته

وعيون جريئة جداً

دموعها ما يتنزلش..

إلا بعفاف محمود وقت اللزوم!

فيه حزن جافى..

اقدم من المش القديم فى اللون

لكنه فى الطعم طازة!

فيه نفس..

م الجرى فى المتاهات عدمت

وندمت وصارت:

ملهاش لا دور ولا عازة!

فيه صوت «مغلق» وجع،

وصمت أقوى من الكلام،

وكلام من «قعرة» الصدق طالع!

فيه ألف شارع وجع..

فى «بصة» والعة «من موقد»

ما باقدرش اتنى!

وفيه حاجات ما يحسهاش

غير اللى شرياه الليالى..

بأسئلة ملهاش إجابة!

فيه ضحكة دفها مرخى

محتاجه حد يشدها

وفيه لغات ما بتتنطقش

تحس بيها

فى لحظة دعاء..

فيها استجابة!

ورف آخر المعرض..

يمين فى يمين..

داخل عزيمتى

تجد فى وشك:

صبر أعلى من جبل علبة

كل إللى يطلع عليه..

يشوف بعينه عينيه

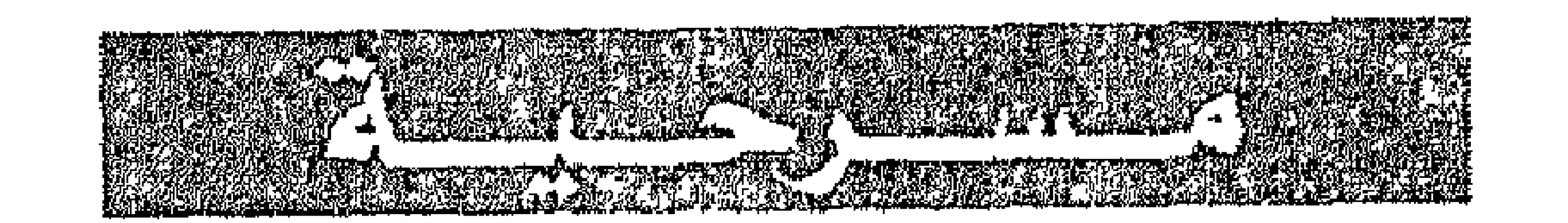
ضى الرضا..

بيلاغى نور العشم

يضحك يهد المعرض،

على كل لحظة ضعف..

ساهمت فى عنوان القصيدة



نهار ميت



تأليف:

عيد عبد الحليم



المشهد الاول

المكان: عبارة عن بيت ريفى قديم متهالك، يقف أمامه رجل وامرأة تبدو على ملامحهما علامات المشيب، ويحمل الرجل فوق كتفه حقيبة سفر متوسطة الحجم.

الوقت: منتصف النهار.

سمر: ها أنت عدت، وقد أكلت منك الغربة أحلى سنوات العمر.

(تقترب منه وتصوب نظرتها إليه) قائلة:

لماذا الآن تعود؟

ماهر: (يمسك بيديها)-

احتاج أن ارتاح قليلاً

من تعب الأسفار

أن اختار حياة أخرى

أن أرجع لحديقة أزهارى

لأراك - كما كنت-
فى الزمن الماضى
حبيبة عمرى المنسى
(يتجه إلى واجهة البيت)

اشتاق إلى مصبطة الأهل)
وضحكة امى
ووجه أبى
ولمة اصحابى
ثلاثون عاماً أو يزيد
وانا كالبحار
امضى من بلد إلى بلد
تلقينى الأمواج
من بلد إلى بلد
ولا يصطفينى شط
أو امراة أو حديقة
مغترب أبدى
وأزمنتى ضاعت فى الطرقات
(يقترب منها)

كنت اشتاق
إلى زهرة فى مخيلتى
كنت اشتاق إلى نفسى

ثلاثون عاماً
يا امراة سرقت احلامى
كنت أشتاق إلى نفسى..!!

وكأن الأشياء لم تتغير

البيت نفس البيت

والمصطبة كما هى

فى مدخل البيت

ماهر: (ينظر بأسى إلى البيت)

- لكن أين الزهرة

وأين أبى

ليت الحرب لم تطرق أبواب القرية

لكنى لم أملك ساعة أن جاءوا

إلا أن أذهب معهم..

وضعونى فى الميدان

وسط مئات الجند من كل مكان

قال القائد: الوطن بحاجة لكم.

- لم أفهم معنى الكلمة -

أعطونا أسلحة

نحن الصبيان القرويون عشاق النايات

والأسمار الليلة

قال القائد: واجبكم أن تعطوا الأعداء دروساً لا تنسى

من أجل الأطفال إذا قدموا

من أجل الأشجار

(ينظر إليها): لكن أدركت بعد طول الوقت أن الحرب مذلة

وإن الوطن الساكن فينا

ماهو إلا هذا البيت

فما جدوى أن أحارب

وأعود لفقدان الأب

ليت أنى لم أسافر

لو كان الأمر بيدى

لاخترت انقضاء الحياة

تحت هذى الشجرة

(مشيرا إلى شجرة جافة فى مدخل البيت)

سمر: لكنك عدت بحقائب ملأى بالأحلام

ونقود تقدر ان ترسم أياماً أخرى

وحياة تملؤها الرغبة

ماهر: أتظنين؟

سمر: بالتأكيد (وتشير إلى الحقيبة التى يحملها) -

هذا زمن المال المتفجر

فبالفيزا كارد

تفتح كل الأبواب

تصير نبى الأيام القادمة

فافتح حقيبتك الملقاة على ظهرك

وافتح ذراعك لضلوعى

فأنا مشتاقة للحب وللثروة

ماهر: (ينظر إليها نظرة استغراب ودهشة)

بل تشتاقين لثمن ذراعى المبتور.

سمر: لم أفهم ما تعنى؟

(تتصنع الدهشة)

هل بتر ذراعك حقاً؟

لم تخبرنى فى أى رسالة

كيف جرحت؟

ماهر (بسخرية)

لا شيء يهم

فأنا عائد من حرب

لم أعرف حتى الآن من كنت أحارب فيها

سمر على أى الأحوال

ها أنت تعود

ماهر ما جدوى العودة

والبيت على هذى الصورة؟

فضاء منسى

تسكنه أشباح الماضى

وقد جاء شتاء تلو شتاء

ولم ترو الأشجار النابتة أمامه

(يحاول أن يجفف دمعة سقطت منه)

يرحمك الله يا أبى

يرحمك الله يا أمى

سمر (تربت على كتفه)

خفف عنك يا حبيبى

ماهر خذى هذى الحقيبة

وما فيها / سترة الحرب

وكتاب مطوى على زهرة جفت

ورزمة الأموال

لكن لا أتمنى

أن أراك ثانية

أن أحاول إرواء ما تبقى من جذور الشجرة

هذى النابتة فى مدخل البيت

(ثم يتركها ويتجه إلى باب البيت)

إظلام

المشهد الثانى

نفس المكان السابق:

يدخل مجموعة من الناس يشكلون جوقة غنائية ويرددون

طار اليمام وحط .. على أول الطريق

فرحان سعيد وغنى لرجوعك يا صديق

سنين طويلة فاتت،

وناس كتيرة ماتت

واليمام حزين وساكت

والدم فى كل شارع، والحزن فى كل شىء

طار اليمام وحط على أول الطريق

واحنا كتير بنحلم بصبحنا الجديد

جوا الضلوع بيصرخ طفلنا الشهيد

والكون عمّال بيكتب فى أبيات النشيد

الدنيا مسيرها تيجى لقلبنا البرئ

طار اليمام وحط على أول الطريق

مظلوم يا صبح والله.. فى عالمه كله نار

والشجر حلمان بضلة فى أول النهار

طار اليمام وحط لقى فى الأرض دار

فرحان سعيد وغنى لرجوعك يا صديق

طار اليمام وحط على أول الطريق

المشهد الثالث

المكان: فصل دراسى من مدرسة ابتدائية به مجموعة من المقاعد التى يجلس عليها عدد من التلاميذ، وفى الأمام سبورة مكتوب عليها «لغة عربية» وتحتها عنوان الدرس : «الجملة الأسمية».

عمار: يا أستاذ، ما الفرق بين الاسم هنا، والاسم فى الجملة الفعلية؟

ماهر: الفرق كبير يا «عمار»

فالاسم هنا أساس الجملة مثل «العدل أساس الملك» أو خذ مثلاً آخر «الحق يقين البسطاء»

طالب: لكن اللغة العربية – وأشرت لذلك فى الحصص السابقة – يا أستاذ – أولها فعل واسم يليها وهذا يختلف عن لغة العالم أجمع.

ماهر: هذا حق، لكن للاسم جمال أكثر، فالاسم صفة وموصوف وواصف.

(ثم يقترب من الصف الأول من المقاعد)

هل فهمتم ما أقصد

- **الطلبة:** (فى صوت جماعى) يرددون : (نعم فهمنا)

طالب: يا أستاذ لكن بعض الأسماء، وصفات نستمعها لا نفهم معناها، فمثلاً. أبى وعمى وكثير من ناس أعرفهم يرددون أمامى لفظ «الخصخصة» (يقولها بتأتأة وتعسر)

فما معنى هذى الكلمة؟!!

ماهر: الخصخصة مصطلح رأسمالى يعنى بيع أصول الشركات المملوكة للدولة لرجال الأعمال، ولذلك بيعت مئات الشركات.

هذا مختصر اللفظ، لكن المعنى أكبر من عقل الأطفال أمثالك يا ولدى.

عمار: (يرفع يده) – ويأذن له (ماهر) بالوقوف.

– أخبرنى أبى – يا أستاذ – أن هناك صفة كبرى ، بالإمكان أن تصلح

حال الدنيا، وتسمى ،تسامح،.

ماهر: وماذا تعرف عنها يا ،عمار،؟

عمار: أخبرنى أبى أن ،التسامح، أن تعطى للآخر كل الحرية فى التعبير، أن تتحاور فى كل الأشياء، أن تنظر للدنيا بعين صديق، أن لا تلقى الأحجار فى أى طريق علمنى أيضاً أن اصفح عن أى إساءة فذلك قوة.

ماهر: ،يظهر على وجهه الإعجاب بعمار،

ويأمر بقية التلاميذ قائلاً:

صفقوا لعمار

فهو يخبرنى بحل المعضلة..

صفقوا له فهو يستحق..

(يصمت لبرهة) ثم يكمل:

لقد نطق ،عمار، يا أبنائى بكلمة حق

يعلو التصفيق

إظلام

المشهد الرابع

نفس المكان فى المشهد السابق.

لكن الأطفال يقفون صفاً واحداً

على هيئة (جوقة) غنائية ويرددون

فى صوت واحد.

التسامح والإخاء والعدل والحرية

أول خيوط الفجر.. وأول غنا

اسمك واسمى أبجدية للإنسانية

بالمحبة والحوار يعلى البنا

..

إحنا الأساس، ودنيا البراءة

كلمة «مسامحك» بتمحى الإساءة
مسيرنا ها نكبر.. يفرقنا الزمان
وتبقى مابينا أصول الصداقة
ها يفتكرها كل واحد مننا

التسامح والإخاء والعدل والحرية
ول خيوط الفجر.. وأول غنا

المشهد الخامس

المكان: (نفس الفصل الدراسى السابق)

يدخل رجل فى الثلاثين من عمره، وفى يده كشكول التحضير وفى اليد الأخرى عصا خيزران صغيرة، ويبدو متجهم الوجه.

عصام: (المدرس): يأمر التلاميذ بصوت أجش: «قيام»

وبعد لحظة قصيرة يأمرهم بالجلوس: «جلوس»، ثم يتجه إلى السبورة ليكتب فى أعلاهاتاريخ اليوم وفى وسطها يكتب بخط أنيق «المادة: تاريخ»، ثم يتجه إلى التلاميذ قائلاً:

اخرجوا كتاب التاريخ الحديث

(يخرج كل التلاميذ الكتاب من حقائبهم ما عدا «عمار» الذى يتجه إليه «عصام» والذى يبدو على وجهه التحفز والغضب.

عصام: لماذا نسيت أن تحضر كتاب التاريخ؟

عمار: عفواً يا استاذ لقد نسيت

عصام: انسيت أن تأكل أو تشرب أو تلبس

يبدو أنك ولد مستهتر، لا تهتم بشيء

عمار: أبداً.. ابداً، هذى أول مرة انسى فيها اى كتاب

عصام: اخرج يا عمار خارج هذا الفصل، لا تحضر لى درساً بعد -الآن-

عمار: (وهو يبكى) أسف جداً يا أستاذ، آخر مرة

عصام: لا - ثم يتجه إليه ليكيل له ضربات متتالية بالخيزرانة.

يشتد صراخ «عمار» وهو يردد:

آسف جداً يا أستاذ

لكن عصام يشتد غضبه فيلقى عمار على الأرض

ثم ينهال عليه بالضرب حتى يفقد الوعى وتبدو على الأرض بعض قطرات الدماء، ثم يسكت «عمار» عن صراخه، فيقترب منه أحد زملائه، والذى يحاول أن يرى ما حدث له، وحين يقترب منه يمسك بيده لكنه يصرخ:

لقد مات عمار

مات عمار

عمار مات

فيعلو ضجيج طلاب الفصل وهم يرددون:

الأستاذ عصام قتل عمار

يدخل مدير المدرسة، مستفسراً:

ما هذي الضجة؟

الأطفال فى صوت واحد: عمار مات

عمار مات

مدير المدرسة: (موجهاً كلامه للتلاميذ) : كفاكم

.. كفى هذا الصراخ، إياكم أن يتكلم أى منكم بما رأى

يدخل ماهر مسرعاً، مقترباً من «عمار»:

قم يا عمار

انهض أيها الولد الجميل

قم يا...

(يغلبه البكاء)

ثم يتجه إلى ناظر المدرسة موجهاً إليه كلامه:

معذرة يا أستاذ، إن سكت الأطفال خوفاً أو قهراً، انا لن أصمت، ويرددها أكثر من مرة: «انا لن اصمت لن تقدر أن تمنع صوتى، لن اترك هذا الأمر يمر مرور الريح.

ثم يوجه كلامه إلى «عصام» قائلاً: يا أستاذ التاريخ، كيف بهذا الشكل المتعسف تعاقب طفلاً ألم تعلم أن النسيان داء الإنسان

وإن الرحمة صفة الإنسان

ضاع ضميرك في لحظة

ونسيت أن الطفل نبات أخضر

يسقى بالرحمة والحب،

لا بالعنف يا أستاذ

(يقترب منه أكثر ويمسك بياقة قميصه)

أستاذ تاريخ: «ساخراً، حقاً، مهزلة كبرى

ألم تدرس أن العنف سبيل الضعفاء

وقانون القتلة وتجار الدم

ألم تدرس: أن الظلم ظلمات ونار

وذنوب لاتغفرها الصلوات

ضع نفسك مكان أبيه-

ما وقع الصدمة - لو علمت أمه

صغيرها الجميل

راح ضحية غدر

من إنسان لا يدرك معنى الإنسان

دمر حلماً في المهد بنار الحقد

ألم تدرس: أن الله رحيم

ويحب الرحماء

وأن الغل شرارة نار

سوف تطاردك - طول العمر - صورة عمار

لكن مثلك لا يندم

فالقسوة لا يحملها إلا الأشرار

ما ذنب الطفل، قل لي

(ثم يتجه إلى جثة عمار الملقاة على الأرض)

ويردد بما يشبه الصرخة:

«ماذنبك يا عمار

ماذنبك يا عمار»

إظلام

المشهد السادس

إضاءة خافتة:

مجموعة من الأطفال وبيد كل منهم زهرة، وفى جوقة غنائية يرددون:

من أول التاريخ ولآخر الزمن

ليه البراءة دايماً بتدفع التمن

افتح صفحة بيضا واكتب سطر واحد

الظلم سكة سودة مليانة بالألم

جايين بحلم أخضر.. رغم الموت الغميق

ضحايا في أرض جاحدة بتقتل الصديق

من لحظة كان معانا.. بيجي في العلم

وإنت ياللي ضميرك

سولك قتل غيرك

هاتورث الجحيم هاتورث الندم

يا قاتل النهار ومدمر الوطن

المشهد السابع
مكان متخيل،

الطفل عمار يجلس على مكتب صغير وأمامه أباجورة وبعض الكتب المدرسية، منهمكاً فى المذاكرة، وفى تلك الأثناء يدخل عليه أبوه.

الأب: مساء الخير يا ولدى

عمار: (بابتسامة) مساء الخير يا أبى

الأب: ياه (يأخذ تنهيدة عميقة) كان يوماً شاقاً فى العمل

عمار: قواك الله يا أبى-

(ويقترب من أبيه ويحتضنه)

الأب: تعال يا عمار.. اجلس بجوارى - (ويشير إلى كرسى مجاور لمكتب طفله).

(ويجلسان)

عمار: كنت أذاكر الآن فى كتاب التاريخ، لكم أحب سيرة الأبطال الذين عاشوا وضحوا من أجل مصر.

الأب: مصر (يتهند) من أجل حبها ضحينا بالكثير ومازلنا!!

أتعرف يا عمار جدك مات فى «بورسعيد» كان فدائياً من أهل المدينة، التى غنى لها على السمسمية أجمل الألحان، وضحى بروحه من أجل الشوارع التى عاش فى رحابها.

لقد رأيته (يا ولدى) فى لحظته الأخيرة، وأوصانى بثلاثة أشياء: بأمى، وبمصر، وبشجرة زرعها على أول الحقل.

أتذكر الآن ابتسامته الأخيرة، والسماء الصافية التى أطلت فى عينيه للحظة،ثم اختفت!!

لماذا لم أبك لحظتها

لماذا تحجر الدمع فى عينىَ

لم أملك إلا أن احتضن السمسمية

أشتاق إلى طفولة سرقت منى

عمار: كان جدى - إذن بطلا



(يسكت قليلاً) ثم يردف:

لكن لماذا لا توجد صورته أو كلمة عنه فى كتب التاريخ مثل القادة والأبطال؟

الأب: (ضاحكاً) كتب التاريخ لا تذكر إلا الصفوة أما ملح الأرض فلا.

عمار: لكن جدى كان من الأبطال.

الأب: جدك وآلاف المصريين، من ضحوا بالأرواح من أجل شموس تأتى بنهارات رائقة للأطفال مثلك يا عمار.

(ينهض الأب وهو يقول):

أتركك الآن تستذكر درس التاريخ

(ثم يخرج)

إظلام

المشهد الثامن

(جوقة غنائية تردد)

واقفين على حدودك .. نستنى فى وعودك
ملايين وأشواقنا.. نتحنى بورودك

نورك فى أرواحنا .. ينجى م الضلمة
يا ريحة الجنة.. يا فرحة اللمة

حبك صعيب لكن.. ساكن فى وجدنا
لحنك بعيد لكن.. أصواته فى ودانا

يا شجرة تاه الضل.. إزاى بقى نرتاح
يا مصر إيه الحل؟.. الجرح منا فاح

رحنا لطبيب الأمل.. طلع الطبيب جراح

تاجـر ضــمـــاير قـــذر.. باعك وبعنا أوام
جـــيـــوبه اتملت بالماس.. والتـــاريخ أوهام

بكرة البـعـيـد لوطل.. أكـيـد مـعـاه الحل
يا شـــجـــرة وتاه الضل.. إزاى بقى نرتاح؟!!

المشهد التاسع
المحاكمة

منصة يجلس عليها قاضٍ، وبجواره منصة أصغر يجلس عليها ممثل الإدعاء، وفى ركن قصي يجلس «عصام» فى قفص الاتهام.

وكيل النيابة: سيدى القاضى: قضيتنا اليوم تتعلق بالرحمة، بالضمير الإنسانى، بحقوق الإنسان الضائعة فى أرض الله، بحق مسلوب، بروح قتلت لا تدرى «بأى ذنب قتلت» ، بنفس «حرم الله قتلها إلا بالحق».

(ويشير إلى «عصام» الذى يقف مذعوراً فى قفص الاتهام)

فهذا رجل نزعت من قلبه الرحمة ، لم يرع حرمة طفل، أو يفهم معنى الإنسان، بالدم البارد، ركل الطفل، أرداه قتيلاً.

(يسكت لبرهة -و هو ينظر لأوراق الادعاء الموجودة أمامه) ثم يردف قائلاً:

- وماذا بعد - يا سيدى - مات «عمار» ضحية قسوة هذا الرجل الماثل أمام عدالتكم،

لذا أطالبكم بحق الله وبحق مواثيق الإنسان وبحق شرائع كل الأديان بالقصاص للبراءة المغدورة

القاضى: (موجهاً كلامه للحاجب): نادى على شهود الإثبات

الحاجب: منادياً الشاهد الأول «ماهر عبد السميع»

(يدخل ماهر وتبدو على وجهه علامات الحزن والإصرار)

القاضى: قل : والله العظيم انطق بالحق

ماهر: والله العظيم انطق بالحق

القاضى: ماذا رأيت؟

ماهر: دخلت الفصل - إثر سماعى لصرخات الأطفال فوجدت الطفل «عمار» معطى مضرجاً فى دمائه والمتهم الماثل - أمام عد التكم ممسكاً بعصاه

(ماهر يقترب من منصة القضاء)

يا سيدى - أقسى احساس راودنى

وأنا أرى «عمار» فى نظرته الأخيرة

خوفى علىَ كل الأشجار النابتة فى أرضنا اليابسة.

يا سيدى إحساسى: بأن الأناشيد كلها

قد هاجرت من مزاميرنا

وبأنى عاجز إلى الأبد

فى مثل هذا البلد

يا سيدى لم يمت عمار

بل القتيل كان أنا

لم تقدر حروب السنين الطويلة

سوى أن تنال ذراعى

رأيت قلبى يعود إلى حقوله الخضراء

حين احتوانى هؤلاء الأطفال فى براءتهم

فماذا سأفعل فى الأيام القادمة

حياة يسكنها الموت

حياة يسكنها الموت

(ثم يتجه إلى «عصام» والذى تسمّر فى قفصه كتمثال خشبى)

ثم يوجه حديثه إليه قائلاً:

- أتظن بأن اللحظة قد حانت للراحة من ندم الأيام

فلو شنقت روحك آلاف المرات

حتما ستطاردك روح الطفل

حتى ورأسك تغلى فى اليحموم

لن تنجى أبداً حتى بالإعدام

القاضى: شكراً لك : تفضل

(ثم يأمر الحاجب بالمناداة على الشاهد الثانى)

الحاجب: الشاهد الثانى: ناظر المدرسة

القاضى: اشهد بأن تنطق بالحق

الناظر: (يتلجلج) انطق بالحق

القاضى: ماذا رأيت؟

الناظر: حين دخلت الفصل وجدت الطفل على الأرض، فسألت «عصام» فأخبرنى بأنه عاقبه لأنه لم يحضر كتاب التاريخ، إلا ان الولد ضعيف البنية فأغمى عليه ، (ثم يتبع) - وأظن ان «عصام» وهو مشهود له بالطيبة والكفاءة والأصل لم يقصد قتل الطفل، فهو موت عن طريق الخطأ.

(تضج القاعة بالهمهمة والأصوات الرافضة)

- القاضى: صمتاً، صمتاً

ينهض والد عمار، مشيراً إلى القاضى طالباً الكلمة:

الأب: فلتسمح لى سيدى القاضى بالكلمة.

القاضى: تفضل.

الأب: (يوجه كلامه للحاضرين فى القاعة)

كان عمار. (ثم يغلبه البكاء) وهو يحمل فى يده صورته) ما أحلى اسمك يا ولدى وأنا أرطب به لسانى الآن -(ثم يوجه كلامه للقاعة مرة أخرى) - كان عمار يحب الرسم وصور الأبطال فى كتب التاريخ ، كان يحب الكرة ، ويحفظ بعض القرآن أتذكر خربشة مازالت على خدى وهو يلاعبنى كقط صغير، وأتذكره حين أدق جرس الباب، يتعلق بى، يمسك بالأكياس الملأي بأرغفة الخبز والفاكهة - كان عمار يحب الفاكهة .. ويحبنى

(ثم يوجه كلامه للقاضى):

قد يحكم القانون بأن عمار قد راح ضحية الخطأ

فما أكثر من يموتون خطأ

فى هذا البلد الطيب

هل يتحول «عمار» إلى صورة

معلقة على جدار

وقد كان النهار وأزمنتى

فمن يمسح عن روحى المتعبة

أوجاع الأيام العطشى

بعدك يا عمار

فاحكم ما شئت يا سيدى

فكل الأشياء تساوت

كل الأشياء ؛ يا سيدى

كل الأشياء

كل الأشياء

إظلام

المشهد العاشر

مجموعة من الأطفال يرددون:

ليه العصافير بتطير .. من فوق الشجر

والشجر يابس حزين

وكل يوم وكل ثانية وكل غنوة

بيسكنها الوداع ويسبقها الحنين

ويصبح الأحباب صورة فى جدار

والنهار غايب بقاله سنين

والليل طويل .. أشباح عنيدة

بطول صمتنا ووجع السنين

ليه العصافير .. بتطير

من فوق الشجر

إظلام

ستارة

القصص الفائزة فى مسابقة خالد محيى الدين (بحزب التجمع)

وادى العميان

محمد محمد صادق محمد فتح الباب

وسرى الخبر بين البشر، وبين البقر، وبين سنابل القمح العجاف، فهرعوا جميعا إلى الجبل خاشعين، يأملون أن يكون ضياؤه سعداً عليهم، وجماله مباركا لهم أجمعين.

قال مبشرا «أنا خليفة الله جئت أيسر لكم أمركم وأرفع من شأنكم، فتمنوا ما شئتم، لكم ما تتمنون».. قالوا: «نحن يا مولانا جوعى، وأبقارنا عجاف، ومياه النبع جفت، وفى الوديان قد سرحت على هواها القطط السمان..».

هز المبارك نفيا. مد يده اليمنى فى عباءته، ثم أخرجها حاملة دمية. دس خنصره فى فيها فانفرج، تدحرجت منه قطع ذهبية حتى أطراف الصحراء. فتدحرج الناس وراءها فى فوضى، والتفت الساق بالساق، وتشابكت الأيدى فى عداء. ومات من مات. وغشى بريق الذهب العيون، فغفلت عما يجرى فى أعالى الجبل. ولم يعد أحد يسمع شيئاً غير قهقهات يتردد صداها فى وادى العميان ■

فى ليلة كحلى، تجلى كالنجم الثاقب من وراء الجبل الأخضر فى ردائه الفسفورى وبغصاه السحرية، يضئ الفضاء، وجهات الأرض الأربع.

مغلق للصلاة

محمد جمال محمود والى

بـ «عاشور العبيط» الذى أرغمتها أمها عليه منذ سنوات طمعا فى نقوده التى ورثها عن أبيه . حملت طشتها النحاسى فوق رأسها إلى الخوش المتسع أمام دارها حيث ارتصت أحبال الغسيل ترتدى ذلك الجلباب المهلهل الذى ضاق عليها وأخذ يبدى ما خفى من جسدها الريان وترخى الطرحة على جانب وجهها..

تعلم فى نفسها أن النساء يتحدثن عنها قبل الرجال الذين ينظرون إليها فى شبق كلما خرجت من الدار ويتحسرون على شبابها الذى ضاع هدرا.. لكنها سرعان ما تتذكر كيف يغدو زوجها الهمام بعصاه الخشبية التى يزينها بالأعلام والألوان ويسير بها فى الشوارع بملابسه المهرأة وخيط اللعاب الذى يتسرب من زاوية فمه، يلعب مع صغار القرية الذين يقذفونه بالحجارة دائما ويشتمونه فيهرب منهم باكيا مثل الأطفال يشهق وقد أنهكه العدو.

وما أن يدخل الدار حتى تمسك مداسها وتنهال عليه ضربا فينزوى فى أحد الأركان يلهث فى صدره ويحتمى منها بيديه ويرتجف قليلا حتى ينام.

تفتقده فى كل شىء حتى فى فراشها الذى افتقد هو الآخر بصمات أنوثتها تتمنى لو تلقى بنفسها فى أحضانه ويرقد فوقها لكنها تلقى بنفسها فى أحضان النعاس كل ليلة بعد أن تزفر زفرة حارة تكشف عن أوجاعها وحسب.

وما أن فرغت من الغسيل حتى جلست فى شباك الدار تتأمل حركة الظهيرة فإذا بشيخ القرية وقد ارتدى جلبابه الأسمر وعمته البيضاء يمسك حبات السبحة ويسير فى وقار علماء الدين، فراودتها أحد الأفكار واندهشت فى استغراب لماذا لم تواتيها هذه الفكرة من قبل؟!!

تدور فى حجرات الدار بقوامها الممشوق تفتش هنا وهناك عن ملابس متسخة فى غير رضا، تسب تلك العيشة المرة التى أفنت فيها شبابها وأيامها التى لم تهنأ بها منذ أن تزوجت به....

وخرجت مسرعة خلفه وقد تباطأت خطواته عندما نادى عليه

- يا شيخ سلامة .. يا شيخ سلامة

فاستدار يتأملها وقد أقبلت عليه مسرعة وقبلت يديه وقبل ان ينطق بادرته قائلة:

- أنا.. أنا وكأنها نسيت من تكون

ثم استطردت فى حرج : أنا مرات عاشور .. عاشور العبيط يا مولانا

فرد ميتسما : ازيك عاملة وأيه وإيه أخباره؟!!

- زى كل يوم يا مولانا ما أنت عارف

- ربنا يهديه و..

فقاطعته قائلة: كنت عايزه أجيبهولك يا مولانا تشوفه وتقعد معاه يمكن تهديه ببركاتك

- الهادى هو الله يا بنتى

ثم اكمل مطأطئ الرأس: هاتيه النهاردة بعد صلاة العشا

- ربنا يخليك يا مولانا ويبارك فيه ويديك من نعيمه

ثم عادت إلى أدراجها وقد أنولد بقلبها بصيص أمل وعندما حان المساء وجاء موعد اللقاء ألبست عاشور ملابس نظيفة والذى كان يضيق بها كعادته وساقته معها إلى منزل الشيخ الجليل الذى رحب بهما ثم أخذ يردد الأدعية وآيات من القرآن ويمسح بيده رأس عاشور من وقت لآخر لعله يبرأ بإذن الله على يده المبروكة ثم قام وصلى به إماما لساعات متأخرة من الليل ثم انصرفت مع عاشور وقد قوى أملها فى الشفاء..

وفى مساء اليوم التالى وبعد أن هدها عمل الدار راحت تستند إلى الكنبة فى حين لايزال عاشور مع الصغار والصبيان حتى دق خشب الباب فدهشت لرؤيته وترددت أن تضيفه فقطع ترددها قائلاً:

جئت اطمئن على عاشور.. هو مش هنا ؟!

- مازال مع صغار القرية.. اتفضل اتفضل يا مولانا

دخل مولانا وجلس على الكنبة ثم تركته لتعد له الشاى لكنه رفض وألح عليها أن تجلس فانتابها القلق

- خير يا مولانا.. وهمت بالجلوس إلى جواره

فإذا به يضع يده على يدها قائلاً: إن القدر يمتحنك فى عاشور وعليك الصبر.. لعل الشفاء قريب.

وجمت ساكنة ولم تعى ما قاله لعلها ما سمعته فقد حركت يداه دبيبا

خفيفا فى دمها ثم أخذ يدلك فخذها بنعومة أنستها الحياة.

ارتفعت أناملها نحو خصرها لتهبط برفق ولم يفق كلاهما إلا على إثر دقات الباب المتواصلة فهرولت بارتداء جلبابها.

وعدلا من هيئتهما. راحت تفتح الباب فإذا به عاشور وقد هرب من الصغار بعد أن القوه بالحجارة كعادتهم وأراد أن يدخل الدار فهدهدت على كتفه تقنعه بعدم الدخول لكنه دفعها، فوجد الشيخ سلامة لترتسم على وجهه علامة استفهام كبرى.

فقال له الشيخ ملجلجا وقد عربد الكلام على شفتيه فى البدء:

عاشور.. أنا جيت عشان مراتك! قصدى جيت عشان أشفيها

لأن العيب ممكن يكون فيها يا ولدى مش فيك.. وإحنا بنصلى جوه زى ما صليت معاك....

بنصلى يا عاشور وقد رفع كفيه بقرب أذنيه ليفهمه قصده.

وجم عاشور قليلا ثم هرش فى قفاه وخرج إلى الحوش مبتسما وقد أغلق مولانا الباب بهدوء.

وقفت زوجة عاشور تكتم ضحكاتها أمام مولانا على استحياء، على يقين بأن صلاتهم المزعومة أصبحت باطلة وعلى مولانا البدء من جديد كما أيقن عاشور الذى هام رافعا عصاه الخشبية أن داره صار كصالون الحلاقة ودكاكين العطارة والبقالة بالقرية.

يجب ألا يتردد عليه فى كل الأوقات لأنه فى بعض الأحيان قد يكون... مغلق للصلاة ■

عضة كلب

محمود أحمد علي إبراهيم

المصروف يابا

دون أن يلتفت إليه قال فى ضيق:

- خد من أمك

التفت إلى أمه:

- المصروف ياما..

صرخت فى وجهه .. تراجع للوراء فى خوف وهلع..

- مصروف إيه يا واد؟

ما أنت واخد سندوتشاتك معاك.. عاوز فلوس ليه..!

رد فى حزن:

- يامه كل واحد من العيال فى المدرسة بياخد مصروف .. يشترى بيه اللى نفسه فيه.

- بس يا واد عيش عيشة أهلك .. مالكش دعوة بحد.. قال مصروف قال

وليد .. يضرب الأرض برجليه..

يرمى شنطته على الأرض..

يشد شعر رأسه..

يملأ المكان صراخاً وبكاء..

نظر إلى والديه .. ترميه أمه بكلماتها:

- أخبط دماغك فى الحيطة .. مفيش فلوس..

استسلم وليد لقدره..

جفف دموعه..

فى غيظ حمل شنطته تاركاً البيت، قاصداً مدرسته..

وقف وليد أمام والده.

•••

فى الشارع يتراءى أمام عينيه صورة عيال المدرسة وهم يصرون على

إغاظته بحركاتهم اليومية (أشرف) هو يضع العسلية فى فمه ويظل يخرج لسانه من وقت إلى آخر وهو يردد فى سعادة بالغة:

(طعمها جميل قوى)

و(مدحت) ابن صفية يأكل اللب العباد ويقذف فى وجهه القشر..

نفخ فى وجه الشارع غضباً

- أووووف

راح يضرب حصوات الشارع بقدميه..

هوهو هوهو..

- ما هذه الكلاب؟!.

أفاق من غفلته على صوت الكلاب.. فبدون أن يشعر قد أصابت الحصوات الكلاب وأغضبتهم دفعة قدميه إلى الأمام.. فراح يجرى .. أسرعت خلفه

تسبقهم (هوهواتهم) التى ارعبته ومن حين إلى آخر يلتفت خلفه .. ظل يجوب الشوارع وهى خلفه.

توقفت الكلاب جميعاً إلا كلباً أسود نحيفاً.. مازال يصر على أن يلاحقه .. كلما اقترب منه ازداد صراخ وليد.. ولم يتركه إلا بعد أن عضه فى فخذه الأيمن..

•••

عاد وليد إلى بيته يصرخ لأمه من شدة الألم.. وما إن رأته أمه حتى هبت واقفة تضرب خديها بكلتا يديها صرخت فى حسرة وألم..

- يا لـ لـ هـ هـ ووى

هب الأب من نومه على صراخ زوجته.

- فيه إيه..؟

- الكلب .. الكلب الأسود عضنى يابا..

حمله أبوه فوق كتفه ، وأسرع به إلى الوحدة الصحية..

•••

قال الطبيب:

ده محتاج ياخد واحد وعشرين حقنة.. كل يوم حقنة..

صرخ وليد عندما اقترب منه أبوه فى محاولة منه كى (يخلع) عنه بنطاله

وقبل أن يخرجوا حذر الطبيب الأب من عدم التأخير فى أى يوم..؟

فى صباح اليوم التالى لأخذ الحقنة رفض وليد بشدة أن يذهب مع أبيه

ملأ البيت بكاء وهو يضع أصابعه مكان أخذ الحقنة..

لم يهدأ إلا عندما أخذه الأب من يده على دكان جارتهم الحاجة (أم إبراهيم) ثم قال في ضيق شديد:

- شاور على أى حاجة حلوة يا سيدى.

الكلمات راحت تنطلق من فمه مسرعة دون توقف.

- عايز عسلية..

ولب عباد..

و.....................

و.....................

و.....................

امتلأت جيوبه عن آخرها بالحلوى..

لم يشعر بأى ألم من جراء أخذ الحقنة..

فقد كان مشغولا بما داخل جيوبه من الحلوى..

ابتسم وليد، سرح بخياله وتمنى لو أن الأرض تنشق وتخرج من جوفها الواد (أشرف) ومعه الواد (مدحت) حتى يغيظهما، ويجعلهما يتحسران على ما معه من حلوى.

●●●

يضرب الأرض برجليه..

يرمى شنطته على الأرض...

يشد شعر رأسه...

يملأ المكان صراخا وبكاء...

ترميه أمه بكلماتها:

- أخبط دماغك فى الحطية.. مفيش فلوس...

لقد مرت الأيام سريعة، وانتهى أخذ الحقن.. وأصبحت جيوبه خاوية من الحلوى..

تراقصت أمامه فكرة جهنمية حتى يعيد الأيام الجميلة التى مضت .. وتمتلئ جيوبه مرة أخرى همس:

عضة كلب..

أيوه عضة كلب تانية .. والكلاب كتيرة فى الشوارع..

●●●

استسلم لهذه الفكرة ، خرج من البيت لأول مرة سعيداً..

راح يجوب الشوارع بحثاً عن أى كلب.. تعجب سأل نفسه:

- فين الكلاب...؟

ممكن يكونوا نايمين وماصحيوش لدلوقتى..

أدور فى شوارع تانية..

ظل يجوب الشوارع .. توقف فى ضيق ثم قال:

- فين الكلاب..؟

تبسم ثم قال:

آه أنا نسيت مكان مهم قوى..

الخرابة.. أيوه الخرابة..

•••

ادى الخرابة..

وادى الكلاب اللى بتدور على أكل..

وأنا الأكل..

أنا الأكل..

أسرع نحو الكلاب دون خوف أو فزع..

الكلاب تهرب من أمامه خائفة..

أمسك بالحصوات وراح يضربها الواحد تلو الأخرى حتى يثير غضبها ولكن دون جدوى..

اقترب من أحدها أمسك ذيله وراح يشده بقوة. الكلب لم يعره اهتماما جرى وراء ثان حتى أمسك به.. راح يكيل له الضربات فى بطنه دون فائدة أمسك بثالث.. فتح فمه عن آخره.. راح يستعطفه كى يعضه فى أى مكان من جسده .. تفلت الكلب من بين يديه وتركه وذهب ظل ينظر إليها فى حسرة وألم..

حمل الشنطة وهو فى عجب شديد مما يحدث ■



كافافى: معبد الروح

وسام الدويك

1925
"...استأجرت هذا البيت منذ سنوات بصحبة صديق لي،و لم أكن أنوي الإقامة به طويلا

و قد غادر هو بعد زمن،واحتفظت أنا بالبيت وحدي،بيد انه ظلّت لديّ نية مغادرته. كان هذا البيت أكبر من حاجتي. و مضت بعد ذلك السنوات دون أن آخذ قرارا حاسما: هل أغادره أم أظل به،و أدخل إليه الكهرباء؟ و عندما قررت البقاء به،كان الوقت قد فات،و بعدها ألفته..."

"...لا يوجد مكان أفضل من هذا الذي أعيش فيه،فتحتي شقة "مواعيد" تعالج ضرورات الجسد. وأمامي تقع الكنيسة حيث تغتفر الخطايا،و أبعد منها قليلا يوجد المستشفى حيث نقضي،وأنا،وحيد هنا في الأعالي: بطلا،و ضحية..."

(من مذكرات كافافي)

• هو شاعر الإسكندرية اليوناني الأصل قسطنطين كافافي (١٨٦٣ - ١٩٣٣) ولد وعاش ومات ودفن بالإسكندرية .

•• معبد الروح :هو اسم شطر السماء،حيث تعيش الآلهة،وهذا المكان له ما يناظره على الأرض،ربما في "هليوبوليس" ،هذا ما ذكره "كتاب الموتى الفرعوني"،و الجدير بالذكر أن تسمية شقة كافافي بهذا الاسم هي من تأليف الشاعر نفسه،ولا ندري في الواقع إن كانت نتيجة لتأثر(ما) بالحضارة المصرية القديمة أم أنها جملة شعرية لطيفة من بنات أفكاره.

خارجي/ليل

(إحدى ليالي مارس الدافئة)

القاهرة- وسط المدينة

الممر المؤدى إلى مقهى "زهرة البستان"

قابلته صدفة- صديقي الشاعر

سألته: تعرف بيت كافافي فين بالظبط في إسكندرية ؟

رد قائلاً: عارف الحتة اللي فيها الكتب في شارع النبي دانيال ؟

- آه عارفها

- هناك فيه شارع جانبي...

انخفاض تدريجي للصوت

إظلام تدريجي.

....

....

خارجي/ نهار

أحد نهارات يونيو الساخنة

الإسكندرية- شارع النبي دانيال

أنا و معي اثنان من "أجدع" الإسكندرانية يدرسان علوم الكمبيوتر ويعشقان الإسكندرية جداً.. "طبعا".

مرهق هو "كافافي".. حتى "الجواهرجي" اليوناني العجوز لا يعرف بالضبط أين يمكن أن أجد بيت أو متحف الشاعر السكندري العظيم

المهم.. بالصدفة البحتة عرف أحد رفيقي أن شارع "شرم الشيخ" حيث

يوجد المنزل رقم ٤ الذي عاش به شاعرنا الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة من عمره- يمكن الدخول إليه من هذا الشارع الجانبي الذي على ناصيته (كذا وكذا).
إذن.. كل هذه الشوارع قد تؤدى إلى بيت كافافي إلا إن اسم الشارع كان هو المشكلة
....

داخلي/نهار
بيت/ متحف كافافي

أخيراً.. نجلس ثلاثتنا إلى مضيفنا "محمد السيد" أمين المتحف،بعد أن ارتقينا ستة وستين درجة سلم افضت بنا إلى أكثر من مائة عام هي عمر هذا البيت الذي يحمل رقم (٤) بشارع شرم الشيخ المتفرع من شارع النبي دانيال. وكان الاسم القديم للشارع - أيام كافافي- هو "ليبسيوس"،ويقع البيت بين البطريركية الأرثوذكسية وبين المستشفى اليوناني،وبعد وفاة الشاعر في ١٩٣٣/٤/٢٩ بحوالي ثلاثين عاماً آلت الشقة - التي تقع في الدور الثاني علوي- إلى أحد اليونانيين الذي قام بتحويلها إلى بنسيون،حتى عام ١٩٩١ حيث استأجرتها جمعية محبي كفافي الدولية التي أنشأها الشاعر والمستشار الثقافي اليوناني وقتها "كوستى موسكوف"،وحولتها إلى متحف،بمنحة مالية من (ستراتيجاكس)،و بمساعدة بعض أصدقاء "كفافي" الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة،حيث تم إضفاء بعض أجواء الحياة على البيت بإعادة بناء الأثاث بشكل تقريبي بمساعدة بعض الصور الفوتوغرافية المأخوذة من أرشيف "جورج سفيدس" .أما العقار ذاته فيعود إلى عام ١٨٩٠،ويقع خلف دار الأوبرا وسط الإسكندرية فيما يسمى بالحي اليوناني.

و يقول محمد السيد أمين المتحف: يفتح المتحف أبوابه للجمهور من العاشرة صباحا،وحتى الثالثة عصرا،ولا تنقطع الزيارات السياحية للمتحف،ولاحظنا تزايداً في نسبة السياح اليونانيين،إلا أن دفتر الزيارات يؤكد أن الوفود تأتى من جميع أنحاء العالم لمشاهدة البيت الذي أصر شاعر اليونان العظيم على الإقامة فيه حتى بعد أن مرض وسافر إلى اليونان للعلاج من سرطان الحنجرة،فعاد إلى وطنه ومسقط رأسه الإسكندرية ليموت ويدفن فيها.

ويقول "يني ميلاخرينودي" الملحق الثقافي اليوناني بالقاهرة: إنه في عام ١٩٨٤ قام القنصل اليوناني بالإسكندرية (بانايوتي فيلاسوبولوس) بدهان واجهة البيت،ووضع اللوحة الرخامية،كما حصل من"جورج سفيدس" على عدد من الصور لشقة كافافي،ثم قام بتخصيص الدور الثاني من القنصلية بالإسكندرية لكافافي،بوضع تلك الصور،مع صالون ومكتب يشبهان بعض أثاث الشقة الأصلي،هذا إلى جانب تخصيص قاعة لعرض الأعمال التشكيلية،كنواة لمتحف كافافي . ثم إن موسكوف عندما جهز المتحف اهتم بأن يضع الأثاث المشابه في ذات الأماكن الأصلية،كما اهتم بوضع نسخ لترجمات ديوان الشاعر إلى معظم لغات العالم وتم افتتاح المتحف في ١٦ نوفمبر ١٩٩٢...

وعن الأثاث الأصلي - يقول "يني": إنه لا توجد أي قطع أثاث أصلية بمتحف الإسكندرية،فقط قناع الموت،أما الطريف في أمر المتحف فهو أنه (مؤجر)،نعم ... يؤكد ميلاخرينودي (أنه مؤجر بقانون الإيجارات المصري القديم،فقد تم التعاقد مع أصحاب العقار المصريين منذ أوائل التسعينيات،وتم تجديد هذا التعاقد عام ١٩٩٩،والسبب هو أن أصحاب العقار رفضوا بيع الشقة وحدها دون باقي المبنى) وقد رفض "ميلاخرينودي" ذكر الرقم الذي يدفع إيجارا لمتحف قد يكون هو الفريد من نوعه - على الأقل في هذا الأمر - على مستوى العالم.

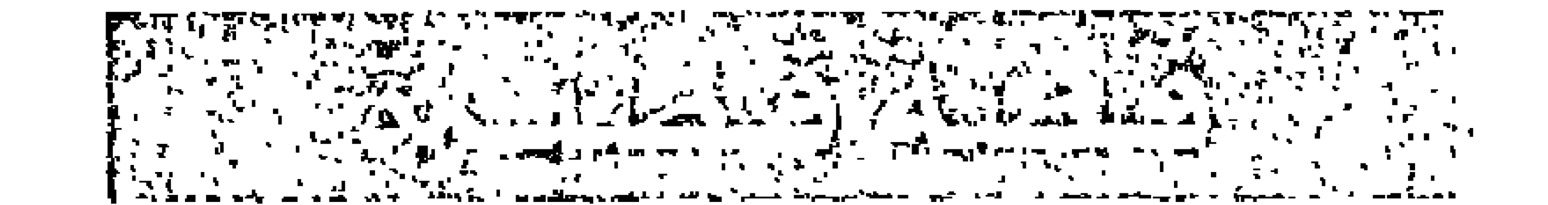
ويتكون البيت من ثلاثة طوابق في كل منها شقتان،وتتكون شقة متحف كافافيس من:ست غرف وثلاث حمامات ومطبخ به سندرة كبيرة..

يفتح باب الشقة على صالة مستعرضة طولها حوالي ١٤ متراً وعرضها حوالي ٣ أمتار،على يسار الداخل نجد الغرفة الأولى،وكانت للنوم وبها سرير معدني بجوار منضدة صغيرة عليها مصباح كهربائي على شكل مصباح الغاز،وعلى الحائط المجاور للسرير صور عديدة للشاعر ولعائلته،وفى الركن دولاب زجاجي صغير،ثم نجد البلكونة التي كتبت فيها إحدى أشهر قصائده "الشرفة".

أما الغرفة الثانية فنجدها حافلة بالصور الفوتوغرافية للبيت من الداخل والخارج وللبورصة -التي عمل فيها لفترة- كما توجد "فاترينتان" داخلهما مطبوعات متنوعة بعدة لغات.

وفى الغرفة الثالثة كرسيان فوقهما مرآة قديمة،وفى المقابل نجد مكتباً عليه دليل الإسكندرية وشمعدان صغير،وهى جميعاً من إهداءات البطريركية اليونانية،ثم نجد قناع الدفن الأصلي محفوظاً في "فاترينة" زجاجية صنعت خصيصاً له،وبالغرفة باب يؤدى إلى الغرفة الرابعة،وهى المواجهة مباشرة لباب الشقة،وتحوى طاولة خشبية كبيرة وضع عليها "موسكوف" كتباً متنوعة بعدة لغات عن الشاعر،كما أن هناك مكتبة بها كتب عديدة وكاسيت تذاع من خلاله شرائط الأغاني التي تم تلحينها لقصائد كافافي باليونانية.

أما الغرفة الخامسة فبها صور عديدة لأبويه وأخوته،وبها مكتبة أيضاً وباب يؤدى إلى غرفة الأديب اليوناني الكبير "ستراتيس تسيركاس" واسمه الحقيقي "يني خدزياندريو" كما أورد ميلاخرينودي في ترجمته لرواية تسيركاس (نور الدين بومبة) إلى العربية،وقد ولد تسيركاس عام ١٩١١ لأسرة يونانية متواضعة في حي عابدين بالقاهرة،وله ثلاثية روائية بعنوان "مدن بلا حكومة" وعدد كبير من الأعمال منها دراسة "كافافيس السياسي"،وقد توفى عام ١٩٨٠،وفى غرفته بالمتحف نجد صوراً عديدة له ولمشواره الأدبي المكتوب باليونانية،والمشفوع بصور شخصية لمراحل عمره ونضاله ضد الاستعمار الإنجليزي لمصر،ثم نجد صوراً عديدة لعائلة تسيركاس وصوراً لأحمد عرابي ولضرب الإسكندرية،تخليداً لذكرى كفاح الشعب المصري ضد العدوان الإنجليزي عام ١٨٨٢،ذلك الكفاح الذي شارك فيه يونانيون عديدون وطنيون ومحبون لمصر،وقد تم تجهيز هذه الغرفة تخليداً لذكرى تسيركاس،وذلك عام ١٩٩٤ على أساس أنهما أهم أديبين يونانيين لهما علاقة بمصر ■



دعوة إلى حفل زفاف

محمود قناية

- من سأدعو من الأصدقاء...؟

وجدته يفتح نافذة الذكريات ويطل على باسماً يقول:

- أنسيتنى ..! أنا طبعاً أول المدعوين..!

رف قلبى للذكرى وقلت:

- معك الحق فأنت أول من ينبغى أن يدعى..

وكتبت فى بطاقة الدعوة:

«الأخ الحبيب الأستاذ الدكتور/ عمر أبو بكر عثمان كبير أطباء العيون».

وضعت القلم جانباً، أخذتنى الذكرى التى لن أنساها إلى أيام مضت منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً!

كانت مارسيل طفلة وديعة كالملاك، وردة متفتحة بين صديقاتها.. تستوقف الأنظار بعينيها الباسمتين الجميلتين.. كانت قد استحوذت على حبى وحب زوجتى أنجيل.

فقد كانت وحيدتنا فى ذلك الوقت إذ أن شقيقها ميشيل جاء بعد أن بلغت سن السابعة.. ويوم تعميدها يوم لا ينسى، كان يوماً مشهوداً حيث أضأنا الشموع بكنيسة السيدة العذراء .. يومها غمرتنا الفرحة وأظلتنا البهجة وسكنت قلوبنا المحبة..! حتى إذا ما بلغت مارسيل

حين وضعت أمامى بطاقات الدعوة إلى حفل زفاف ابنتى مارسلى وسألت نفسى:

أدب ونقد

عامها الخامس إلحقتها بمدرسة رياض الأطفال التى تقع ببلدتنا على شاطئ النيل..
كان الطريق إلى المدرسة غير ممهد فى ذلك الوقت لإصلاحات تجرى به.. فتناويت وأنجيل مرافقتها.. أنا فى الصباح فى الذهاب وأنجيل عند العودة..
وبعد مرور أيام من بدء العام الدراسى طلبت مارسيل أن تعفينا من مرافقتها وقالت:
- صديقاتى يذهبن ويعدن وحدهن والمدرسة ليست بعيدة عن المنزل .. لا تخافا على.. ألست مثلهن.؟
نظرت وقتها إلى انجيل ووافقت وأنا أروض قلبى المضطرب وأطلب منه أن يتشجع..!
وبدأت مارسيل تذهب وحدها إلى المدرسة وتعود مع زميلاتها .. كانت سعيدة جداً لكونها أصبحت تعتمد على نفسها وتقول لمن يزورونا من الأهل والأصدقاء:
- لقد كبرت وتعلمت الذهاب إلى المدرسة والعودة منها وحدى . إننى أحس بالفرحة وأنا مع صديقاتى فاطمة وتريز وسمية، ونحن نتكلم ونضحك كثيرا فى الطريق..!
سعدت وزوجتى بفرحة طفلتنا وكنا نوصيها ألا تمشى فى نهر الطريق وأن تتوخى الحذر من السيارات والمركبات المسرعة..
إلى أن جاء ذلك اليوم الذى لا ينسى، وحدث لمارسيل أثناء عودتها ما كنا نخشاه.. فلقد تعثرت فى الطريق بالقرب من حديقة الشاطئ، وكان ثمة أسلاك شائكة تسور الحديقة سقطت عليها.. وذعر الأولاد حين وجدوا وجهها مغطى بالدم وهى تصرخ:
«عينى .. عينى.. أروح لبابا.. أروح لماما»
أتانى الأولاد بها يبكون وينقلون لى ما حدث.. يومها جننت .. حملتها وقلبى يكاد يسقط منى وجريت عدوا إلى عياد الدكتور عمر أبو بكر طبيب العيون وأنجيل تجرى خلفنا..
حين دخلت العيادة.. كنت ألهث وأستغيث وأنا أطلب من الدكتور أن أنقذ ابنتى..!
قام الدكتور عمر بتهدئتى وطلب منى أن أصبر حتى يتم الكشف..!
جلسنا ننتظر .. نظرت إلى زوجتى.. لم يكن وجه أنجيل الذى أعرفه.. كان وجه مومياء.. خالياً من الدماء.. كانت تبكى فى صمت فقلت لها:
- تماسكى ، مارسيل بخير..
لكنى وأنا أوصيها أن تتحمل وتتشجع انهرت باكيا.!!
مرت ساعة ، وساعة ثانية ونحن نرتجف وندعو الرب فى صمت أن ينزل علينا الرحمة من الأعالى، لنعود بابنتنا سليمة معافة..
وفى منتصف الساعة الثالثة.. خرج إلينا دكتور عمر.. وقف أمامى

يجفف عرق جبهته باسما وقال:

- اشكر ربنا يا أستاذ بشارة.. مارسيل جاءت إلى فى الوقت المناسب. لو تأخرتم قليلاً لتعرض بصرها للخطر.. لكن الحمد لله مر الحادث بسلام، وهى الآن تنام ولا خوف عليها.!

اطمئن أيها الرجل الطيب.!

قلت وأنا أنحنى له:

- لن أنسى فضلك ما حييت .. أشكرك يا دكتور..

- لا تشكرنى على واجب اديته .. لقد أجريت عملية لإنقاذ نور عينى ابنتى.. مارسيل فهي مثل ابنتى عائشة..

دمعت عيناى.. واختنق صوتى بالبكاء وأنا أردد.. شكراً يا دكتور .. شكراً سيدى.. ألف ألف شكر.!

قاطعنى دكتور عمر قائلاً:

- دعنا نتكلم فى الأهم.. هناك بعض الحقائق التى أرجو ان تعرفها أنت والمدام..

قالت أنجيل وهى تنتفض ويشى صوتها باضطرابها:

- أى حقائق يا دكتور .. ارجو أن تطمئننى..؟!

قال دكتور عمر:

- لا تنزعجى يا مدام فقد ابتعد الخطر عن مارسيل لكنها لن تغادر العيادة قبل اسبوعين لأنها تحتاج إلى عناية خاصة لن تتوافر لها بالمنزل، بالإضافة إلى أننى قررت ان أقوم بتمريضها بنفسى حماية لعينيها وضمانا النجاح العملية..!

ثم اضاف وهو ينظر بإشفاق إلى أنجيل قائلاً:

- اطمئنى يا مدام.. يمكنك البقاء معها.. وسنوفر لكما الراحة المطلوبة.. لا تحملى هما!

استأذن منا دكتور عمر ليدخل مكتبه.. فاستوقفته .. وأخرجت حافظة نقودى.. وطلبت منه أن يتفضل بأخذ ما يريد تحت الحساب..

ابتسم دكتور عمر وقال:

- ليس هذا وقته .. سوف آخذ أتعابى حيت تتمكن مارسيل من أن تحصى وتميز بعينيها أوراق النقد التى أطلبها!

مضى وغادر المكان دون أن يدع لى فرصة لتسديد أتعابه!

مرت أيام صعبة علينا خففها أن مارسيل كانت تتقدم نحو الشفاء

يوما بعد يوم.. وبعد أسبوع طلب دكتور عمر من زوجتى فى الصباح أن تغادر العيادة لأنه سوف يجرى تمارين وفحوصا خاصة لمارسيل للتأكد من سلامة عينيها .. ويفضل أن تتركها معه فى هذا اليوم.!

غادرت أنجيل العيادة.. وعدنا فى المساء ونحن نحاول إخفاء قلقنا ولهفتنا لمعرفة نتائج الفحوص التى تحدث عنها دكتور عمر فى الصباح!

وجدناه بانتظارنا.. كان سعيدا.. وكهداف فى مباراة لكرم القدم أحرز فوزا وجدناه يقول لنا فى حماس والفرح يتألق فى عينيه:

– وفقنا والحمد لله.. لقد أخفيت عنكما أن الجرح الذى أصاب مارسيل كان ممتدا حتى شمل جزءا من جفنها.. وكان يقلقنى أن يترك أثرا يشوه وجهها الجميل!

– لكم أرقنى أنى عالجت عيون مارسيل وتبقى على إعادة جمال الوجه إلى ما كان عليه.. ولأن هذا الأمر خارج تخصصى.. فلقد عرضته على صديقى كبير جراحى التجميل دكتور حنا يوسف فطمأننى..

هل تعلمان أنه حضر اليوم وأجرى لها عملية التجميل؟!

لقد أراح قلبى بقوله لى:

شىء مهم أنك أتيت إلى والجرح مازال حيا لأنه سوف يلتئم على وجه صحيح بعد العملية دون أن يترك أثرا، خصوصا وأن مارسيل مازالت صغيرة.. يبدو أنها تهمك كثيراً..!!

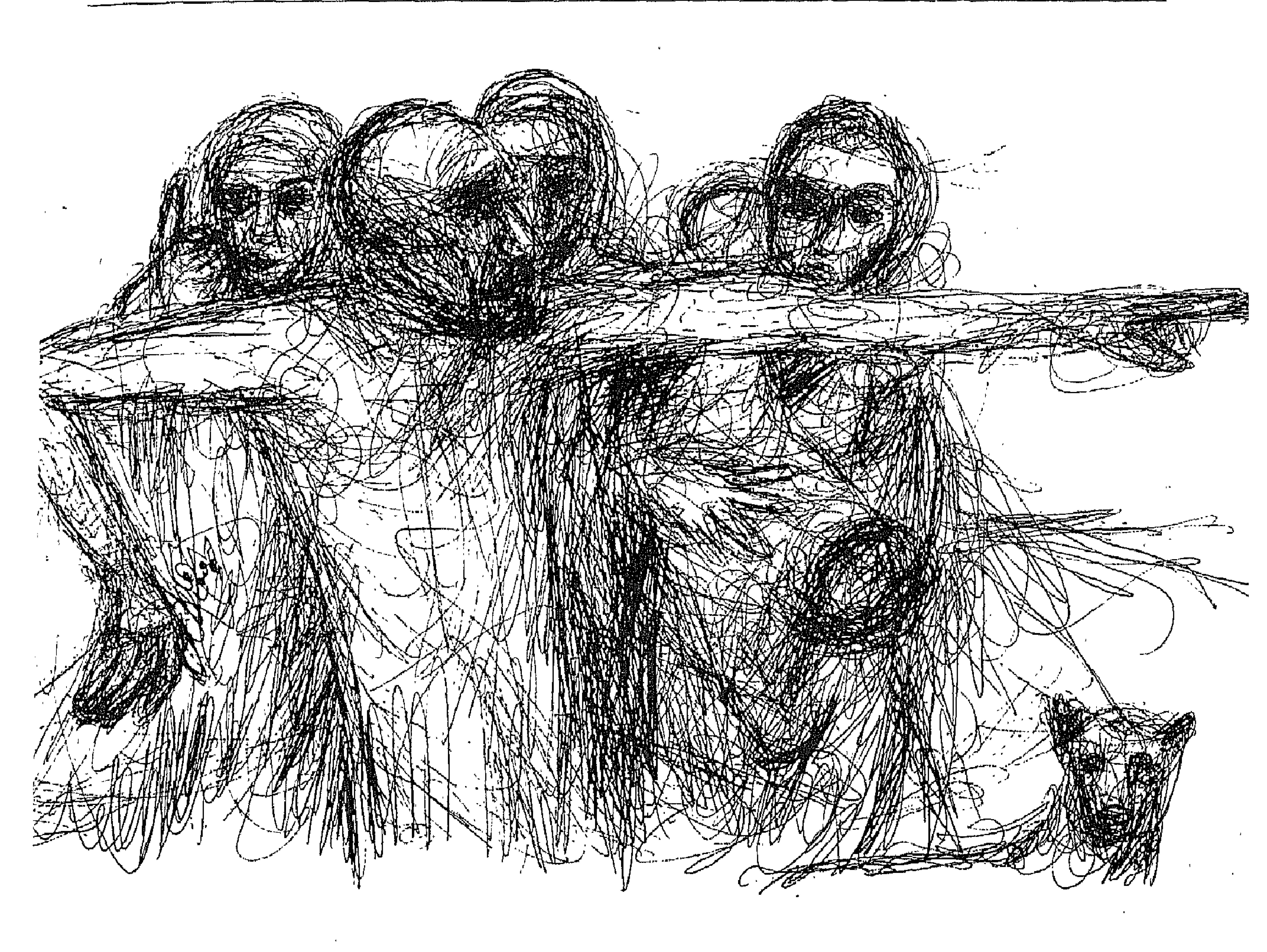
قلت له:

– هى كابنتى تماما.!

مضت الأيام.. وبعد شهور من هذا اللقاء.. كانت مارسيل قد تم شفاؤها.. وكنا نحتفل بمنزلنا بيوم أحد الشعانين بعد الصلاة بالكنيسة وبشائر عيد القيامة تملأ الدنيا بهجة وسروراً.. وأركان المنزل تزدان بالورود وسعف النخيل.. وجدناه يطرق بابنا.. دكتور عمر أبو بكر بنفسه جاء.. يحمل باقة من زهر الربيع.. تعانقنا .. قبلته مارسيل.. بدت عيناها وهى تنظر إليه جميلتين باسمتين.. بل استقر فى نفسى أنهما ازدادتا بمقدمه جمالا وحسنا عن ذى قبل.!

جلسنا فى صالون منزلنا ، كانت أنجيل بجانبى .. وقبالتى جلس دكتور عمر ومارسيل.. وعلى الضوء الباهر الذى كان يتألق فى نجفة الصالون المضاءة رأيت صورة السيدة العذراء تطل علينا بعينيها الحانيتين تبارك مجلسنا.!!

مرت الأيام والشهور والسنون.. ما أسرع الزمن..



كبرنا وأصبح دكتور عمر كبير أطباء العيون وانتقل إلى العاصمة، لكنه لم ينسنا، فكم كتب إلينا في المناسبات، وكم هنأنا في الأعياد، وكم اختصنا بزياراته ليطمئن على عيني مارسيل..

كانت بطاقة دعوة الزفاف التي وجهتها إليه مازالت أمامي مزدانة بصورة العروس .. بعينيها الجميلتين.. أمعنت النظر في الصورة.. لم أجد أثرا للحادث القديم فغمرني إحساس عميق بالرضى والحب.. على حين دخلت على مارسيل تقول:

- بابا.. لقد دعوت أونكل عمر بالتليفون ليحضر حفل الزفاف.. كان سعيدا بدعوتي له.. وكان حنونا وهو يعدني بالحضور..!

ناولتها بطاقة الدعوة التي كتبتها إليه..

قرأتها.. وابتسمت..!



تحسسوا الطريق

أشـــــرف بيـــــدس

في المشهد المتكرر، مازال الصبي الذي تحطمت رسوماته يئن ويتلوى.. ومازالت الأم تعجن الحنة لعروس لم تزف بعد ولن تزف.. مازال الرجل يمتطي الحسرة بحثا عن هدف بعيد..

لا شئ تغير.. نفس الحروف ، نفس الكلام، نفس العبارات، نفس الوجوه والوشوش، لا شئ تغير، ولن يتغير.. فمازلنا ندمن الروتين، ونخشى التجديد .. ونهاب من فروق الثواني والدقائق.. ننزوي بعيدا ، ونطلق الأدعية والقرابين والذبائح.. نتجمد .. نتسمر.. نتحنط.. نصير أشباحاً.. لا شئ يهم..

هل آن للوردة أن تموت؟.. بعد أن جفت مآقينا من الدموع..

آن للوردة أن تنتحر، وتغرق في مستنقعات الطين.. بعد أن أسدل الستار على المونولوج الهزلي في الرواية المستوحاة من حواديت شهريار.. وآن للبراعم أن تنتحب وتمشي في صفوف طويلة حيث المقابر الجماعية .. والموت السريع..

تفزعهم الحقيقة، وتؤرق نومهم، فهم لا يريدون عينا تتلصص عليهم، أو تشهد اتفاقاتهم المشبوهة.. فحين عبرت جيوشهم بغداد، خشوا أن ترصدهم الكاميرات فقتلوا طارق وآخرين، وحاصروا مكتب الجزيرة وأبو ظبي، وعندما حاول نزيه أن يرصد بالكاميرا ما يحدث، اطلقوا الرصاص على عينيه، وتركوا الكاميرا تدور ترصد الأحداث، وعندما شاهدوا الكاميرا في يد مازن، ادعوا أنها راجمة صواريخ، فأطلقوا عليه النار.. إن طارق ونزيه ومازن لم يكلفوا بمهمة انتحارية أو استشهادية من اى جهة ما، بل كانوا يؤدون عملهم، وكانوا يرتدون ملابس مدنية، ويحملون تصاريح بأنهم صحفيون..

ترتسم على الجدران صور الشهداء، حكايات ترويها الأرض للأبناء والأحفاد وللأجيال القادمة من عمر الأيام.. ما أجمل وطن موشوم على صدره بطولات الرجال.. ما أجمل وطن تهون فيه الحياة بحثا عن زغاريد في أفواه الثكالى..

تركض أيامنا أمامنا مفزوعة منهارة خائفة .. تلتفت في تردد، ترقب الغادي والرائح، تتلصص على الجدران، وتتلمس خطاها.. تحاول أن تفهم من كم المانشيتات والعناوين الكبيرة الحمراء والسوداء والزرقاء

يمثل الموت لحظة نتجاوز فيها كل اللافتات الهشة والعبارات المجوجة، ونقذف بالحقيقة كادرا لا تمحوه الأيام، ولا تعصف به الرياح.. نحن نلتقط الكادرات المستحيلة في الأزمنة المتعبة الخائفة، الباحثة عن خندق تتوارى فيه، نحن الذين نصنع التاريخ ونكتبه، ونجمله، لم نخن ولم نهرب ولم نتوار، بل وقفنا أمام الموت صامدين فرحين مستبشرين..

وأحيانا البيضاء التى لا يراها أحد، تحاول أن تفهم ما بين السطور.

خارج دائرة الضوء، وفي الأماكن المهجورة، المتهالكة، الآيلة للسقوط والمتصدعة: المنتظرة قرار إزالة.. ينتظر الناس عربات الإغاثة المحملة من الشمال بالمواد الغذائية المشعة.. يطول الانتظار.. ويصاحب الانتظار لحظات الترقب.. تتعلق العيون بالطرق الأسفلتية الساخنة الملتهبة.. وتتجه نحو المكان البعيد الموحش علي أمل بشارة أو قدوم قادم.. يطول الانتظار، لا يأتي شيء من الشمال سوي الرياح والزوابع والعواصف التي تقتلع الجذور الصغيرة من الأرض العطشى، ماذا ينتظر الناس من طرق لا تنبت إلا الشوك والصبار.

هل ننسحب من الزحام حيث الأماكن الرحبة؟..

ما جدوي الكلمات والتفاسير القصيرة..!!

وما جدوى الأسئلة والشروحات الصغيرة..!!

إذا كان الكلام ليس له رائحة أو لون أو شكل أو صدى.. لا يقدم ولا يؤخر .. وجوده مثل عدمه، فما جدواه؟.. ولماذا نصر عليه، ونردده دون ملل أو كلل أو حتي إدخال بعض التغيير عليه.. لماذا نضخمه ونكبره بدون داع؟ عندما تتحول الكلمات إلى جثث هامدة ساكنة ساكتة صامتة، فأولى بها أن تدفن بغير صلاة أو تأبين أو إعلان في صفحات الوفيات بجرائدنا المنتشرة من المحيط إلى الخليج..

ما جدوى هذه التصريحات المترامية يمينا ويسارا، والتي لا تعبر عن الواقع.. ولمن تكتب المقالات التحليلية في الجرائد الوهمية؟ لهم ، لنا للعدم .. أم لتزيين صفحات الإعلانات مدفوعة الأجر عن المواد الغذائية منتهية الصلاحية.. والسلع الاستيطانية التي تخرج من الجيوب جنيهات العدم قليلة القيمة..

يعلنون عن مشروع كبير لاغتيال المناضلين، وتحويلهم إلى أشلاء .. يوصفونهم بالإرهابيين لأنهم يدافعون عن أوطانهم وأطفالهم ونسائهم.. ويخلصون حتي الشهادة..يقذفونهم من الطائرات بصواريخ الرحمة، وينشرون صورهم في الميادين العامة.. هل يروق لهم أن نتحول إلى عملاء وسماسرة نبيع لهم أشجار الزيتون، وضفائر البنات، وأحجار الأقصى؟.. ونبدل الخرائط والتاريخ والحدود .. ونرسم بدلا منها مقابر ومدافن وأنصبة تذكارية..

يداهموننا بالليل والنهار، فكل الساعات مباحة، ليس هناك فروق توقيت، كل الأهداف مشروعة مرصودة مقذوفة.. في الشارع والبيت والمسجد، يقتلعون الأطفال من أحضان أمهاتهم، ومن سرائرهم ، ومن الأفنية، ومن أحواش المدارس.. ويوزعون كل صباح صناديق البكاء والحسرة علي جموع الشعب.

يجتاحوننا لأننا نرفض القهر والظلم والطغيان، ونزود عن أوطاننا.. يثبتون عيونهم في الزوايا والأركان والخرائب والشوارع الخلفية، حتي يفاجئوا المارين بأسلحتهم، ثم يسألونهم عن هويتهم، وعندما يهمون في إخراجها، يلتقطونها ويمزقونها..ويعيدون السؤال مرة أخرى.. أين هويتكم؟ وعندما يخبرونهم بأنها مزقت، يقتادونهم إلي السجون والمعتقلات وغرف التحقيق المظلمة .. ليبدأ التعذيب والتنكيل والترهيب والتخويف.. ويبدأ التحقيق .. أين هويتكم؟؟

يصادرون أحلامنا وضحكاتنا وزيتوننا وقمحنا وملحنا، ويهدمون منازلنا ومساجدنا ومدارسنا، وبعد ذلك يبنون جداراً يفصلنا عن الحياة، عن الهواء، يحكمون قبضتهم علينا، ويكملون بناء الجدار الثاني والثالث والرابع.. ثم يضعون علي الجدران بوابات حديدية تمنع الدخول والخروج.. سجن كبير نعيش فيه طلقاء أحراراً..

ضاقت فسحة الحياة.. فاحذروا يا أبناء وطني الطرق العرضية والالتفافية، الأيام عصيبة، لا تترك يد أخيك، لازمه في السراء والضراء، لا تشي به، واحفظه، اجعل جسدك درعا لأخيك، ولا تلق به إلي التهلكة، ارشده أن ضل طريقه... لا تجعل الأشرار يكيدون لكما..

فتقتتلا.. سيحاولون زرع الألغام بينكما حتي إن خطت قدماكما أرض الشارع انفجر اللغم في وجهكما.. تحسسوا الطرق، وتنبهوا: الأيام عصيبة ■

كافا في: معبد الروح



الأمل للطباعة والنشر رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢ «الثمن: ٣ جنيهات»